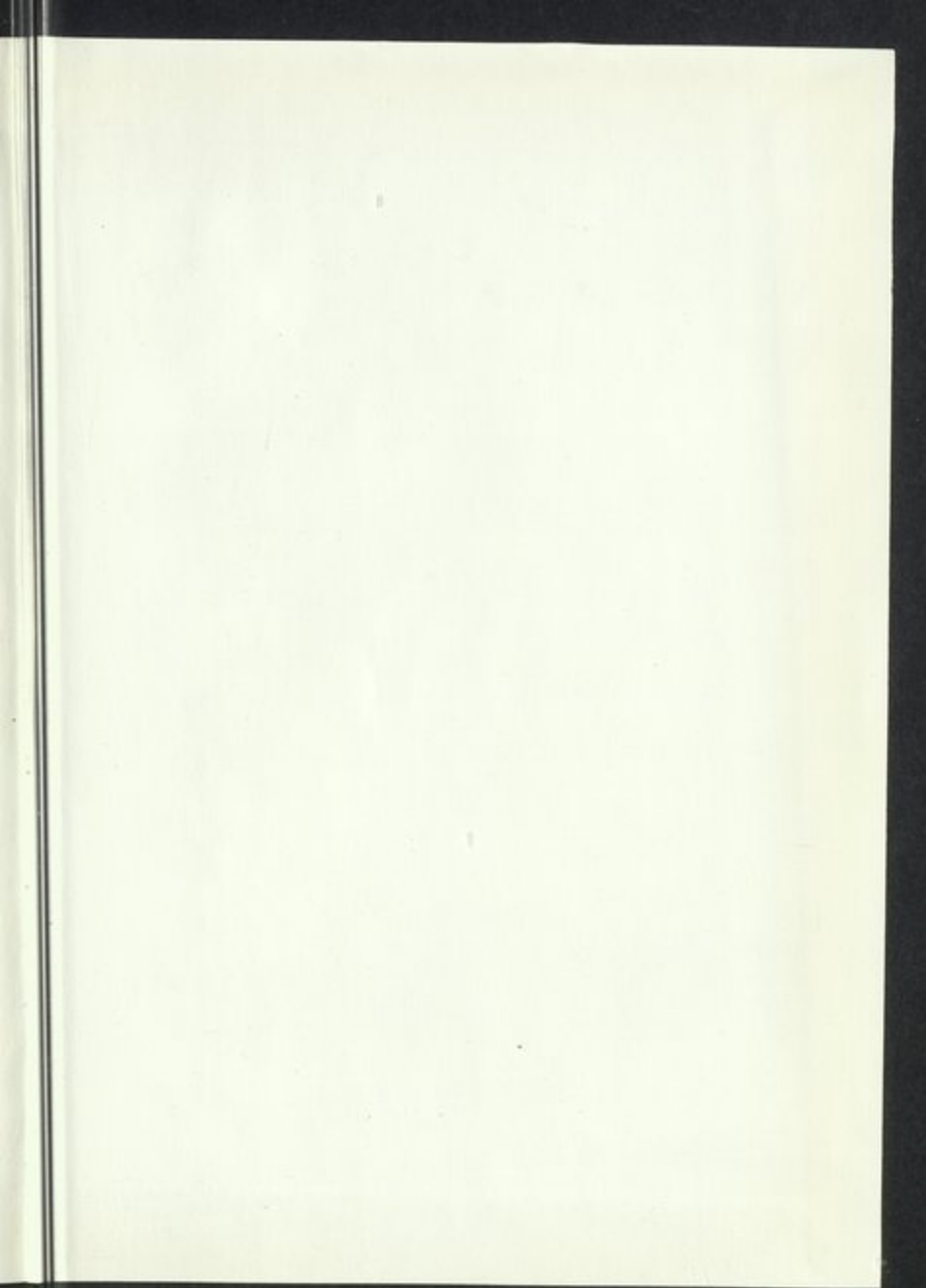
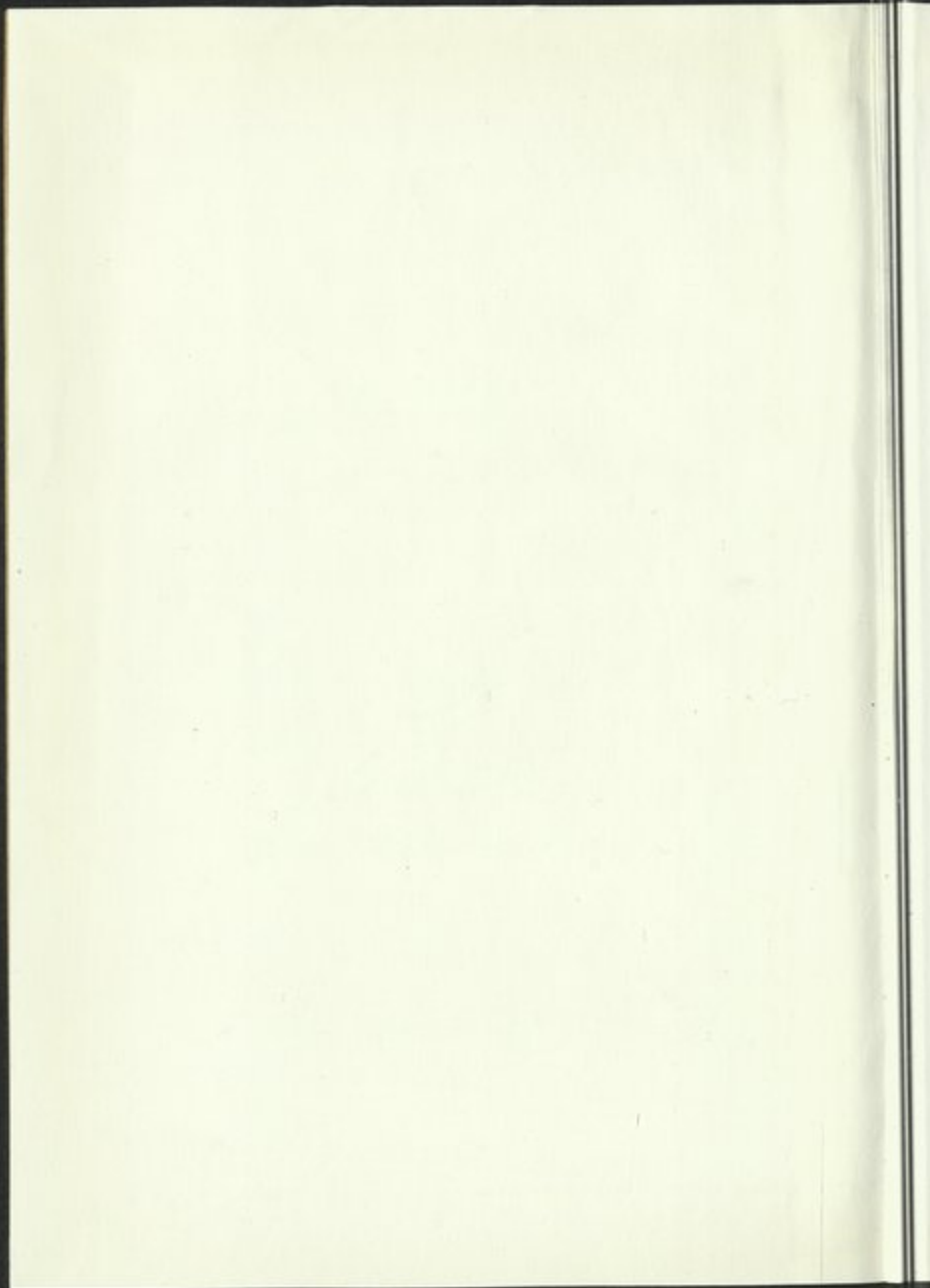
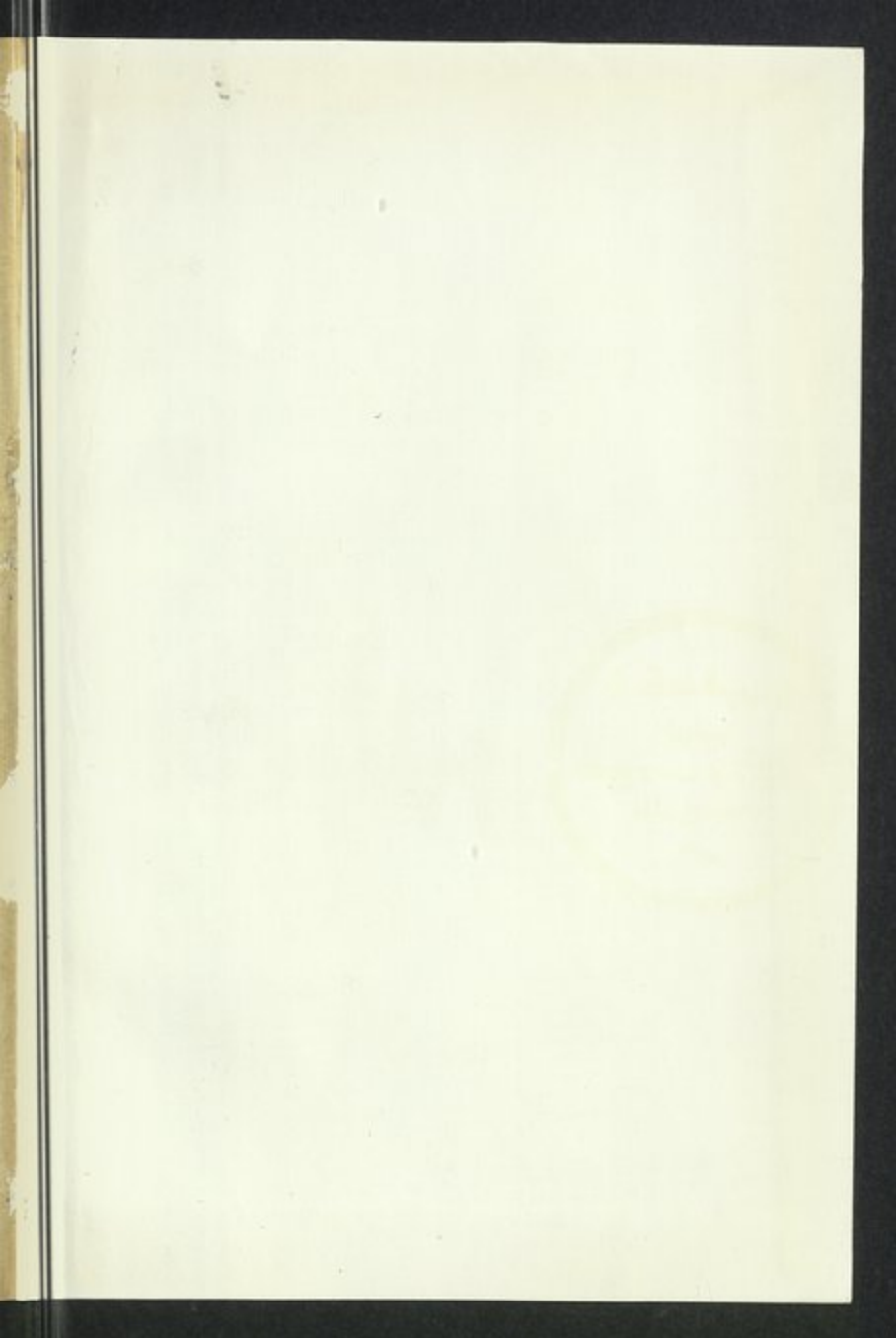


A. U. B. LIBRARY

1871







مكاتب العلم في القرآن

297.15  
D21mA  
C.1



دعوة الاسلام الى العلم والعمل بخير جميع  
دلائل ذلك في المدينة القرآنية



تأليف

يحيى حميد الدرديري

ذكر في الحقوق وليسانتيه في العلوم التبتائية

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

عنوان المؤلف ١٢ شارع الملكة نازلي - مصر



القاهرة

١٣٦٤

# المطبعة السلفية

٢١ شارع الفتح • بجزيرة الروضة - القاهرة



# مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( كلمة عن الكتاب والمؤلف )

( بقلم فضيلة الأستاذ الكبير والعالم الجليل )

الشيخ محمد صبرى عابدين

( ١ )

اللهم وفقني لقول الحق واتباع الحق — وبعد فقد أطلعني صديق  
الدكتور يحيى أحمد الدرديري على كتابه « مكانة العلم في القرآن » وصارحني  
برغبته أن أقدم لهذا الكتاب كلمة تناسب هذا البحث القيم فاعتذرت إليه  
واقترحت أن تكون المقدمة بقلم صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد  
مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر أو بعض كبار علماء مصر المتصلين في  
العلوم الإسلامية فقال إن أشغالهم تتحول دون ذلك فلم أر مناصاً من موافقته  
وتنفيذ رغبته .

( ٢ )

في هذه الآونة التي تسيطر فيها الروح المادية على أكثر بني الإنسان  
الذين اندفعوا وراء شهواتهم واستجابوا لرغبات غرائزهم الحيوانية ونزواتهم

مستهين بكل دين وفضيلة منطلقين من قيود الأخلاق والآداب العامة التي  
يتوقف عليها سلام العالم وحسن التفاهم بين الأمم والشعوب في أنحاء المعمور  
وفي هذه الآونة العصبية يهب رجال من كبار الكتاب وحمله الأقلام  
هذا الشرق إلى تعريف المسلمين وغيرهم بحقائق الإسلام وارشادهم إلى أسرار  
كتاب الله القرآن وما تضمنته من المثل العليا والتعاليم السامية التي تحاط  
النفس الانسانية وتنهض بها من حضيض المادية لتستأصل من أعماقها جذور  
الرزائل والتفائض وتصلها بمكارم الأخلاق وعناصر الفضائل والصفات  
تجعل من الانسان المستمسك بها «ملكاً كريماً» لا انساناً عادياً وبها يستحق  
المسلمون أن يوصفوا بقول ربهم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ  
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

فهذا محمد حسين هيكل باشا يؤلف كتاباً في تاريخ حياة محمد صلى الله  
عليه وسلم ، وحياة أبي بكر ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وقل مثل ذلك  
عن كتب الأستاذ عباس محمود العقاد في هذا الموضوع إلى غير ذلك من كتب  
ورسائل ألفت في السنين الأخيرة قبيل هذه الحرب وفي ابانها عن الإسلام  
وربـه الاولين فقد كشف مؤلفو تلك الكتب بأسلوب بديع عن نواحي  
عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم  
وأبناؤا مكاتهم السامية في العلم والسياسة والأخلاق التي هي دعائم المدنية  
الصحيحة فجعلوا بكتبهم طريق دراسة تاريخ الإسلام معبدة سهلة السلوك  
لجماعات الدارسين دراسة جامعية من مسلمين وغيرهم مما سيكون له أثر فعال في  
نشر الإسلام في أوساط راقية تنذوقه عن دراسة عليية صحيحة فتؤمن

صلاحته لمداية بنى الانسان وانقاذهم من التردى فى حماة الرذائل والابتعاد  
عن كل شر وعدوان .

( ٣ )

### الدكتور يحيى أحمد الدرديرى

ومن الذين وقفوا حياتهم على خدمة الاسلام والعمل المستمر لنشر  
بدايته وتعاليمه بين المسلمين وغيرهم منذ ربع قرن رجل مسلم زاهد فيما يتناحر  
كثر الناس عليه من مناصب ورتب وعقارات ورغائب وشهوات هو  
يدقق الدكتور يحيى أحمد الدرديرى المراقب العام لجمعية الشبان المسلمين .  
فخرج هذا الرجل من جامعة جنيف عام ١٩٢١ بعد أن مكث فى طلب العلم  
أوروبا ما يزيد عن اثنى عشرة سنة وحاز أكبر الاجازات العلمية التى تؤهله  
على المناصب وأكبرها جاهاً وأكثرها مرتباً فزهد فى ذلك كله زهد العالم  
مارف بحقائق الأمور .

عرفت الدكتور الدرديرى فى عام ١٣٤٧ هـ ( ١٩٢٩ م ) حين قدمت  
لعضو فى وفد فلسطين على أثر حوادث اضطرابات سنة ١٩٢٩ م .  
سكان حديثه فى نفسى أكبر الأثر لأنه صادر من قلب مؤمن صادق الايمان  
اليسير أن الأيام اليسيرة التى قضيتها بمصر حيث لم تكن كافية لمعرفة حقيقة  
الدكتور الكبيرة وما ينطوى عليه ضميره الحى من اخلاص حميم للاسلام  
القرآن . وقد شاء الله أن تحدث ثورة فلسطين فى عام ١٣٥٥ هـ وفق ١٩٣٦  
فأضطر بسببها فى سنة ١٣٥٧ الموافق سنة ١٩٣٨ إلى الهجرة من القدس  
من اللجوء إلى مصر وكانت دار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة هى مستقرى فقضيت

في هذه الهجرة حوالي أربع سنين إلى عام ١٣٦١ فكننت أجمع به كل يوم في دار الجمعية التي لا ينقطع عن الحضور إليها بانتظام بكرة وعشيا فكأنه كوكب من كواكب السماء التي تسير طبقاً لنظام علوي لا تحيد عنه فكنت أقتضى الوقت معه في دراسة علمية وبحوث اسلامية وفتت خلالها على حقيقة اخلاصه وأيقنت بهيته حياته وماله وقلبه وكل ما يملك في سبيل الله وفي سبيل اعلاء كلمة الاسلام وتعريف المسلمين وغير المسلمين من أمم العالم بحقائق الاسلام وتعاليمه التي فيها وحدها إذا طبقت عملياً تتحقق الاخوة الانسانية ، وبها وحدها تجتث أصول العدوان وعوامله ، ويسود الهناء والصفاء ، وتمتع الأمم جمعاء بالهدوء والاطمئنان .

( ٤ )

أما كتاب « مكانة العلم في القرآن » الذي هو موضوع هذه المقدمة فهو سفر قيم يحتوي على حقائق علمية تكشف عما تضمنه القرآن الكريم كتاب الله من دعوة صريحة إلى المدنية الفاضلة والاستزادة من العلم النافع ( وقل رب زدني علماً ) كما أنه يبين بالبرهان القاطع والدليل الواضح أثر الاسلام في المدنية الغربية التي لم تستطع أن تصل إلى ما وصلت اليه من تقدم وارتقاء إلا حين اطلع رجال الغرب وعلماؤه على كتب المسلمين ووقفوا على نتاج عقول علماء بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة وغيرها من عواصم الاسلام التي كانت معاهدتها « جامعاتها » زاخرة بأئمة العلم والفكر ومن المتضلعين في الفقه والحديث وتلوم اللغة والطب والفلسفة والمنطق وعلوم الرياضيات ، وتقوم البلدان « الجغرافيا » ، والتاريخ إلى غير ذلك من علوم وفنون ساعدهم على اتقانها ما تمتع به علماء المسلمين حينئذ من حرية الفكر والرأى حين حرم

منهما غيرهم من أهل الأديان الأخرى.

فالدكتور الدرديري في كتابه هذا قد هياً للتعلين من المسلمين وغيرهم من الراغبين في فهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم على حقيقتها ولا سيما الشباب الجامعيين دراسة علمية للإسلام مدعومة بالأدلة القاطعة على أن في القرآن وحده العلاج الشافي والدواء الوافي من كل ما يتخبط به العالم من تحاسد وتباغض وتناحر وتناحر وتكاثر بالأموال والقوى المادية فهو يدعو إلى تطهير النفوس الإنسانية من شهواتها الفاتكة ونزواتها المردية ويبين للناس ما يمكن أن يتمتعوا به في هدوء واطمئنان روعي إذا اتبعوا جادته الخير وأذعنوا للحق والعدل وفهموا أن الله تعالى استخلفهم في هذه الأرض ليكونوا عباداً له تسود بينهم روح التعارف والتآلف فيتنافسون في الاستزادة من العلوم والمعارف النافعة ويكشفون عن خبايا الأرض وما أودع فيها من خيرات وأرزاق ومعادن وآثار ويتسابقون إلى تهذيب نفوسهم والزامها بالفضائل والشائم الخيدة التي وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته على نشرها حيث قال : ( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ) .

( ٥ )

الذي تقدم هو خلاصة موجزة عما تضمنه كتاب « مكانة العلم في القرآن » وللدكتور الدرديري غير هذا الكتاب عدة كتب دينية واجتماعية كلها ترمي إلى توجيه جماعات المسلمين وأفرادهم إلى الاستمسك بمبادئ الشريعة الإسلامية المطهرة وتربية نفوسهم عن طريق العبادات وتطبيق قواعد الإسلام تطبيقاً عملياً . فمن تأليفه كتاب « كيف نعلم القرآن لأبناء المسلمين » في أربعة أجزاء متسلسلة وقد طبعت وانتفع بها عدد غير قليل من المسلمين.

صغاراً كباراً . وله أيضاً كتاب « التعاون » الذي طبع للمرة الخامسة بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤٨ هـ وفق سنة ١٩٢٩ م . وقررت وزارة المعارف تدريسه بمدارس المعلمين . وله سلسلة مقالات دينية واجتماعية وأخلاقية في أجزاء مجلة الشبان المسلمين التي يرأس تحريرها من ستة عشر عاماً من سنة ١٣٤٧ هـ وفق سنة ١٩٣٨ وتتضمن هذه المقالات الحكم السامية في تعاليم الاسلام وما يفيد به بنو الانسان من اتباعها والزام أنفسهم بالعمل بها . هذا ما طبع من مؤلفات الدكتور الدرديري وله كتابان مخطوطان وهما معدان للطبع أحدهما كتاب « الاسلام والمسلمون » أو « قواعد الاسلام الخمس » من ناحيتها الدينية والاجتماعية في جزء واحد وكتاب « أين المسلمون من الاسلام » أو « دعوة الاسلام إلى أدب النفس وتربيتها » وهو جزآن . وقد اطلعت على هذين الكتابين فألفيتهما بحويان دراسة عميقة لقواعد الاسلام وآدابه بعبارات رصينة محكمة . وإنى على يقين بأن كتب الدكتور الدرديري متى تم نشرها ستحدث أثراً فعالاً في الدعوة إلى الاسلام وآدابه في الأوساط والبيئات المثقفة لصياغتها بأسلوب من يفهم عقلية تلك البيئات فيخاطبها بالطريقة العلمية المؤيدة بالدليل والأسلوب الذي فيه اقتناعها . وليس معنى هذا أن غير الجامعيين وذوى الثقافة العليا سيقصر فهمهم عن إدراك ما في هذه الكتب . كلا بل إن عامة المسلمين سيجدون فيها غذاء روحياً سائغاً سهل المآخذ قريب المثال مهما كانت ثقافة القارىء منهم ودرجة تعليمه .

( ٦ )

ما أسلفناه في الفصول الخمسة ليس إلا نبذة موجزة عن كتب الدكتور الدرديري وجهاده المستمر المتواصل في سبيل اعلاء كلمة الله وتوجيه المسلمين

إلى ناحية التعاون على الخير .

وقد تنبه الباحثون من غير المسلمين إلى الأثر الإيجابي الذي يفيد به الإسلام والمسلمون من بحوث الدكتور الدرديري وأطروا جهوده كل الأطراء . فقد ذكر المستشرق هـ . ا . جب استاذ اللغة العربية بجامعة لندن في كتابه «وجهة الإسلام»<sup>(١)</sup> الذي نشر عام ١٩٣٣ عن جمعية الشبان المسلمين وأثر الدكتور الدرديري في النهضة الإسلامية الحديثة بقلم المستشرق ج . كامبهاير الأستاذ بجامعة برلين في ص ٧٥ و٧٦ ما نصه « وان أعظم منبع نستقى منه معلوماتنا عن نشاط الجمعية هو المجلة التي تنشرها وتدل المقالة الافتتاحية من العدد الأول أكتوبر سنة ١٩٢٩ على حركة الجمعية دلالة تامة فعنوانها ( حاجتنا إلى الإصلاح ) « مبدؤنا وخطتنا » يقول كاتب المقال وهو رئيس تحرير المجلة الدكتور يحيى الدرديري : إن ما أصاب الأمم الإسلامية من الانحلال والضعف يدعو كل مفكر إلى تعرف الأسباب والبحث عن أنجع الوسائل للعلاج ويرى أن الفوضى الخلقية التي أصابت المجتمع الإسلامي ترجع إلى أسباب كثيرة أهمها الجهل المنتشر وتقليد المسلمين لسوءات المدنية الغربية وإهمال المتعلمين واجباتهم نحو محاربة البدع والضلالات التي سرت في جسم الأمة سريان الحمى في جسم المريض . يقول ان للمسلمين دواء واحداً هو الرجوع إلى القرآن أساساً ونبراساً ومصدراً للنهضة الخلقية بين المسلمين هذه النهضة التي لا تصلح بدونها نهضة اجتماعية أو اقتصادية أخرى وأنه ليحسن أن نلاحظ ان الذي يرسم هذا البرنامج ليس شيخاً من قدماء المحافظين بل دكتور في القوانين وحامل ليسانس في العلوم السياسية من جامعة جنيف

---

(١) ترجم هذا الكتاب بالعربية الأستاذ أبو ريده

يبين عن أسباب دفاعه عن القرآن بقوله « إن أدب القرآن مؤسس على الدعوة إلى الإصلاح والعمل للخير المجتمع وعلى حرية العلم والفكر وهما أساس النهضة الصحيحة وأنه يدعو إلى التسامح وإلى تضامن النوع الانساني واستشهد على آرائه باقتباس نصوص كاملة من آيات القرآن وبشرحها . وفي مقال آخر عنوانه « داؤنا ودواؤنا » مايو سنة ١٩٣١ يصف الكاتب نفسه « يعني الدكتور الدرديري » الفوضى الخلقية السائدة بين المسلمين اليوم ويرثي لها رثاء صادقا فيرى أن الناس أصبحوا لا وجهة لهم في حياتهم ولا قاعدة يسرون عليها فيجب عليهم أن يجعلوا الله وجهتهم وأن يروضوا أنفسهم على اتباع أوامره واجتناب نواهيه ومن جعل الله غايته فقد فعل الخير وصار حب الانسانية والعمل على خيرها قاعدته الخلقية ويرى أن الناس اليوم استسلموا لشهواتهم وأطماعهم فيجب على الأفراد والجماعات أن يجاروا هذه المساوىء أشد المحاربة ويستشهد من التاريخ على أن مثل هذه الحركات الإصلاحية لا بد أن تواجه عقبات ومصاعب كثيرة فيجب أن يتذرع زعمائها بالشجاعة ورباطة الجأش وأن يوجهوا عقول محبي الإصلاح وكل من يقصرون جهودهم لخدمة البلاد ويعملون على بلوغ الحياة الصحيحة . اهـ

( ٧ )

### خاتمة

أما بعد فاني أود أن أختتم هذه المقدمة منوهاً بحقيقة ينبغي أن تعلم ، وهي أن الأثر الحقيقي في تكوين الدكتور الدرديري العلمي والخلقي وتوجيهه هذه الوجهة الصحيحة التي دأب عليها إبان وجوده في معاهد أوروبا إنما مرجعها إلى البيئة الدينية التي نشأ فيها وإلى التربية البيتية على الأساس الاسلامي .



الصحيح . فقد تلقى تعاليم الاسلام وقرأ القرآن منذ كان طفلاً ورأى والده وأهل بيته محافظين على اداء الصلوات وما يجب عليهم لله تعالى من عبادة وإخلاص في السر والعلن ، فانطبع هذا الأثر في نفسه واستكن في طيات ضميره الحى ، ثم ما زاده طلب العلم والحصول على الاجازات والدرجات الجامعية إلا إيماناً و يقيناً .

فاذا أراد المصلحون أن تثمر جهودهم ثمرها وتوفى أكلها المرجو فليعملوا على إيجاد البيئة الاسلامية والبيت الاسلامى الصحيح فيصلون إلى أهدافهم السامية فى الاصلاح من أقرب الطرق وأسهلها ، نالا بإذن الله .

القاهرة فى ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٤

١٠ مارس سنة ١٩٤٥

محمد صبرى عابدين

مراقب الشؤون الدينية بالمجلس الاسلامى الأعلى بفلسطين

ومدرس بالمسجد الأقصى المبارك

وعضو جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المركزية

ومدير مكتبها . وعضو مؤتمر علماء فلسطين



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين  
وبعد فلا ملجأ ولا منجأ من الله إلا إليه

## القرآن

وأثره في قادة الفكر الغربيين والتطورات العالمية

القرآن عقد اجتماعي ( كونترا تو ) بين الله والناس - هو النظام

العام لهداية البشر - نظام للفرد والجماعة - نظام للروح

والجسد - نظام للأرض والسما - نظام للغيب

والشهادة - نظام الماضي والحاضر والمستقبل

جرت العادة أو العرف أن صاحب الدار إذا أراد أن يوجرها لغيره

خذ عليه شروطاً أو اتفق معه على القواعد التي يسكن بها : من تحديد

الاجر والمدة وما يجب عليه من صيانة الدار وعدم العبث بها حتى تكون

الحلة للسكنى .

فإنه جل شأنه وهو المالك المتصرف المطلق للعالم كله بما فيه دنيانا الصغيرة

شع شروطاً لسكنى هذه الدار وما بعدها من دار أخرى تسمى دار القرار .

وتسمى هذه الشروط هدى ، ليهتدى بها في الحياة . ولها كثير من الأسماء  
ستكون موضع الذكر فيما بعد . فمن اتبع هدى الله من الناس المنزل على رسله  
وهو الدين ( أى النظام العام الشامل للبشر ) وجبت سعادتهم ، وأصبحوا  
آمنين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وهذا وعد يشمل الدنيا والآخرة لا طباقه ، وموجب لشقاء من أعرض  
عنه بعد بلوغ دعوته على وجهها ، قال تعالى لآدم ومن معه : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا  
مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴾ . سورة البقرة

يبين الله تعالى أن من اتبع هداه ( أى النظام الذى قرره فى كتبه  
وجامت به رسله ) علماً وعملاً بالاقدام على ما يلزم ، والاحجام عما  
يحرم ، فانه يصير إلى حال لا خوف فيها ولا حزن .

فمن وفى بعهد الله ( وهو الدين ) أى النظام الذى أمر به عاش عزيزاً  
سيداً فى هذه الدار منصوراً على عدوه ، وإلا فالشقاء والحرام والخذلان .  
قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون ﴾ سورة  
البقرة ، كما قال تعالى أيضاً ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال أيضاً  
﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾

وهداية الله التي بين فيها كيف تسكن الأرض ، وكيف يسود الانسان فيها ويحيا حياة طيبة هي القرآن الكريم وهو العقد أو الشرط أو بعبارة أخرى النظام العام الشامل الذي وضعه الله لخلافة الأرض .

وهذا القرآن له أسماء كثيرة دلالة على عظمته وعلو شأنه نذكر منها على سبيل المثال : (١) الكتاب — بمعنى المكتوب وهو اسم جنس لما يكتب ، والمراد بالكتاب هذه الرقوم والنقوش ذات المعاني . وليس المراد هنا نوعا من أنواع الكتب بل المراد كتاب معروف معهود للنبي صلى الله عليه وسلم بوصفه وذلك العهد مبني على صدق الوعد من الله بأنه يؤيده بكتاب تام كامل كاف لطلاب الحق بالهداية والارشاد في جميع شئون المعاش والمعاد .

واتفقوا على أن المراد من الكتاب القرآن قال تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾

واشتقاق الكتاب من كتبت الشيء إذا جمعته وسميت الكتبية لاجتماعها فسمى الكتاب كتاباً لأنه كالكتبية على عساكر الشبهات أو لأنه اجتمع فيه العلوم أو لأن الله تعالى ألزم فيه التكليف على الخلق قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّانَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

سورة الانعام ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ سورة فصلت

ومن أسماء القرآن : القصص — قال تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ

الْقَصَصِ ﴾ سمي به لأنه يجب اتباعه . والبيان ، والبيان ، والمبين . أما البيان

فقوله ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ . والبيان فهو قوله ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ . وأما المبين فقوله ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾

والبصائر — قال تعالى ﴿ هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أى أدلة يبصر بها الحق

النور — قال تعالى ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وفي القرآن :

﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ﴾ يعنى القرآن (١)

إن المتأمل فى هذه الأسماء والصفات التى ذكرناها وكثير غيرها لم تذكر  
والتي سمى الله تعالى بها القرآن يستدل دلالة واضحة على ما للقرآن من أهمية  
كبرى فى الحياتين الدنيا والآخرة ، فهو النظام المحكم الذى وضعه العليم  
الخبير ، خالق السموات والأرض وما بينهما ؛ ومدبر الأمور ومجريها ،  
يعلم مناقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد ورق الأشجار ، وأحصى كل شئ  
عدداً وقدرأ ، وأحاط بكل شئ علماً لا توارى منه سماه سماء ولا جبل ما فى  
وعره ولا بحر ما فى قعره ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورِ ﴾ .  
فما لا ريب فيه أن ما جاء به هو الحق لأنه عن صاحب الحق المطلق لجميع  
العوالم ظاهرها وخافئها وهو خالقها ومدبرها ، وليس وراء علم الله علم ،  
ولا فوق قدرة الله قدرة ، وإنه ما من شئ فى الوجود إلا وهو خالقه  
والمتصرف فيه .

(١) تفسير الفخر الرازى ج ١ ص ١٦١ وما بعدها

وقد قال وقوله الصدق: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ

يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

✓ فهو كتاب علم وتعليم وهداية وإرشاد إلى ما يجب عمله في هذه الحياة وما يترتب على صالح الأعمال وسينها من الجزاء . ففيه نظام حياة الفرد وحياة الجماعة ، فيه نظام الأرض وكيف نستغلها ، وفيه نظام السماء وكيف ننتفع بما فيها .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ سورة الاعراف ، وهذا إشارة لأهل الفهم

والبحث والتفكير والعلم ، وقال أيضاً ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ سورة لقمان . وقال

تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة .

والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الموت والحياة ليبلو ويختبر الناس

أهمهم أحسن عملاً . اقرأ سورة الملك . فكيف تعيش ، وكيف تحيا ، وما هو

الموت ، وما بعد الموت من نعيم مقيم أو عذاب أليم نتيجة لعملك في الحياة الدنيا إن كان صالحاً أو طالحاً كل ذلك مبين في القرآن الكريم ، وهو الذي يهديك إلى الصراط المستقيم قال تعالى : ﴿ أَنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا . وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَتَيْنَهُمُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ سورة الاسراء .

كتب الأستاذ مارسيل كابي في جريدة لافلش التي تصدر في باريس عن القرآن ما يأتي :

« القرآن ، كتاب موحى به وهو يفوق ما عرف من هذا النوع كثيراً ، فإن العقيدة الروحية التي يبثها تصلح أن ينعكس نورها على الحياة الاجتماعية ، وهذا سر قوة الاسلام وسماحته ووحده .

« والقرآن ، باسم الايمان الثابت على وجه الاطلاق يحمل إلى الناس بدون سفسفات بيانية ولا خيالات غير طبيعية أصول العدالة ، والنظام الاجتماعي الذي يخضع كل فرد لمراعاة أدب الاجتماع ، ويفرض على الجماعة حماية الافراد ، وهو بهذا الأسلوب يوافق في جوهره أحدث القواعد الاجتماعية العصرية .

ليس في الاسلام قسوس ولا رهبانية ، ولكن فيه شراحاً ومفسرين لكتابه ، وكتابه قد نظم حدود وحياة كل فرد وحياة المجموع .

فهو يتناول الانسان من يوم ميلاده ، ويتبعه إلى يوم وفاته مراعيًا كل صغيرة وكبيرة من حياته . غذائه وطهره وصلواته المصحوبة بحركات متناسقة ،

وصومه السنوي المطهر في شهر رمضان ، وزواجه وطلاقه وواجباته البيئية والاجتماعية أى ما يجب على كل فرد للجماعة وما يجب على الجماعة لكل فرد . القرآن لا يعنى كثيراً بالدعوة إلى التحاب . لأن الحب عاطفة متقلبة قد تكون شديدة في تلهبها ولكنها قد تنطفئ . جذوتها بسهولة إذا هبت عليها ريح باردة من قبل المنافع الذاتية .

ولكن القرآن يدعو إلى الحق والواجب ويحتفظ بالحب لله وحده . أما الانسان فيكل أمره للضرورة ، وهو لأجل أن يحل مسألة هذه الضرورة يفرض على كل جماعة بشرية روحاً اجتماعية ونظاماً سليماً من العلل . ولا يوجد نظام اجتماعي سليم إلا بقدر ما تعادل فيه حقوق الفرد على الجماعة وحقوق الجماعة على الفرد . وفي نظر القرآن أن وجود طائفة موضوعة فوق الواجبات في المجتمع وأخرى ملفوظة خارج دائرة الحقوق يعتبر إنكاراً صريحاً للعقد الاجتماعي المقرر . وقد قدس القرآن هذا العقد الاسلامي ، وهذا سر بقاءه ونفاذه إلى اليوم رغمًا عما اعترى جماعات المسلمين من تقلبات التاريخ .

فلننظر الآن في الروح الاجتماعية التي فرضها القرآن على أهله :

تأمل هذا في مائتين وأربعين مليوناً من الأنفس تدعى خمس مرات في اليوم لأداء الصلاة فيجيبون داعيها ، ويتوجهون جميعاً صوب مكة ، ويقرأون جميعاً عبارات واحدة ، ويركعون ويسجدون جميعاً على نحو واحد ، ويدنسون جميعاً بقضية واحدة وشريعة واحدة ، معترفين طراً بالعقد الاجتماعي الذي يرتبطهم ، وفي وسط هذه الوحدة اليومية الهائلة يشعر كل واحد بأنه تحت نظر الجميع ، لأن حارس العقيدة والشريعة والعقد الاجتماعي هو الرأي العام في الاسلام .



فالمسلم على استقلاله المطلق في حياته الخاصة وتفرد به بالسلطان في بيته فلا يستطيع أحد أن يرى فيه الوجه العزيز عنده ، هذا المسلم نفسه في حياته الاجتماعية مكشوف الحال أمام أعين اخوانه أجمعين . ولإنكار الرأي العام لشيء من الأشياء قوة لا حد لها في جماعة المسلمين . فكل من يناقض هذا الرأي العام ويتعدى حدوده يعتبر ملعوناً بأشد معاني هذه الكلمة .

لا يوجد في العالم رأي عام له مثل هذا السلطان على الناس ، وهذا السلطان يسرى على المجال الأدبي والمجال الاجتماعي على حد سواء .

الاسلام ليس بمملكة بالمعنى السياسي لهذه الكلمة ولم يكنها قط حتى في عهد عظمته الأولى ، ولكنه عتيقة وشريعة ووحدة اجتماعية .

قلنا ليس في الاسلام طائفة متميزة أو طائفة مهمة فان مبدأ التعاون الاجتماعي مفروض على الجميع . فكل مؤمن مكلف بدفع زكاة عن أمواله للفقراء لا بوصف أنها صدقة ولكن باعتبار أنها واجب اجتماعي لا يحصى عن أدائه . فكل من يملك ما فوق حاجته من المال يجب عليه أن يدفع منه حصة للجماعة لتسد بها حاجة المحتاجين . فقد حتم القرآن على كل مؤمن أن يدفع عشر دخله <sup>(١)</sup> للفقراء وعابري السبيل وفي الرقاب الخ

ومن عادات المسلمين أن للسائل حقاً في طلب المعونة من الذين اعتادوا أن يعطوهم ما يأكلون أو ما يحصلون به عليه فاذا أحجم مسلم عن اعطاء سائله ما اعتاد اعطاءه لهم رفعوا أمره إلى القاضي فلا يسعه إلا أن يحكم على الغني بالاستمرار في عطياته وبدفع ما تأخر منه عنده . وقد دهش

---

(١) يقصد الكاتب الزكاة وهي ربع العشر أي ٢٥٠ في المائة في المال ، والعشر ونصف العشر في الحبوب . ويرجع في ذلك إلى كتب الفقه .

الفرنسيون من علمهم لهذه العادة عند احتلالهم للجزائر من بلاد الغرب ،  
وكان الأولى لهم أن يتعلموا منه درساً إنسانياً واجتماعياً (١)

هذا القرآن الكريم الذي جاء بالمبادئ الصحيحة السليمة لكافة البشر  
والذي أخرج العرب من ظلمات الجهل إلى نور العلم والعرفان ، ومن الوحشية  
القاسية إلى الرحمة والانسانية السامية ، ومن الشقاق والفرقة إلى الاتحاد  
والالفة ، ومن البطش والظلم الى الرأفة والعدل ، لا تزال الانسانية تنشد فيه  
الخلاص من أزماتها وورطاتها . ولا يزال نوره الوضاء يشع في مجاهل  
الارض فينقذ الانسان من جهله وشقائه .

لا تزال المبادئ التي ينشدها العالم المضطرب لخلاصه مما هو فيه من  
البلاء من العدل والرحمة مبينة تبياناً واضحاً في القرآن الكريم فهو يدعو  
اليها في صراحة وقوة . كما يدعو الى العلم والتعليم لانارة ذهن الانسان وشق  
طريقه عن معرفة ونور وبرهان في الحياة الدنيا وما بعدها من حياة أبدية ،  
وقد كان من دعوات رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام : اللهم انفعني بما  
علمتني وزدني علماً ، استجابة لقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾  
سورة طه .

قال المسيو ( بارتلمى سنطير ) : « ان القرآن قد بقى أجمل أثر للغة التي  
أنزل بها ، ولم أر ما يشبه ذلك في جميع أدوار التاريخ الديني للعالم الانساني .

( ١ ) نقل عن العدد الصادر في ١٧ ابريل سنة ١٩٢٧ من جريدة  
لافليس التي تصدر في باريس بتوقيع ، ارسيل كابي مترجمة عن مجلة الأزهر  
مجلة ٥ صحيفة ٢٧٩ .

وهذا الأمر يفسر التأثير العظيم الذي أحدثه هذا الكتاب على العرب الذين اعتقدوا بأن محمداً في معارفه الساذجة لا يستطيع أن يؤلف بنفسه هذا الكتاب ، وانه لا بد من أن يكون قد أملاه عليه الملك جبريل .

وقد كان محمد يؤكد بأنه يتلقى معارفه عن الملائكة الأعلى ، وقد أجمع معاصروه على الاعتراف بأن معارفه الخاصة أصغر من أن تجعله يدرك ويكتب مثل هذه التعاليم العالية الحكيمة المشحون بها هذا القرآن .

تلك التعاليم هي التي رقت عقول الملايين من الناس ، ولا تزال ترقى كل يوم شعباً متأخرة بأشراها الحقائق الكبرى الضرورية للذات البشرية من الوجهة الدينية والاجتماعية والخلقية والبيئية . ولن تمضي سنوات قليلة حتى تصبح أفريقيا كلها دائمة للاسلام . والمائة والعشرون مليوناً من المسلمين في آسيا الذين يزدادون كل يوم عدداً لأدلة على حيوية وعظمة ديانة الله ( يريد الاسلام )

لم يأت محمد لمحاكاة التوراة والانجيل ، فانه يقول بأن هذين الكتابين قد أنزلا من السماء مثل القرآن لهداية الناس إلى الحق . وإن تعاليم القرآن جاءت مصدقة لها ولكنه لم يأخذ منهما .

وقد رفض جميع الرموز والأساطير ، ودعا إلى عبادة إله واحد قادر رحمن رحيم كما يصفه بذلك في رأس كل سورة من سوره .

وقد أمر بخمس صلوات في اليوم ليضطر الانسان للتخلي عن اشتغالاته المادية لحفظات في اليوم ، ليرتفع في خلالها إلى مولاه . وأمر أن لا تجعل العبادة موجهة لأغراض ذاتية ، فان الله أعلم بما هو أصلح لنا . وقد أوجب على المسلم أن يتصدق بحصة من إرادته ، وتلك غير الصدقة الاختيارية .

وأوجب حماية المرأة بالاعتراف لها بحقوقها البيئية التي كانت غير معترف بها إلى عهده بمنعه أو بتهديبه مبدأ تعدد الزوجات . وحى الاطفال بتحريم قتلهم تخلصاً من إعالتهم ، وهى تلك العادة القديمة التي كانت منتشرة . ورعى حق الرقيق فأمر بمعاملته كعضو من الأسرة . وقد كان أول من قرر مبدأ المساواة أمام العدالة بين جميع المسلمين : من أغنى الناس وأقوامهم إلى أفقرهم وأضعفهم . وحرّم السرقة والقتل والاكرام . ومنع شرب الخمر والميسر .

وقد أعلن محمد ( صلى الله عليه وسلم ) بأن للانسان حياة مستقبلية فيها عقاب وثواب أبديان ولكن رحمة الله تدع أملاً للذئبين في أن لا تكون عقوباتهم أبدية .

لقد استهزأ المستهزون بجنة محمد ، وقالوا عنها أسوأ ما يمكن قوله ، ولكن كل هذه الأحكام الضالة تتلاشى متى قرأ الانسان القرآن .  
• وما هو جدير بالذكر أن المرأة المسلمة تظهر في تلك الآيات ذات مكانة ، فقد صرح بأنها تشارك زوجها في دار النعيم ،  
الى أن قال :

ان الدين الاسلامى قد أحدث رقياً عظيماً جداً في تدرج العاطفة الدينية فقد أطلق العقل الانسانى من قيوده التي كانت تأمره حول المعابد بين أيدي الكهنة من ذوى الأديان المختلفة ، فارتفع الى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة يجازى فيها على أعماله ، ويأله واحد يمكنه أن يعبد ، ويرتفع بروحه اليه دون أن يضطر لتوسيط وسيط .

ثم ان محمداً بتحريمه للصور في المساجد وكل ما يمثل الله ، قد خلص الفكر الانسانى من وثنية القرون الأولى الحشنة ، واضطر العالم بهذه الصورة

أن يرجع إلى نفسه ، وأن يبحث عن الله خالقه في صميم روحه ، وأن يرتفع إليه عقب ذلك بالعبادة القلبية المملوءة بالاحترام ، والشكر والحب .

إن الناس لم يلفتوا للترقى العظيم الذى أوجده الاسلام من الوجهة الأدبية ، فان ذلك الرقى تحقق بعيداً عنا في أمم اعتدنا أن نصفهم بالبرابرة ، لأنهم ليس لديهم مثل أفكارنا ولا عقائدنا ، ولأنهم متأخرون عنا من الوجهة العلمية والعقلية . ولكن مع هذا كله يجب الاعتراف بأن هذه الحركة الدينية قد ساعدت وتساعد كل يوم لإنارة عقول أمم .

والاسلام الخالص من كل التعاليم الخاصة بالشعوب الطفلة ، ومن كل الشروح الضالة لأقوال النبي ، يظهر لنا أنه أعظم ما يدركه الانسان عن العلاقات التى يجب أن توجد بين الانسان وخالقه ، وأكثرها انطباقاً بين الطبيعة والمنطق <sup>(١)</sup> .

• • •

النظم الاسلامية لرقى الفرد والجماعة وضعت على أسس علمية صحيحة ، فالبحث والتفكير والبرهان والدليل قد نادى بها القرآن ليرقى بالفكر الانسانى ويخلصه من ظلمة التقليد الأعمى ويذكر نفسه عن اقتناع وعقيدة سليمة لا يشوبها شك وترى ذلك فى اثبات وحدانية الله تعالى وصحة الرسالة وما جاءت به وقد دعا القرآن إلى العلم والاستشهاد به ومعنى ذلك قيام الحجة والبرهان من أصحاب المعرفة المطلقة من قيود الهوى والتقليد ، يقول تعالى :

(١) منقولة عن مجلة الأزهر المجلد الرابع صحيفة ٣٦٤ وما بعدها .

(شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) ويقول: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) ويقول تعالى رداً على المشركين الذين قالوا (لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ) فيقول تعالى: (هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَسُخِّرْهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَأَنْتُمْ إِلَّا تُخْرِصُونَ).  
سورة الانعام.

واقدم كان لدعوة القرآن للعلم في نفوس المسلمين الأول أثر بالغ شحذ منهم الحمم ، ودفعهم إلى البحث والتنقيب مما جعلهم أئمة يهتدى بهم في الناحية الدينية والأدبية فحسب بل في مجالات العلم الأخرى مما جعلهم أساتذة لا لمن سبقوهم من الفرس والروم فحسب بل وأساتذة لأوروبا.

قال العلامة ، سديو ، في كتابه ، تاريخ العرب ، : « كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون والصناعات وقد نشروها أينما حلت أقدامهم وتسربت عنهم إلى أوروبا فكانوا سبباً لنهضتها وارتقاها ،  
خطب الأستاذ فارس بك الخوري الوزير الأسبق ورئيس مجلس النواب السوري ومن كبار أساتذة كلية الحقوق وكان مما قاله في خطبته : . . . أن الدين الذي جاء به محمد أوفى الأديان وأكملها ، وإن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ، ولم يستطع علماء القانون المنصفون الا الاعتراف بفضل الشريعة التي دعا الناس إليها باسم الله

وبأنها متفقة مع العلم ، مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية . . .

« إن محمداً الذي تحتفلون به وتكرمون ذكره أعظم عطاء الأرض سابقهم ولاحتهم فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم ، وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ ، وجاء لها بأعظم دياناته عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها (١) ،  
وقال الكاتب الانجليزي الذائع الصيت برنارد شو :

« لقد وضعت دائماً دين محمد موضع الاعتبار السامى لسبب حيويته المدهشة ، فهو حائز لأهلية وهضم الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذاباً لكل جيل .

« وإنى أعتقد أنه لو تولى رجل مثل محمد ديكتاتورية الدنيا الحديثة لنجح في حل مشاكلها بأسلوب يجلب لها السلام والسعادة اللذين يعوزانها كثيراً .

وقال أحد المفكرين الفرنسيين المنصفين المسيو دينيه :

« إن الاسلام قد صلح منذ نشأته بجميع الشعوب والأجناس ، فهو صالح لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات ،

فما بال المسلمين اليوم قد جمدوا ، والقرآن هو القرآن لم يطرأ عليه  
تبديل ولا تغيير . ومبادئه حية لم تبل بعد . تنشأ الانسانية فيه القيام من كبوتها وإفالتها من عثرتها . ولن يكون للمسلمين عز ولا سلطان إلا بالرجوع الى

---

(١) مجلة الفتح العدد ٧٨٣ في ٩ ربيع الأول سنة ١٣٦١ (٢٦ مارس سنة ١٩٤٢) .

قرآنهم ، والاخلاص في العلم والعمل بما جاء به مع الاعتماد على ربهم وعلى أنفسهم .

وسنبين في هذه العجالة أن دعوة القرآن للاصلاح قائمة على أصابين ثابتين

(١) علم صحيح .

(٢) عمل متبع لخير الجميع .

والعلم يتناول كل وجوه الصواب والحق في كل شيء في الأقوال والأفعال

والعمل يتناول كل ضروب الخير والبر لبني الانسان على اختلاف

أجناسهم وأوانهم ولغاتهم .

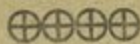
والعلم والعمل لا يؤديان رسالتهما على الوجه الاكمل الا اذا كان عليهما

حارس من الدين القويم والخلق المستقيم . وهذه هي مهمة القرآن ورسالة

الاسلام . والله نسأل أن يهدينا بهدياته ويتولانا برعايته ويسدد خطانا الى

طريقه المستقيم طريق الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين .





## الاسلام والاصلاح

١ - أسباب ضعف المسلمين:

ا - دعوة الاسلام إلى الاصلاح والعمل لخير الجميع

ب - دعوة الاسلام إلى حرية الفكر والعلم

ح - دعوة الاسلام إلى التسامح وارتباط الانسانية بعضها ببعض

١ - أسباب ضعف المسلمين:

إن ما أصاب الأمم الاسلامية في حياتها الاجتماعية من الخلل والانحلال وما طرأ عليها من الضعف والوهن ، يدعو كل مفكر إلى تعرف الأسباب والبحث عن أنجع الوسائل لعلاج هذه الحالة قبل استفحال الأمر وفوات الفرص .

يرجع ما نحن عليه معشر المسلمين من فوضى الاخلاق إلى أسباب عدة ، أهمها :

١ - الجهل المنتشر

ب - تقليدنا لسيئات المدنية الغربية

ح - إهمال الفئة المتعلمة منا لواجباتها نحو محاربة البدع والضلالات

التي سرت في جسم الأمة سريان الحمى في جسم المريض دون أن تجد أدنى مقاومة .

وتدهورنا الخلق له مظهر بارز من اسم التجديد الذى أصبح سلاحاً فى يد الضعفاء والاغرار يدرأون به الشبهة عما يأتونه من منكرات ، وما يذيعونه من سموم الاحاد ، متكرين للفضيلة التى هى قوام الأمة وأساس تقدمها الاجتماعى والاقتصادى . فباسم التجديد أعلن الحرب على العائلة فتفككت وأصرها فضعف سلطان الآباء على الابناء وكلُّ اتخذ إلهه هواه فضل - سعيه : فالولد اباحى ، والبنت خلعت برقع الحياة ، وكلاهما يتعثرن فى مخزيات اثر مخزيات يندى منها جبين الفضيلة . فلا هؤلاء المجددون لحقوا بمصاف من قلدوهم من الغربيين ، ولا هم أبقوا على شخصيتهم وكرامتهم القومية .

إذا انهدمت الأسرة فقد انهارت أركان الأمة من أساسها ، وأصبحت مستباحة الذمار . وقد قالت الحكمة : « إذا تداعت أخلاق الأمة عاجلها الفناء ، وأجمع الباحثون فى نهضات الأمة وتقدمها على أنه ، لا بقاء للحضارة من دون أخلاق ،

فاذا كنا نريد حقاً أن نكون فى مصاف الشعوب الراقية ، فعلينا أن نسلك الطريق القويم الذى دلت عليه تجارب الماضى ومشاهدات الحاضر . قال الاستاذ الدكتور غستاف لوبون « تعلق حضارة الأمة بقدر تمكنها من ضبط نفسها ، أعنى بقدر ثبات أخلاقها ورسوخها ، . . . وإيست نواميس الاخلاق أموراً فرضية ولكنها ضروريات لازمة ،

• يتكون الخلق من اجتماع بعض العناصر المخصوصة وامتزاج بعضها ببعض تلك العناصر هى التى جرى علماء النفس فى هذا العصر على تسميتها بالمشاعر ، وأهم المشاعر فى تكوين الخلق المثابرة وقوة العزيمة والقدرة على حكم النفس ، وكلها ملكات راجعة إلى الإرادة . ونذكر أيضاً من تلك العوامل الأساسية الأدب إن كان هو فينما خلاصة مشاعر مختلفة ، ونريد

بالادب ذلك الاحترام الوراثي للنوايس التي تقوم عليها حياة الامة ،  
فعنى أن الامة ذات أدب أن لها قواعد تسيير عليها . . . والادب ابن الخلق  
فهو لا يثبت إلا إذا صار وراثيا ، أعنى غير تنبهي . وعظمة الامة تابعة على  
وجه العموم لدرجة ارتقاء الآداب فيها .

وعندنا أنه ليس هناك دواء ناجع لبرئتنا بما نحن فيه من علل وأمراض  
إلا التمسك بمبادئ الاسلام والرجوع إلى ( القرآن الكريم ) وهو خير  
كتاب يدعو إلى جماع الفضائل في أعلى مراتبها فهو جدير بحق أن يكون  
أساسا ومرشداً ومرجعا لنهضتنا الخلقية التي بدونها لا تصلح أي نهضة  
أخرى : اجتماعية كانت أو اقتصادية أو غيرها .

وإذا كنا ندعو إلى التخلق بأخلاق الله وآدابه في كتابه العزيز فذلك  
لأسباب أهمها :

ا — أن أدب القرآن مؤسس على الدعوة إلى الإصلاح والعمل  
لخير الجميع .

ب — أدب القرآن قائم على حرية العلم والفكر وهما أساس النهضة  
الصحيحة .

ح — أدب القرآن يدعو إلى التسامح وارتباط الانسانية بعضها ببعض  
فهو ليس دين أمة وإنما هو دين عالمي إنساني يسعى لتعظيم الخير ونشر الايمان  
والسلام في العالم .

ا — إن المتصفح للقرآن الكريم لا يري آية من آيات الله عز وجل  
تدعو إلى الايمان به إلا ومعها دعوة إلى ما يجب أن يكون عليه الايمان من  
الصفات والاخلاق أو دعوة إلى الإصلاح ، فهو من هذه الناحية لم يقتصره

على سعادة الآخرة بل هو دين جد وعمل في هذه الحياة أيضا : لتتدبر قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ (سورة النحل) . وما وصف به المؤمنين وما يجب أن يكونوا عليه ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا . وَالَّذِينَ يَدْعُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا . وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا . وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلْدُ فِيهِ مَهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا . وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا . وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (سورة الفرقان)

فالمؤمن حسب هذه الآية هو الرجل المتواضع في غير ذلة والمعروض عن السفاسف والترهات ، المجاهد نفسه في سبيل رقيها بعبادة الله ومراقبته ،

المقتصد في عمله وماله ، المحترم لحقوق غيره ، غير قاتل ولا زان . وإذا أخطأ تاب وشرط التوبة عدم الرجوع إلى ما فعل وسلوك سبيل الإصلاح كما لا يشهد الزور . وأن يكون من صفاته أيضا البحث والتفكير في صنع الله .

وقد حث الله تعالى في مواضع كثيرة على العمل للإصلاح والدعوة إليه ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (سورة فصلت) . ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي

تَقْرَبُونَ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ

بِمَا عَمَلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴾ (سورة سبأ)

إن الوسيلة الناجمة لسعادة الانسان وسيادته في الدنيا والآخرة هي

السعي للعمل الصالح والنافع أينما وجد وأينما حل قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (سورة القيمة) . ﴿ فَمَنْ كَانَ

يُرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (سورة

الكهف) . فإله سبحانه وتعالى يريد أن يكون الانسان محبا لخير الناس

وعاملا لما فيه نفعهم وصلاحهم . وإذا ذكرنا الإصلاح ذكرنا التجديد

المشروع القائم على الحاجة لأن لكل زمان ومكان شروطا خاصة ولذلك

غان باب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه لمن بلغ مرتبته .

وقد أجمع فقهاء الاسلام على أن ما يلزم للأمة من الحاجيات التي لا يقوم

كيانها ولا يرتفع شأنها إلا بها هي من فروض الكفاية التي تلزم الأمة بأسرها ما لم يقم بها بعض أفرادها. لأن طبيعة الدين الاسلامي تأمر بالأخذ بأسباب أهله بالقوة والعزة كما يأتي على معتقيه الذلة والمسكنة والتأخر.

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَرَسُولُهُ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا الْحُسْنَىٰ لِلَّهِ فِي سَبْعِينَ مِائَةً أَلْفًا مِّنْ أَلْفٍ ﴾ (سورة المنافقين) . ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ

خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا ﴾ (سورة لقمان) . ﴿ وَجَزَاءُ

سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (سورة الشورى)

أمر القرآن في مواضع كثيرة بالأخذ بالعفو طلبا لسلام النفوس وطمأنينتها فقال تعالى : ﴿ وَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (سورة

البقرة) . ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (سورة

الشورى) . ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة البقرة)

ب - قلنا ان أساس معتقدات القرآن الكريم سواء من ناحية الايمان أو من ناحية الاصلاح قائمة على حرية الفكر والعلم وقد جرى فيها شوطا لا يلحق فيه غباره فقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ

الْخَلْقَ ﴾ (سورة العنكبوت) . ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة آل عمران) .

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾  
وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (سورة الحشر) كما وردت  
أيضاً الأحاديث الكثيرة - حاشا على طلب العلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم «طلب العلم  
فريضة على كل مسلم» ، «أطلب العلم ولو بالصين» ، وقال «يوزن يوم  
القيامة مداد العلماء بدم الشهداء» ، «فضل العلم خير من فضل العبادة» ،

وقد أنصف العلامة المسيو «كازانوفا» ، أحد كبار أساتذة كوليغ دو  
فرانس بياريس حيث يقول «يعتقد الكثيرون منا أن المسلمين لا يستطيعون  
تمثل آرائنا وهضم أفكارنا» ، يعتقدون ذلك ويفسون أن نبي الإسلام هو  
القائل بأن فضل العلم خير من فضل العبادة . فأى رئيس ديني كبير وأى قس  
من القساوسة العظام كانت له الجرأة أن يقول مثل هذا القول الفاضل المبتين .  
هذا القول هو نفسه عنوان حياتنا الفكرية الحاضرة .

نعم إن هذا مبدؤنا اليوم ولكن أليس العهد بقريب يوم كانت الكافة  
عندنا من أهل العقول تنظر إلى مثل هذا الشعار كأنه رمز العار ومجلة الشنار  
كما أنه سوف يقال إن أوضح مبادئ الحرية الفكرية قد كسفت أمثال  
«لوثير» ، و«كالفين» ، وعاد الفضل فيها إلى رجل عربي من رجال القرن  
السابع ، ذلك هو صاحب شريعة الإسلام .

وقد ألف الأستاذ الدكتور هورتن وهو من علماء الألمان عدة كتب  
دافع فيها عن الإسلام ومنها كتاب «استعداد الإسلام لقبول الثقافة» .

الروحية ، جاء فيه « تجدد بالاسلام اتحاد الدين والعلم . وهو الدين الوحيد  
الذى يوحد بين هذين وتجدد كيف ان الدين موضوع بدائرة العلم وترى وجهة  
الفيلسوف ووجهة الفقيه متماثيتين معا وهما واحدة . وواقفتان كنفنا لكنتف  
دون نزاع .

ح — حرية الفكرة وحرية العلم تستلزمان بطبيعتهما . حرية البحث  
والمناقشة وقد سلك القرآن في هذا السبيل أقوم الطرق وأجداها . ودعا إلى  
الحق بالحسنى في هوادة ورفق وأدب جم ولين في غير ضعف فقال تعالى :  
{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ  
أَحْسَنُ } (سورة النحل) { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ  
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } (سورة فصلت)  
{ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ } (سورة  
الكهف) { فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ } (سورة  
الغاشية) { فَأَنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } (سورة الرعد) .

بمثل هذه الوسائل التي بلغت ذروة الرقي أراد الاسلام أن يحل بين  
المسلمين وغير المسلمين الوثام والسلام وأن يتبادلوا المنافع عن طريق الحرية  
الصحيحة والعدل والرحمة { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى



وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿ (سورة  
الحجرات) ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم  
مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (سورة  
المتحنة) ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ﴾  
(سورة المائدة - ٢)

خطب سعيد بن سويد بمحضر قال : يا أيها الناس إن الاسلام حائط  
منيع وباب وثيق ، فحائط الاسلام الحق وبابه العدل ، ولا يزال الاسلام  
ما اشتد السلطان ، وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط  
ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل ،

بعد هذا نسأل المتمردين على الدين في هواة ورفق : ما الذي حدا بك  
إلى نبذ هذا الدين والخروج عليه ورميه بكل المثالب والمطاعن ؟ إن كنتم  
تتخذون حالة المسلمين اليوم من وهن وضعف وجود حجة على الدين فوالله  
ما أنصفتم في الحكم !! كان يجب عليكم أن تعرضوا حال المسلمين على كتاب  
الله وتطبقوا ما وضعه من القواعد والقوانين عليهم ليظهر لكم الفارق الكبير  
وإن الكثير من المسلمين لا يحملون من الدين إلا اسمه ، فهم كما يقول بعض  
الناس مسلمون جغرافيون . لأن طبيعة الاسلام كما قدمنا التفكير والعمل  
الصالح والتخلق بأخلاق الله فهل المسلمون ملتزمون هذه الصفات ؟ ؟ إذ  
ليس جمود المسلمين إلا من عدم اتباعهم للدين الصحيح وتمسكهم بالخزعبلات

والضلالات التي ليست من الدين في شيء. والتي قضت عليهم بالذل والام  
والتأخر. وها هو القرآن الكريم بين أيدينا وهو الكتاب الذي لا  
الباطل حجة على ما نقول.

لم يحل الاسلام بين المسلمين ورفيهم واعزازهم ، وفي ماضيه منذ  
الحلفاء الراشدين أكبر شاهد ، وإنما الذي وقف في سبيل المسلمين هو  
بكتاب الله وسنة رسوله . لأن الاسلام سهل مرن صالح لكل زمان ومكان  
لا يتمرد على الطبيعة ولا يتفحح عثره في سبيل التقدم والحضارة الخ  
بل على النقيض من ذلك يدفع بمتعنيه إلى أن يتبوأوا ذروة المجد ليكونوا  
مصاف أرق الأمم حضارة ومدنية .

قال أحد المفكرين الفرنسيين المنصفين المسيو دينيه يهدف طبيعة الاس  
ولا يتمرد الاسلام على الطبيعة التي لا تغلب ، وإنما هو يساير قوا  
ويزامل أزمانها ،

على أن الاسلام لا يكفيه أن يساير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها ، و  
هو يدخل على قوانينها ما يجعلها أكثر قبولا وأسهل تطبيقاً في إصلاح ونهضة  
ورضاء ميسور مشكور حتى لقد سمي القرآن ( بالهدى ) لأنه المرشد إلى أفق  
مسالك الحياة ولأنه الدال على حسن مقاصد الخير .

وقال الدكتور هورتن الألماني : لا تجد بالاسلام سداً يمنع نفوذ التف  
الغربية اليه ، بل ترى أن له استعداداً غير محدود لقبول الثقافة ،

أساس الإصلاح الذي ندعو اليه جميع المسلمين في مشارق الأرض  
ومغاربها هو أن يكون القرآن الكريم قيمتهم للتخلق بأخلاقه ، وأن يأخذوا  
ما يصلح لهم من وسائل المدنية الغربية الحديثة وغيرها في الصناعة والتجارة

والامت  
العلماء والارادة والعلوم والمعارف ما يرقى شأنهم ويعلى قدرهم ويحفظ مجدهم ويبقى  
نهم على استقلالهم وحريةهم .

وسنين فيما بعد كيف أن القرآن الكريم قد دعا لتعلم العلوم وهدى إلى  
رقيها والحرية الفكرية في أوسع مناطقها والعمل للخير العام والمنافع العامة  
كانت دعوة الاسلام في ذلك قوية متينة حتى أتت بأكبر التناجح وأحسن  
العلماء المبرزين غربيين وغير غربيين  
أن الدين الاسلامي أصبح ضرورة للأخذ بتعاليم قرآنه وسنة رسوله عليه  
السلام وأقوال أئمنه والمصلحين رضى الله عنهم حتى يأمن المسلمون  
مفازات الآديية والروحية ويخطون نحو التقدم والرقى بخطوات متأدة ثابتة  
ترفع شأنهم ويعود اليهم عزهم ويؤدوا ما عليهم من واجبات نحو الانسانية  
تامة يعملون لخيرها ويحمون أنفسهم من شرها هداانا الله إلى ما فيه الصواب

# آيات العلم

لنبي الاسلام محمد عليه السلام

— ١ —

محمد النبي الامي هو اول من حارب الامية :

فتوحات الإسلام لمغاليق العلوم وأثر ذلك في تقدم الإنسانية  
إن الآيات الأولى التي نزلت على نبي الإسلام محمد عليه السلام قوله  
تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ  
الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (سورة العلق)  
قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أول ما بدى به صلى الله عليه  
وسلم الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح  
ثم حبيب إليه الخلاء فكان يحلو بغار حراء فيتحنث (وهو التعبد) الليالي ذات  
العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها  
حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارىء قال  
فأخذني فغطني (أى ضمني وعصرني) حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال  
اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني  
فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال :

﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم  
الذى علم بالقلم ﴾ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده  
فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى (أى لففونى) فزملوه  
حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى .  
فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً، انك لتصل الرحم وتحمل الكل  
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به  
خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان  
امراً قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من  
الانجيل ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى . فقالت خديجة :  
يا ابن عم إسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة بن نوفل : يا ابن أخى ماذا  
ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى . فقال له ورقة :  
هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعاً ( قى قويا ) ليتنى  
فيها حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرجنى  
هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى  
يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحى  
(رواه للبخارى)

قال بعض المفسرين إن المراد من ( اقرأ ) أى اقرأ القرآن إذ القراءة  
لا تستعمل إلا فيه قال تعالى ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . . وقال ، وإذا قرأت  
القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ، ( و اسم  
ربك ) المعنى اقرأ القرآن مستعيناً باسم ربك . وتحقيقه أنه لما قال له اقرأ

قال لست بقارىء فقال ( اقرأ باسم ربك ) أى اهتمن باسم ربك واتخذوه  
عوناً فى تحصيل هذا الذى عسر عليك ( الذى خلق ) أى الذى خلق كل شىء ثم  
بعد التعميم أخذ يخص الانسان بالذكر لشرفه وللدلالة على وجوب العبادة  
شكراً على نعمة الخلق فقال ( خلق الانسان من علق ) جمع علقه : أى دم  
عبيط كما نقل ابن عباس رضى الله عنهما ( اقرأ وربك الأكرم ) وكيف لا  
يكون أكرم وهو قد علم عباده ما لم يعلموه . ونقلهم من ظلمة الجهالة إلى نور  
العلم فقال ( الذى علم ) الكتابة ( بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم ) فهذا هو  
وجه كونه أكرم فى حق العبد . فهو إذ خلقه كريم وإذ علمه فهو أكرم ،  
لأنه أعطاه فضلاً على فضل ، ونوراً على نور . فهذه زيادة فى الكرم .  
ولعمرك لو لا القلم ما حفظت العلوم .

إن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه أولاً بأنه خلق الإنسان من علق ،  
وثانياً بأنه الذى علم بالقلم ولا مناسبة فى الظاهر بين الأمرين ، ولكن  
التحقيق ان أول أحوال الإنسان كونه علقته وهى أخس الأشياء وآخر  
صيرورته عالماً بحقائق الأشياء وهو أشرف مراتب المخلوقات ، فكأنه يقول  
انتقلت من أخس المراتب إلى أعلى المراتب ، فلا بد من مدبر مقدر ينقلك  
من تلك الحالة الخسيسة إلى هذه الحالة الشريفة . ثم فيه تنبيه على أن العلم  
أشرف الصفات الإنسانية كأنه تعالى يقول : الإيجاد والأحياء والأقدار  
والرزق كرم وربوبية ، أما الأكرم فهو الذى أعطاك العلم ، لأن العلم هو  
النهاية فى الشرف .

والمراد من القلم أى علم الانسان الكتابة بالقلم وهذا تنبيه على فضيلة  
الكتابة وأنها وسيلة العلم وحصره ونشره ودعوة إلى الاهتمام بأمرها لأنها

رسول التعارف بين الأفراد والأمم .

يروى أن سليمان عليه السلام سأل عفريتاً عن الكلام ؟ فقال ربيح لا ✓  
 يبقى . قال فما قيده ؟ قال الكتابة . فالقلم صياد يصيد العلوم بيكي ويضحك  
 بركوعه تسجد الأنام وبحركته تبقى العلوم على مر الليالي والأيام (١)

وإذا كانت الكتابة وسيلة لقيد العلوم ، وانتشار المعارف بين الناس في  
 مشارق الأرض ومغاربها فهي أيضاً برهان صدق لحفظ الحقوق والمعاملات  
 بين الناس وقد أمر بها القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِذَيْنِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ

وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ

وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً

أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْلِكَ هُوَ فَلْيَمْلِكْ لَهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ

رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهُدَاءِ

إِن تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهُدَاءُ إِذَا مَادَعُوا

وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَمُ اقْضَى عِنْدَ اللَّهِ

وَاقُومُ الشُّهُدَاءِ وَأَذْنَى الْآلِ تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ

(١) تفسير الفخر الرازي الجزء الثامن ص ٤٦٣

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا . وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ  
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّوْا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ (سورة البقرة)

ذهب بعض الناس إلى أن كتب الديون واجب على أربابها فرض هذه  
الآية يعبأ كان أو قرصاً لثلا يقع فيه نسيان أو جحود وهو اختيار الطبرى .  
وقال ابن جريج : من أدان فليكتب ومن باع فليشهد . وقال الجمهور :  
الأمر بالكتب نذب إلى حفظ الأموال وإزالة الريب . وإذا كان الغريم  
تقياً فإيضره الكتاب وإن كان غير ذلك فالكتاب ثقاف في دينه وحاجة  
صاحب الحق . قال بعضهم : إن أشهدت حزم ، وإن ائتمنت فني حل وسعة ،  
إن عطية : وهذا هو القول الصحيح ولا يترتب نسخ في هذا لأن الله تعالى  
نذب إلى الكتابة فيما للمرء أن يهبه أو يتركه باجماع . فندبه إنما على جهة  
الحيطة للناس (١)

فالقرآن الكريم وضع أكبر دعائم الإصلاح في الآيات الأولى التي  
أنزلت على صاحب الدعوة ، والتي بها يكون نشر الثقافة الإسلامية ألا وهي  
القراءة والكتابة . وفي هذا بيان وتذكير لكافة المسلمين رجالاً ونساء في  
مشارك الأرض ومغاربها أن يتعلموا القراءة والكتابة ليستطيعوا أن يتعلموا  
ويدرسوا القرآن وهو نشق من القراءة ، وأن يعملوا بما جاء به من أوامر

(١) الجامع لأحكام القرآن لأبي محمد عبد الله بن أحمد الأنصارى



ونواه . قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَىٰ مَكَتٍ ۖ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾

(سورة الاسراء) . والمعنى أن هذا القرآن (فرقناه) نزلناه مفروقاً في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة (لتقرأه) على الناس (على مكث) مهمل وتؤدة ليفهموه (ونزلناه تنزيلاً) شيئاً بعد شيء على حسب المصالح .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْفَىٰ مِنْ نُثْقَىٰ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَّةً

وِطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۗ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ

عَلَيْكُمْ فَأَقْرَأُوا مَا تَشَاءُونَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًىٰ وَأُخْرُونَ

يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ (يسافرون) يبتغون من فضل الله (يطلبون من رزقه

بالتجارة وغيرها) وآخرون يُقاتلون في سبيل الله فأقرأوا ما تيسر منه

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا

لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ﴾ (سورة المزمل)

إن الآيات الأولى التي نزلت على نبي الإسلام عليه السلام تخبرنا في

عبارة واضحة على أن رسالة القرآن هي الهداية القائمة على أساس العلم والنظر

الصحيح لأن فيها دعوة صريحة إلى ما يأتي :

(١) تعلم القراءة والكتابة وهما مفتاحا العلم وأداته .

(٢) إن الله العالم القدير قد خلق الانسان وأعد له للعلم ورسالته وبين

أنه خلق الانسان من علقمة لا ترى بالعين المجردة ثم سواه إنساناً كاملاً على أن يخلف الله في أرضه ويسخر ما في الكون لنفسه ، ولكن بأى يتعلم ؟

أداة العلم في الانسان هي السمع والبصر والفؤاد وقد ذكرها القرآن في من موضع في معرض المنة فقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ نَسِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَمَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ

يُؤْنَسُونَ ﴾ (سورة النحل) . وكأنه يقول تعالى لنا إذا كنتم خرجتم دنيا جهلاء لا تعرفون شيئاً فإني سلحتكم بأدوات المعرفة وهي في ثم وأجسامكم من السمع الذي به تتلقون العلم والمعرفة عنم هو أعلم ، والبصر الذي تشاهدون به وبه تميزون الأشياء ، والفؤاد الذي تلون .

إذا عطل الانسان هذه الأداة واستعملها في غير موضعها وأرسلها لقضاء غفل عن العلم وهدايته كان في مصاف البهائم وخسر الدنيا والآخرة الى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ( خَلْقْنَا ) لِحَبَّكُمْ كَثِيراً مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ

لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَابِصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (سورة الاعراف)

على رضى الله عنه : الناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله

أن يعلم : أعمله عليه أم له ؟ فإن كان له مضي فيه وإن كان عليه وقف عند العامل بغير علم كسائر في غير طريق فلا يزيد بعدة عن الطريق إلا بعد حاجته . والعامل بالعلم كسائر على الطريق الواضح (١)

إذا كان آدم عليه السلام علمه الله تعالى الاسماء كلها فبني الاسلام الصلاة والسلام أرشده تعالى إلى مفاتيح هذه العلوم من النظر والتفكير والتجربة ، وذلك عن طريق السمع والبصر والفؤاد ، يعينه ذلك القراءة والكتابة . و ليس للعلم إلا طريقان : إما النقل عن الغير ، البحث والتجربة ، وطريقهما المشاهدة والتفكير . وهذا أول فتوحات الالمغاليق العلوم . والاسلام هو الذي رفع طابع الأمية عن العرب وغيره يدينون به لطلب العلم دفعاً لا هوادة فيه . وقد بدأ النبي صلى الله عليه برفع هذا الطابع بعمل لم يسجل مثله لمصلحة في الأرض . وذلك أنه فداه الأسير الذي كان يعرف القراءة والكتابة في وقعة بدر وهي الوقائع الاسلامية ان يعلمها نقرأ من المسلمين ففعل .

وكان من أثر ذلك أن نهض المسلمون باحثين ومتقنين عن واستخدامه لقيهم . فترجموا الكتب النافعة لمن سبقهم من العلماء وابتدعوا وكان لهم الأثر المحمود في النهضة العلمية وذلك كله بفضل الاسلام ودعوة القرآن الصريحة الواضحة في طلب العلم في جميع آفاق الصالحة لخير بني الانسان .

قال العلامة درابر في كتابه المنازعة بين العلم والدين : إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة ٦٣٨ ميلادية أى بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم بست سنين ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى كانوا مستأنسين بجميع الكتب العلمية اليونانية ومقديريها قدرها الصحيح . . إلى أن قال ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً وأوجدوا علوماً جديدة لم تكن معروفة قبلهم (١)

---

(١) عن مجلة الأزهر . المجلد الرابع ص ٣٥٥

## القراءة والكتابة

وأثرهما في النهضة العلمية

قال الله تعالى : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾

هذه وما بعدها نزلت بعد آيات العلق . ون تطلق على الدواة  
قال الشاعر :

إذا ما الشوق يرحب إليهم ألقى النون بالدمع السجم

ون يطلق على الحوت . وفي بعض الحيتان مادة تصنع للكتابة .  
( والقلم ) وهو كل ما يخط به ( وما يسطرون ) وما يكتبون . أقسم الله  
بالدواة والقلم وبكل ما يكتب فتحاً لباب التعليم العام بالقلم والكتابة .

قال ابن عباس : أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب ما هو كائن إلى  
أن تقوم الساعة . فجزى بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة من الآجال  
والأعمال . والمراد من هذا أنه تعالى أجراه بكل ما يكون وهو كقوله :

﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون ﴾ فإنه ليس هناك أمر ولا  
تكليف بل مجرد نفاذ القدرة في المقدور من غير منازعة ولا مدافعة (١)

---

(١) الفخر الرازي ج ٨ ص ١٩٤

إن العلم الصحيح لا يقوم إلا على الاحصاء الدقيق من التجربة والمشاهدة التي لا يعترها شك . وقد وضعت الكتابة لتسكون البرهان لصحة تدوين الحوادث ، وأن الله سبحانه وتعالى يذكر الانسان بأنه سيحصى عليه أعماله وأقواله ليجزيه عليها الجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة وأنه سيوكل به رقيباً سرين يدونون ما يقول وما يعمل . قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ .

كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ ( سورة الانفطار )

والمعنى أن ملائكة الله موكلون بكم يكتبون أعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ . مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ( حاضر ) . وقوله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾

إن الله تعالى أجرى أموره مع عباده على ما يتعاملون به فيما بينهم لأن ذلك أبلغ في تقرير المعنى عندهم . ولما كان الأبلغ عندهم في المحاسبة اخراج كتاب بشهود خوطبوا بمثل هذا فيما يحاسبون به يوم القيامة ، فيخرج لهم كتب منشورة ، ويحضر هناك ملائكة يشهدون عليهم كما يشهد عدول السلطان على من يعصيه ويخالف أمره . فيقولون له أعطاك الملك كذا وكذا ، فعل بك كذا وكذا ، ثم قد خالفته وفعلت كذا وكذا .

وصف الله الملائكة بصفات ( أولها ) كونهم حافظين ( وثانيها ) كونهم كراماً ( وثالثها ) كونهم كاتبين ( ورابعها ) كونهم يعلمون ما تفعلون . وفيه وجهان : ( أحدهما ) أنهم يعلمون تلك الأفعال حتى يمكنهم أن يكتبوها

وهذا تنبيه على أن الانسان لا يجوز له الشهادة إلا بعد العلم . ( والثاني ) أنهم يكتبونها حتى يكونوا عالمين بها عند أداء الشهادة ، وإن وصف الله تعالى إياهم بهذه الصفات الخمس يدل على أنه تعالى أثنى عليهم وعظم شأنهم ، وفي تعظيمهم تعظيم لأمر الجزاء (١)

إن هذه الآيات الأولى التي نزلت وما تلاها من القسم بالقلم والكتابة تشریف لشأنهما وعلو منزلتهما وتنبيه وتذكير على أن واجب كل مسلم أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه ربه ، وأن الأمر جد خطير ، وأن الانسان لا يحاسب على أعماله الخمس ، وإنما يحاسب أيضاً على نتائج أعماله وآثاره بعد موته وأن الله تعالى يحصيها عليه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ

وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة

يس) . فمن ترك بعد موته من المؤلفات العلمية المفيدة ، والصدقات الجارية كبناء المدارس والمستشفيات والملاجئ والمعاهد العلمية لرفق الأمة كل ذلك يكتب في صحيفة الانسان بعد رحيله من الدنيا ما بقيت هذه الآثار

وكذلك إذا ترك الانسان بعد موته مخلفات سيئة كناد للقتال أو كتاب زندقة والحاد أو فكرة ضالة غاوية روجها وحسنها واعتنقها بعض ضمايف العقول أو فاسدى الأخلاق فكل نتائج هذه الاعمال تكسب وترصد في صحيفته بعد موته حتى تنتهى وتزول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من

عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزانهم شيء . . . رواه مسلم  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من  
 ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له . . . رواه مسلم  
 فالقلم الذى أقسم به الله تعالى فيه انذار وتبشير لانه سيكون أداة لتسجيل  
 الأعمال والأقوال ، ولذلك وجب على كل مكلف أن يحفظ سمعه وبصره  
 وفؤاده من العبث والاهو وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ مَا يَمْسُرُونَ بِهِ إِنَّ  
 السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عِنْدَهُ مُسْتَوْلاً ﴾ (سورة الاسراء) .  
 كما يجب أن يحفظ الانسان لسانه عن جميع الكلام إلا ما ظهرت فيه المصلحة  
 ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد ينجر  
 الكلام المباح إلى حرام أو مكروه وذلك كثير في العادة والسلامة لا يعدلها  
 شيء . . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر  
 فليقل خيراً أو ليصمت ، رواه البخارى ومسلم . وهذا صريح في أنه ينبغي  
 أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً وهو الذى ظهرت مصلحته ، ومتى  
 شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع  
 النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها  
 يزل بها إلى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب ، ومعنى يتبين يفكر أنها خير  
 أم لا . رواه البخارى ومسلم . وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن  
 العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى بها بالا يرفعه الله بها  
 درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى بها بالا يهوى  
 بها في جهنم ، رواه البخارى .



وعن معاذ رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد . ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بلسانه قال : كف عليك هذا ، قلت يا رسول الله : وأنا لمؤاخذون بما تتكلم به ؟ قال : ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ، رواه الترمذى إذا كان الانسان محاسباً على كل صغيرة وكبيرة فواجب عليه أن يحيا حياة الحذر والجد ويزرع في حياته ما يجب أن يحصد ثماره بعد وفاته وما يجب أيضاً أن يلقى الله تعالى به إذ أن أعماله وأقواله التي ترصد يومياً عليه ساعة بساعة بل لحظة بلحظة ستجمع له كتاباً يلقاه يوم القيامة منشوراً قال تعالى : ﴿ وَكُلُّ إِنسَانٍ أَلْمِزْنَاهُ طَائِرَةٌ ﴾ ( عمله يحمله ) في عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا ( مكتوباً فيه عمله ) يَلْقَاهُ مَنْشُورًا . اقرأ كتابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ( محاسباً ) . ( سورة الاسراء )

وإذا استعرضنا الآيات الأولى التي نزلت على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وتتبعنا تطوراتها وترتيبها وجدنا أن الله تعالى وضع للانسان نظاماً محكماً يرفع من شأنه اذا أخذ به واتبعه ، هذا النظام يشمل القواعد الأولى في خلق الانسان وتعليمه حتى يصير أهلاً لخلافة الله في أرضه ، وذلك عن طريق العلم الذي تستقيم به الأمور .

قال الله تعالى مخاطباً نبي الاسلام عليه صلوات الله : ﴿ وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ

الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً  
(سورة النساء).

قال القفال رحمه الله هذه الآية تحتل وجهين:

أحدهما — أن يكون المراد ما يتعلق بالدين كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، وعلى هذا الوجه تقدير الآية: «أنزل الله عليك الكتاب والحكمة وأطلعك على أسرارهما وأوقفك على حقائقهما مع أنك ما كنت قبل ذلك عالماً بشيء منهما فكذلك يفعل بك في مستأنف أيامك لا يقدر أحد من المنافقين على اضلالك وازلالك»

الوجه الثاني — وعلمك ما لم تكن تعلم من أخبار الأولين، فكذلك يعلمك من حيل المنافقين ووجوه كيدهم ما تقدر به على الاحتراز عن وجوه كيدهم ومكرهم: ثم قال: «وكان فضل الله عليك عظيماً، وهذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف الفضائل والمناقب. وذلك لأن الله تعالى ما أعطى الخلق من العلم إلا القليل كما قال: «وما أوتيتم من العلم الا قليلاً» ونصيب الشخص الواحد من علوم جميع الخلق يكون قليلاً، ثم أنه سمي ذلك عظيماً حيث قال: «وما أوتيتم من العلم الا قليلاً» وسمى جميع الدنيا قليلاً حيث قال: «قل متاع الدنيا قليل» . وذلك يدل على غاية شرف العلم (١)

فالعلم هو الوسيلة التي يتبين بها وجه الصواب من الخطأ كما يوضح الهدى من الضلال. فهو النور الذي يفرق بين الحق والباطل، ولذلك عبر الله تعالى عن القرآن بالكتاب كما عبر عنه بالنور الذي يكشف عن وجه الصواب

فيما اختلف فيه قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (سورة المائدة)

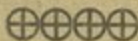
والقرآن كتاب تربية عليية وتعليم لا كتاب تعليم فقط ، فلا يكفي أن يذكر فيه كل مسألة مرة واحدة واضحة تامة كالمعمود في متون الفنون وكتب القوانين وقد بين الله تعالى ذلك بقوله في موضوع البعثة المحمدية فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة الجمعة)

فآياته المتلوة هي سور القرآن المرشدة إلى سننه في الأكوان . والتزكية هي التربية بالعمل وحسن الاسوة والكتاب هو الكتابة التي تخرج العرب من أميتهم والحكمة هي العلوم النافعة الباعثة على الأعمال الصالحة وما يسمى في عرف الشعوب الحضارة والفلسفة . لجميع مقاصد القرآن وبيان السنة له تدور على هذه الأقطاب الثلاثة (١)

كتابة وعلم وتعليم وهداية وارشاد . هذه هي دعوة القرآن في آياته الأولى التي نزلت على نبي الاسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن التفرقة

إلى الاتحاد ، ومن الضعف إلى القوة ، ومن الجهل إلى العلم .  
وقد سرى هدى القرآن وتعاليم الاسلام في نفوس العرب والمسلمين مما  
جعلهم يجدون ويدأبون في سبيل العلم والاختراع مما جعلهم أساتذة لمن  
سبقوهم من الأمم حضارة وعلماً .

قال الأستاذ الكبير الدكتور ، بروكلمان ، في مقال تحت عنوان ما أثر  
العرب في العلوم المدنية . فيفضل الاسلام استقامت الأمة العربية على نهج  
الأمم التي كتب لها بلوغ أقصى الغايات من النظام والتوسع واحتمال التبعات  
العالمية مما لا يوجد له نظير في الأرض .



## مآثر العرب في العلوم المدنية<sup>(١)</sup>

لكتاب العرب وعلماهم في صدر الاسلام من المآثر العديدة الخالدة في العلوم المدنية مثل الفلسفة والرياضة والعلوم الطبيعية ، بسبب تقدم الحضارة والثقافة الفكرية في هذه العصور ، ما جعل لهذه العلوم أثراً يذكر في تاريخ الأدب العربي على العموم ، وجعل من علماء العرب أساتذة للغرب يقتنى أثرهم ويهتدى بنور أبحاثهم ، ولو أن هذه العلوم كانت في الأصل دخيلة على علوم العرب أخذوها من الأغرقيق وهذبوها بما يناسب الحضارة الاسلامية ، وبقيت شطراً من الزمن في عداد الثمرات الغريبة والتراث الأجنبي . وكان أول من اهتم بنقلها إلى العربية علماء الشام المسيحيون وشاركهم في ذلك نفر قليل من العرب ، إلا أنها ما لبثت أن احتضنها أمراؤهم وتعهدوا رجالها برعايتهم وحسن تقديرهم حتى خصبت تربتها وأينعت أيما إيناع ، فأنتجت قرائحهم ثمرات طيبة لا يدانيها ما أنتجه غيرهم من الشعوب المتاخمة ذات الحضارات القديمة .

بدأ ظهور حضارة الأغرقيق في الأدب السوري القديم منذ كانت بلادهم تقع تحت سيطرة الامبراطورية الشرقية ، وزاد تأثره بها بفضل العوامل السياسية التي ساعدت على اهتمام علماهم بنقل المؤلفات الأغريقية إلى اللغة

---

(١) مترجمة لمجلة الأزهر (المجلد السادس) من الالمانية نقلا عن كتاب « تاريخ الأدب العربي ، للمستشرق الالماني الكبير الأستاذ الدكتور بروكلمان » .

العربية . وكذلك نشط علماء الدولة الفارسية في ترجمة كتب فلاسفة الأغرقي بفضل رعاية ملوك الدولة الساسانية وعضيدهم لدراسة الفلسفة والطب ، فأسس خسرو أنوشروان في عام ٣٥٠ م مدرسة في جنديسابور ، بخوزستان لتعليم هذه العلوم ، وقد قامت هذه المدرسة بواجبها خير قيام ، وبقيت مزدهرة حتى أيام العباسيين ، ومنها انتقلت القواعد الاساسية التي وضعها أرسطو للمنطق الى علماء المسلمين في البصرة ، فكانت أساساً لقواعد النحو العربي .

وكانت حران مهدياً لنشأة علوم الرياضة والفلك التي استعملت كباقي العلوم الأغرقيه سلاحاً في يد الوثنيين لمحاربة رسل المسيحية في الشام ، وبقى الحرانيون متمسكين بعقائد أسلافهم حتى بعد دخول الاسلام وحكم العرب بقرون عديدة ، ولقى الكثير من علماءهم الفلكيين والرياضيين رعاية كبيرة وتقديراً عظيماً في بلاط خلفاء المسلمين ببغداد .

وفي أول حكم العباسيين بدأ بعض علماء الشام المسيحيين بترجمة المؤلفات الطيبية الى اللغة العربية ، إلى أن جاء الخليفة المأمون فكان أكبر عضد وأشد ساعداً في هذه النهضة الأدبية الجديدة ، وكان المأمون يعرف الحكمة والفلسفة الأغرقيه ويقدرها قدرها ، وكان مولعاً بها إلى أبعد حد ، فأسس لدراستها بمهد ببغداد وشيد إلى جانبه دوراً كثيرة للكتب ومرصداً فلكياً .

وفي أثناء خلافته اشتغل كل من قوستا بن لوقه من بعلبك وحنين بن إسحق وابنه إسحق بالترجمة ، فظهر اسم أولهم بين مشهورى المترجمين حوالى عام ٢٢٠ هـ خصوصاً بترجمته لمؤلفات أرسطو وبلوثارخ وإقليدس وثيودورو وهرون الاسكندري ، وكذلك عرف قوستا بن لوقه مؤلفاً نابه الذكر . فله

مؤلفات هامة في الموسيقى والفلك والرياضة تزهبها العلوم العربية . واشتهر حنين بن إسحق شهرة واسعة وذاع صيته ، فنقلت مؤلفاته إلى اللغات العربية واللاتينية في العصور الوسطى ، وولد حنين عام ١٩٤ هـ في الحيرة وطلب العلم في بغداد ، ثم واصل دراسته في آسيا الصغرى حيث تعلم اللغة الأخرقية . وعند عودته اتخذه الخليفة المتوكل طبيباً خاصاً به ، واهتم في حياته بترجمة مؤلفات أرسطو وأفلاطون ، ولكن أهم ما أخرجته للعالم العربي هو ما ترجمه عن جالينوس من الكتب الطبية ، ووضع مقدمة في الطب ورسائل عديدة في أبواب مختلفة ، وأكثر مؤلفاته انتشاراً هي رسالته في التعاليم الفلسفية . وأما ابنته اسحق المتوفى سنة ٢٩٨ هـ فكان جل اهتمامه بمؤلفات أرسطو ، ولم يهتم كثيراً بترجمة جالينوس بل ترك ابن أخيه حبيش يكمل ما بدأه منها ، وكان كثيراً ما يعارنه في أثناء حياته .

وبفضل ما نقل إلى العربية من المؤلفات الأجنبية كالتى أتينا على ذكرها نشأت عند مؤلفي العرب فلسفة بدأت بظاهرة خلقية خاصة ، كما يتضح ذلك في مؤلفات الجاحظ الذى جعل جل اهتمامه الناحية العلمية الأدبية ، بينما اهتم معاصره يعقوب الكندى الملقب بحق فيلسوف العرب بالناحية الفلسفية العلمية البحتة ، وينحدر الكندى من أسرة عريقة في جنوب بلاد العرب كانت قد آلت إليها إمارة المقاطعات الوسطى ، وكان أبوه حاكماً في الكوفة حيث ولد يعقوب الكندى ، وطلب العلم في البصرة وبغداد ، وأقام بالاخيرة تحت حكم المأمون ومن خلفه من خلفاء المسلمين إلى أن حدث اضطهاد المعتزلة بواسطة الخليفة المتوكل ، فأصابه ضرر كبير ، وصودرت مكتبته ، وتوفى على أثر ذلك . ولقد أتى الكندى بمحصول وافر وأنتاج باهر في عالم الأدب ،

✓

فبلغت مؤلفاته ما يقرب من ٢٠٠ كتاب ، وشملت مؤلفاته جميع نواحي الفلسفة وسائر العلوم المدنية الأخرى مثل الموسيقى والفلك والهندسة والطب والتنجيم وعلوم الأحوال الجوية . وكان يظهر على كتابات الكندي في علوم الأخلاق وما وراء الطبيعة ( العلة الأولية ) ميل شديد نحو آراء الفيثاغورثيين والافلاطونيين الفلاسفة الجديدة ، إلا أن ذلك لم يمنعه من التعمق في دراسة فلسفة أرسطو طاليس ، حتى أطلق عليه بحق أنه أول أتباع أرسطو من علماء وفلاسفة الاسلام . وبالرغم من هذا وذلك فإنه قد لوحظ في بعض مؤلفاته محاولات جريئة وبمهودات موفقة لإيجاد صلة جامعة بين المشائين ( البريباتيسيين ) والافلاطونيين ، متحياً بذلك نحو من سبقه من فلاسفة الأغرقيق . وكانت تربيته الفلسفية لم تكن تبلغ به شأواً بعيداً ، ولكن أثره في تلاميذه كان أكبر وأظهر في ناحية العلوم البحتة ، واشتهر من طلبة العلم لديه أبو معشر أكبر علماء التنجيم في عصره . واهتم الفارابي كذلك بدراسة الفلسفة ، وبلغ منها مبلغاً ظاهراً ، وهو ينحدر من أصل تركي ، وولد في بلاد ما وراء النهرين ، وطلب العلم في بغداد ، ووجد في بلاط الأمير الحمداني سيف الدولة ملجأً لإظهار مؤلفاته ونشر فلسفته ، وتوفي بدمشق عام ٣٣٩ هـ وشمل انتاجه الأدبي جميع مناحي فلسفة أرسطو التي أخرجها إلى العربية بتعليقات قيمة أو في رسائل مستقلة ، ووضع مؤلفاً جليلاً للموازنة بين تعاليم أرسطو وأفلاطون . وبالرغم من اهتمامه الزائد بالفلسفة فإنه لم يغفل العلوم الأخرى ، وأظهر مؤلفاته ما كتبه في الدفاع عن كيمياء الذهب ضد الكندي الذي لم يرض بها كفن من الفنون .

وكانت مدينة البصرة منذ قديم الزمان مركز الأبحاث العلمية والنزعات



الحرية ، وفيها تكونت قديماً الأندية التي ظهر أثرها الفلسفي في مؤلفات الجاحظ ونظم بشار ، وفي البصرة تكونت في هذا العصر أيضاً جماعة من أنصار الفلسفة عرفت أسماءهم جميعاً ، ولو أنه لم يظهر لأحدهم شخصية متميزة المهم إلا زيد بن رقاعة الذي أسس فرعاً لهذه الجمعية الفلسفية في بغداد عام ٣٧٣ هـ وكان الغرض من تأسيس هذه الجمعية الفلسفية هو نشر التعاليم الفلسفية بين أفراد الشعب ، ورسم القائلون بأمرها خططاً تدريجية لتحقيق أغراض الجمعية التي أخفقت بسبب الأحوال السياسية ، وعلى الأخص بسبب التدهور الذي بدأ في أفق الحضارة العامة . وأما الرسائل التي وضعوها في مختلف أبواب العلوم والفلسفة فكانت ناجحة إلى أبعد حد فانشرت انتشاراً واسعاً وذاعت ذيوها عظيماً حتى عمت جميع أنحاء الشرق ، ووصلت إلى اسبانيا في أواخر القرن الرابع ، وبقيت كذلك موضع اهتمام الباحثين طويلاً ، واقتبس منها الشاعر التركي المجيد لمعي في القرن السابع عشر كثيراً من منظوماته ، ونقلت بعد ذلك في القرن التاسع عشر من الميلاذ إلى اللغة الهندوستانية . وتقع هذه الرسائل في ٥١ فصلاً ، وتبحث في جميع أبواب الفلسفة ومباحث العلوم الطبيعية ، وكان الغرض الأول من وضعها هو جعل هذه العلوم في متناول أفراد الشعب . ولقد نجح أفراد الجمعية الفلسفية في مهمتهم هذه إلى حد بعيد .

وأما في العلوم الرياضية فقد كان أثر أقليدس ظاهراً فيما خلفه العرب من مؤلفات وأبحاث رياضية ، وكذلك نشطت هممتهم وأخصبت قرايحهم في هذا المضمار بعد اتصالهم بمؤلفات الهنود الذين أخذوا عنهم طريقة الأرقام التي أخذها بعد ذلك الأوربيون عن العرب وسموها باسمهم ، وبفضل هذه الطريقة .

تأسس علم الحساب وسهلت كل أنواع عمليات المحاسبة الابتدائية . ولقد انتفع العرب بهذه الطريقة في أبحاثهم عن علاقات الأرقام الفردية والمزدوجة والأرقام البسيطة والمربعة والمكعبة ، وساعدتهم على كشف كثير من غوامض نظرية الأرقام ، كما أخذوا عن الهنود مبادئ حساب المثلثات ووضعوا لهذا العلم أسساً محكمة وقواعد دقيقة ، واستخلصوا منها نتائج ونظريات لم يتعداها العلم الحديث إلا في السنوات الأخيرة .

س وأقدم الرياضيين من علماء العرب المعروفين هو محمد الخوارزمي الذي اشتهر وذاع صيته في عصر المأمون حوالي عام ٢٠٥ هـ حيث قام بنشر دراسة وافية لكتاب بطليموس في الفلك والكتاب الهندي «سند هند» ، ولكن أهم مؤلفاته هو كتابه في علم الجبر حيث لاقى انتشاراً عظيماً وترجم إلى اللاتينية ، وكان المرجع الأخير لعلم الحساب في أوروبا حتى عصر النهضة ، وبقي اسم الخوارزمي حتى اليوم بين أعلام العلوم الرياضية البارزين .

واهتم أولاد موسى بن شاكر المتوفى سنة ٢٥٩ هـ بعلوم الهندسة والفلك والصناعات الفنية وقياس السطوح ، ولهم فيها مؤلفات عديدة .

وامتاز الرياضي الكبير ثابت بن قرة بأبحاثه القيمة في نظرية الأرقام حتى أطلق عليه بحق كبير رياضي هذا العصر ، وولد ثابت بن قرة في حران عام ٢٢١ هـ وعاد إليها بعد أن أتم دراسته في بغداد وتوفى سنة ٢٨٨ هـ وله مؤلفات ورسائل عديدة في الرياضة وأخرى في الطب والفلسفة .

وفي أواخر هذا العصر وضع محمد الكرخي مؤلفاً في الحساب ( الكافي في الحساب ) لخص فيه أهم ما وضعه المؤلفون السابقون في هذا العلم ، وأهداه إلى وزير البويهيين بهاء الدولة نجر الملوك المتوفى سنة ٤٠٧ هـ .

نشطت قرائح العرب وشجذت همتهم باتصالهم الفكري بالاغريق وبالهنود ، فأخذوا عنهم من العلوم الفلكية مثل ما نقلوا عنهم من العلوم الرياضية . ففي عام ١٥٢ هـ ظهر أحد الهنود في بلاط الخليفة المنصور ومعه كتاب « سدهانتا » الذي وضعه « براهما جوبتا » سنة ٦٢٨ م فأمر الخليفة بنقله إلى العربية ، وقام بدراسته وتنقيحه بعد ذلك الخوارزمي تلبية لرغبة الخليفة المأمون ، وأمر المأمون كذلك بتصحيح خرائط بطليموس الفلكية بعد الأرصاد التي قام بها في بغداد ودمشق ، كما وضع طريقة للقياس بالدرجات وتمكن العرب بعد ذلك من تحديد مواقع الأجرام السماوية ومداراتها بواسطة آلات القياس والرصد التي ابتكروها لذلك .

ووضع في أوائل القرن الثالث من الهجرة أحمد الفرغاني كتاباً في العلوم الفلكية نقل بعد ذلك إلى اللاتينية ، وكان يعتبر أهم المراجع في العصور الوسطى في أوروبا .

وأهم علماء العرب في الفلك والتنجيم هو بلا شك أبو معشر تليذ الكندي ولد أبو معشر سنة ٢٧٢ هـ في واسط ، ووضع علاوة على رسائله الهامة في الفلك كتاباً في الجهود الأدبي للشعوب المتحضرة المعروفة في ذلك الحين ، وكانت تغلب عليه فلسفة فيثاغورس التي أخذها عن استاذه يعقوب الكندي انتهت بمجودات هذا العصر في العلوم الفلكية وأبحاث التنجيم بالسفر الضخم الذي وضعه علي بن أبي الرجال بشمال افريقية في أوائل القرن الخامس من الهجرة ، ونقله علماء أوروبا إلى اللغة اللاتينية سنة ١٥٥١ ميلادية .

وكذلك نرى في علم الطب أن أثر كل من علوم الاغريق وعلوم الهنود يتلاقى في بدء نشأته مع العلوم العربية ، ولقد سبق لنا الذكر بأن مؤلفات

كل من أبو قراط وجالينوس نقلت إلى اللغة العربية منذ بدء نهضة الترجمة ، كما رأينا أن العلوم الطبية ازدهرت في مدينة « جنديسابور » بجانب فلسفة أرسطو ، وأن الخليفة المنصور استدعى رئيس مستشفياتها ليجعله طبيباً خاصاً به ، كما ثبت أن أحد الأطباء الهنود ( منكا ) كان موجوداً في بلاط هارون و متمتعاً بثقة عالية وتقدير كبير ، وأن أهم مؤلفات الهنود في الطب ( Sueruta ) نقل أيضاً في هذا العصر إلى اللغة العربية ، ولو أن هذه الترجمة لم تصل إلى أيدينا .

وفي القرن الثالث من الهجرة اشتهر يحيى بن ماسويه بمؤلفاته الطيبة العديدة ، ولد يحيى في جنديسابور وكان أبوه صيدلياً ، وطلب العلم في بغداد إلى أن صار طبيباً خاصاً للخليفة المأمون ومن خلفه حتى الخليفة الواثق ، ولد في سنة ٢٤٣ هـ . وأهم مؤلفاته رسائله المهداة إلى حنين بن إسحق ، ونقلت معظم كتبه إلى اللغة العربية واللاتينية .

ولم يفقه في الشهرة وسعة المعارف إلا أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الذي يعتبر بحق أكبر عبقرى ظهر في العصور الوسطى في فن العقاقير . ولد أبو بكر بالري وطلب العلم في بغداد إلى أن صار مديراً للمستشفى في مسقط رأسه ، وأخيراً مديراً لمستشفى بغداد ، إلا أنه لما وجد مدينة الخلافة القديمة قد فقدت كثيراً من أبتها وعظمتها أثر الانتقال إلى بلاط أمراء الفرس حيث تظاهر مقدرته ونبوغته وبنال حظه من الشهرة والصيت ، وأهدى إلى منصور بن اسحق آل سامان أمير كرمان وخراسان أهم مؤلفاته الذي يدافع فيه عن كيمياء الذهب ، ولكنه لم يجن من وراء ذلك إلا جحوداً كبيراً ، إذ ضربه الأمير بسوطه ضربة أودت بنظره على أثر إخفاقه في نجاح بعض

التجارب أمامه ، وبقى ضريراً الى أن وافته المنية سنة ٥٣١١ هـ .

أما علوم كيمياء الذهب فازدهرت بأبحاثها وكثر أنصارها في غضون القرن الثاني من الهجرة الى حد بعيد ، وأشهر من رفع لواءها في هذا العصر هو جابر بن حيان وهو تلميذ الأمير الأموي خالد ، ولا نعلم من أخباره الا أنه كان يقيم في الكوفة وأن شهرته بلغت أوج عظمتها حوالي عام ١٦٠ هـ وكانت تحيط بعلماء كيمياء الذهب في هذا العصر أسرار غامضة ويعيشون في عزلة تامة بالرغم من أنهم كانوا يعتقدون اعتقاداً تاماً بصحة ما يذهبون اليه من النظريات والأبحاث . ولقد انتفعت العلوم الطبيعية انتفاعاً كبيراً بفضل أبحاثهم التي كانوا يجرونها في طي الخفاء والكتان سعيّاً وراد بعض الاغراض الخيالية .



# دعوة الاسلام

## لاصلاح المجتمع الانساني

### الاساس الاول - الايمان بالله - القائم على العلم

الإيمان - ذهب بعض المفسرين إلى أن الإيمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة أو مندوبة أو من باب الأقوال أو الأفعال أو الاعتقادات وهو قول واصل بن عطاء وأبي الهذيل . وقالت طائفة أخرى : إن الإيمان اقرار باللسان ومعرفة بالقلب وهو قول أبي حنيفة وعامة الفقهاء إن أول ما يجب أن يعرفه كل إنسان في هذه الدنيا هو صاحبها وخالقها والمتصرف فيها ومن هو ؟ وما هي صفاته ؟ وما هي أفعاله ؟ وما هي أوامره ؟ فالله سبحانه وتعالى هو الخالق لهذه الحياة وواهبها على اختلاف أنواعها سواء كانت للإنسان وهو المنتفع بآثارها وتنتجها أو غيره من الحيوان والنبات وخلاف ذلك وهو المنتفع به .

فالمرتبة الأولى وهي التي تفيد المكنة من الانتفاع واليها الإشارة بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا  
وِنِسَاءً ﴿ (سورة النساء)

والمرتبة الثانية خلق المتفعم به واليها الاشارة بقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي  
خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ ولما كانت المصالح الحاصلة في هذا العالم  
السفلى إنما تنتظم بالحركات الفلكية على سبيل اجراء العادة لا جرم أتبعه  
بقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾  
فثبت بما ذكرنا أن كل النعم حاصل بإيجاد الله تعالى وعن قدرته وعلمه

وللانسان أحوال ثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل ، أما الماضي فقد كان  
معدوماً محضاً كما قال الله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقْتِكُمْ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾  
وكان ميتاً فأحياه الله تعالى كما قال : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا  
فَأَحْيَاكُمْ ﴾ وكان جاهلاً فعلمه الله تعالى كما قال : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ  
أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾  
والعبد إنما انتقل من العدم إلى الوجود ومن الموت إلى الحياة ومن اللبس  
إلى القدرة ومن الجهل إلى العلم لأجل أن الله تعالى كان قديماً أزلياً فيقدرته  
الأزلية وعلمه الأزلي أحدثه ونقله من العدم إلى الوجود فهو إله لم يزل

لعمري . وأما الحال الحاضرة للعبد فحاجته شديدة إلى الله تعالى لأنه لما كان  
مدموماً كان محتاجاً إلى الرب الرحمن الرحيم ، أما لما دخل في الوجود فقد  
انفتحت عليه أبواب الحاجات وحصلت عنده أسباب الضرورات ، فقال  
الله تعالى : « انا إله لأجل اني اخرجتك من العدم إلى الوجود . اما بعد  
ان صرت موجوداً فقد كثرت حاجاتك إلى فأنا رب رحمن رحيم ، واما  
الحال المستقبلة للعبد فهي حال ما بعد الموت .

قال تعالى : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ﴾ (نعاس)  
ولا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا  
بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا  
شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا (أى  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) وَهُوَ الْعَلِيُّ (فوق خلقه بالقهر) الْعَظِيمُ (الكبير)  
(سورة البقرة)

فسر الجلال الاله بالمعبود بحق والحي بال دائم البقاء والقيوم بالمبالغ  
بالقيام بتدبير خلقه . ومعنى « لا إله إلا هو » ليس في الوجود صاحب  
سلطة حقيقية على النفوس يعيشها على تعظيمه والخضوع له قهراً منها معتقدة  
أن بيده منح الخير ورفع الضر بتسخير الأسباب أو بإبطال السنن الكونية  
إلا الله وحده .



عن ابن عباس رضی الله عنه أنه كان يقول أعظم أسماء الله الحى القيوم ،  
وقال الفخر الرازى الحى هو الدراك الفعال ، فبقوله الحى دل على كونه عالماً  
قادراً ، وبقوله القيوم دل على كونه قائماً بذاته ومقوماً لكل ما عداه . . ويلزم  
من كونه قيوماً كونه عالماً بجميع المعلومات ، ولما كان قيوماً لكل ما سواه كان  
كل ما سواه محدثاً .

وقال مجاهد القيوم القائم على كل شىء وتأويله أنه قائم بتدبير أمر الخلق  
فى إيجادهم وفى أرزاقهم ونظيره من الآيات قوله : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ<sup>كُلِّ</sup>  
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ وقال : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو<sup>كُلِّ</sup>  
الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ والقسط هنا هو العدل العام فى سننه الكونية  
وشرائعه . وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَإِنَّ<sup>كُلَّ</sup>  
زَاتِنَا إِنَّمَا مَسَكُنًا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ وهذا القول يرجع حاصله إلى كونه  
مقوماً لغيره ، وقال الضحاک القيوم الدائم الوجود الذى يمتنع عليه التغير ،  
وهذا القول يرجع معناه إلى كونه قائماً بنفسه فى ذاته وفى وجوده .  
يجب أن يعرف الإنسان أن الله سبحانه وتعالى هو المتفضل بالحياة ،  
وأن له الإلزام والحكم فى الدنيا كيف شاء وأراد ، وأنه لا يجب لأحد على  
الله بسبب أعماله وأفعاله شىء ، وأنه سبحانه فى الآخرة يغفر لمن يشاء بفضله  
ويعذب من يشاء بعدله ، وأنه لا يقبض منه شىء ولا يجب عليه شىء ، لأن  
الكل ملكه ، والمالك له التصرف المطلق فيما يملك وفى ملكه ، والله سبحانه  
وتعالى هو المالك الحقيقى للخلق ولكل موجود .

ومن الايمان بالله معرفة أسمائه ، قال في سورة الاعراف ﴿ وَنَسِيَ الْأَسْمَاءَ

الْحُسْنَى ﴾ وقال في بني اسرائيل ﴿ أَيُّ مَا تَدْعُو فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ وقال

في سورة طه ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ وقال في سورة الحشر

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ

الْجَبَّارُ الْمَتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ

لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ والأسماء الحسنی الواردة في كتب الله المنزلة على السنة

أنبيائه المعصومين .

ومن الايمان بالله ، الايمان بوجود الملائكة وأنهم معصومون مطهرون

يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وانهم سفراء بين الله وبين

البشر ، فكل قسم منهم متوكل على قسم من أقسام هذا العالم ، وأن الانسان

متوكل به ملائكة يحصون عليه أقواله وأفعاله قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْكُمْ

لِحَافِظِينَ ، كِرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الانفطار)

ومن الايمان بالله الايمان بكتبه ورسله ، وأنها وصلت إلى الأنبياء

بواسطة الملائكة ، قال الله تعالى ﴿ أَنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ

ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾

قال المفسرون ليس المراد بالايان بالملائكة الايمان بذواتهم ، بل الايمان  
بسفارتهم في الوحي من حيث هم حملة الوحي إلى الرسل وأنهم من عالم الغيب .  
وأما البحث عن ذواتهم ما هي ؟ وعن صفاتهم وأعمالهم كيف هي ؟ فهو بما  
لم يأذن به الله في دينه . والمراد بالايان بالكتب والرسل جنسها ، أى  
يؤمن الانسان بذلك ايماناً اجمالياً فيما أحمله القرآن ، وتفصيلاً فيما فصله لا  
يزيد على ذلك (١)

روى عطاء عن ابن عباس ، قال : قدم وفد نجران على رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك أمن زبرجد أو ياقوت أو ذهب أو  
فضة ؟ فقال : إن ربي ليس من شيء ، لأنه خالق الأشياء ، فنزلت « قل هو  
الله أحد » . قالوا : هو واحد وأنت واحد ، فقال : ليس كمثل شيء ، قالوا  
زدنا من الصفة فقال « الله الصمد » فقالوا وما الصمد ، فقال للذي يصمد  
إليه الخلق في الحوائج ، فقالوا زدنا فنزل « لم يلد ، كما ولدت مريم ولم يولد كما  
ولد عيسى » ولم يكن له كفواً أحد ، يريد نظير من خلقه

فالايان بالله يرفع النفوس عن الخضوع والاستعباد للرؤساء الذين  
استدلوا البشر بالسلطة الدينية أو السلطة الدنيوية وهي سلطة الملك فان  
العبودية لغير الله تعالى تهبط بالبشر إلى دركة الحيوان المسخر أو الزرع  
المستتبت . والايان باليوم الآخر وبالملائكة يعلم الانسان أن له حياة في  
عالم غيبي أعلى من هذا العالم فلا يرضى لنفسه أن يكون سعيه وعمله لأجل  
خدمة هذا الجسد خاصة لأن ذلك يجعله لا يبالي إلا بالأمور البهيمية .

ثم ان الايمان بالملائكة أصل للايمان بالوحى لأن ملك الوحي روح عاقل يفيض العلم باذن الله على روح النبي بما هو موضوع الدين ولذلك قدم ذكر الملائكة على ذكر الكتاب والنبیین فهم الذين يؤتون النبيين الكتاب ، قال تعالى : ﴿ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ وقال أيضاً : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ .

فيلزم من إنكار الملائكة إنكار الوحي والنبوة وإنكار الأرواح ، وذلك يستلزم إنكار اليوم الآخر ، ومن أنكر اليوم الآخر يكون أكبر همه لذات الدنيا وشهواتها وحظوظها ، وذلك أصل لشقاء الدنيا قبل شقاء الآخرة .

والايمان بالكتاب يستلزم العمل به . والايمان بالنبیین يقتضى الاهتداء بهديهم ، والتخلق بأخلاقهم ، والتأدب بأدابهم ، ويتوقف هذا على معرفة سيرتهم ، والعلم بسنتهم .

لن يحصل الايمان بالله إلا عند العلم بذاته المخصوصة والعلم بما يجب ويجوز ويستحيل عليه ، ولن يحصل العلم بهذه الأمور إلا عند العلم بالدلائل الدالة عليه ، فيدخل فيه العلم بحدوث العالم والعلم بالأصول التي عليها تفرع حدوث العالم . ويدخل في العلم بما يجب له من الصفات العلم بوجوده وقدمه وبقائه وكونه عالماً بكل المعلومات ، قادراً على كل الممكنات ، حياً مريداً سميعاً

بصيراً متكلماً . ويدخل في العلم بما يستحيل عليه العلم بكونه منزها عن الحالية والمحلية والتجزؤ والعرضية . ويدخل في العلم بما يجوز عليه اقتداره على الخلق والايجاد وبعثة الرسل .

ومن الأسماء الدالة على الصفات الحقيقية : القدرة ، وهي كثيرة قال

تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (سورة الملك)

والعلم وما يشتق منه وفيه وجوه :

الأول — إثبات العلم لله تعالى قال تعالى : « وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ

عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ » . وقال : « وَلَا تَضَعُ إِلَّا وَعِلْمُهُ » . وقال : « قَدْ أَحَاطَ

بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا » . وقال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ » .

الثاني — العالم . قال تعالى : « عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ » .

الثالث — العليم . وهو كثير في القرآن : « إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » . « إِنَّ

اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » . « وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ » . « وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .

الرابع — العلام . قال تعالى بلسان عيسى : « إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ » .

الخامس — الأعلم . قال تعالى : « اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » .

السادس — صيغة الماضي . قال تعالى : « عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ

أَنْفُسَكُمْ » .

السابع — صيغة المستقبل . قال تعالى : « وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ » ، وقال : « وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ » .

الثامن — لفظ عَلَّمَ . من باب التفعيل قال تعالى : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » ، وقال في حق الملائكة : « سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا » ، وقال : « وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ » ، وقال : « الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ » ،

ومن ألقاظ هذا الباب لفظ الخبر والخبرة وهو كالمرادف للعلم حتى قال بعضهم في حد العلم إنه الخبر . إذا عرفت هذا فنقول ورد لفظ الخبر في حق الله تعالى كثيراً في القرآن وذلك أيضاً يدل على العلم ، واللطف وقد يراد به العلم بالدقائق وقد يراد به إيصال المنافع إلى العباد بطرق خفية عجيبة (١)

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة لقمان)

نزلت هذه الآية في واحد سأل النبي عليه السلام انك تقول : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » ، وتقول : « وَمَنْ يُوْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ

(١) تفسير الفخر الرازي جز ٦٠ وجز ٨ ص ٥٥٧ وتفسير المنار

ص ١٢٣ وما بعدها .

أوقى خيراً كثيراً ، فنزلت الآية دالة على أنه خير كثير بالنسبة إلى العباد ،  
وبالنسبة إلى الله وعلومه قليل وإن الله كامل العلم وعلمه لانهاية له وأن البحر  
ولو كان مداً لما نفذ ما في علم الله وقدرته لتدوينه وحصره ، ولذلك وجب  
على الانسان أن يتعلم ويدرس آيات الله في الكون حتى يقف على ما يتيسر  
له من أسرار العلوم والمعارف التي وضعها الله فيما خلق وهو العليم الخبير

إن مبدأ التوحيد والايان بأن الله واحد لا شريك له رفع النفس البشرية  
من ذل الاغيار وأعطى لها حقها فأصبحت لا تعبد إلا إلهاً واحداً قهاراً  
لا تعرف غيره ولا تدعن لمن سواه ، فانتعشت من خمودها وتحركت بعد  
سكونها ، ونشطت من عقالها بعد سجنها ، وكان لهذا المبدأ وما تبعه من نظم  
اسلامية أكبر الأثر في نهضة المسلمين وغير المسلمين ممن دانو لهم عن  
طريق الفتح .

ذكر الكاتب الانجليزى الشهير ستانلى بول عن فتح العرب لاسبانيا ما  
يلى : ملك المسلمون ثلثى شبه الجزيرة وسموها بالاندلس . وأنشؤا بها مملكة  
قرطبة العظيمة التي كانت أعجوبة العصور الوسطى والتي حملت وحدها في  
الغرب شعلة الثقافة والمدنية مؤتلفة وهاجة وقت ان كانت أوروبا غارقة في  
الجهالة البربرية فريسة للشقاق والحرب .

ويجب ألا يجول ببال أحد أن العرب عاثوا في البلاد أواخر يوبها بصنوف  
الارهاق والظلم كما فعل قطعان المتوحشين قبلهم . فان الأندلس لم تحكم في عهد  
من عهودها بساحة وعدل وحكمة كما حكمت في عهد العرب الفاتحين . . . .

أما التسامح الدينى فلم يدع للاسبانيين سبباً للشكوى . فقد تركهم العرب  
يعبدون كما يشاؤون من غير أن يضطهدوهم أو يلزموهم اعتناق عقيدة خاصة .

كما كان يفعل القوط باليهود... وكان من أثر هذه المعاملة وذلك التسامح أن رضى المسيحيون بالنظام الجديد واعترفوا في صراحة أنهم يؤثرون حكم العرب على حكم الافرنج أو القوط... أما فرح التبيد بما طرأ على نظام الحكم من التغيير فقد كان عظيماً حقاً. بعد أن لاقوا من ضروب العسف والقسوة من القوط والرومان ما تقشعر له الأبدان. فإن الرق في رأى المسلمين الاختيار نظام انساني رقيق حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما لم يجد بدأ من الابقاء على هذا النظام العتيق الذي يعارض مبادئ الاسلام بذل كل جهد في تخفيف ويلاته في كثير من الوصايا والاحاديث فهو يقول في الارقاء: « اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه بما يأكل. وليلبسه مما يلبس. ولا تكافوهم ما يغلبهم. فاذا كلفتموهم فأعينوهم.» « سعد العبيد بدخول العرب. وأصبحوا في رق المسلمين بمنزلة صغار الزراع فتركهم ساداتهم أحراراً يزرعون الأرض كما يشامون على أن يؤدوا اليهم نصيباً من العلة لأنهم كانوا مشتغلين بالحروب ولأنهم كانوا بطبيعتهم يأنفون من أعمال الفلاحة. أما عبيد المسيحيين الذين ظلوا يائسين من التخلص من الرق طول حياتهم فقد مهد أمامهم اليوم طريق إلى الحرية من أسهل الطرق وأهونها. فليس عليهم إلا أن يذهبوا إلى أقرب محاسب أو قاض وينطقوا أمامه بالشهادتين فيصبحوا في التو أحراراً فان الحرية تتبع الاسلام (١)»

---

(١) العرب في اسبانيا تأليف ستانلي لين بول تعريب على بك الجارم



## الاساس الثاني

حرية التفكير والقول والعمل وآثار ذلك في المدينة الغربية

إن مما امتاز به القرآن الكريم على سائر الكتب أنه جعل حرية الفكر والقول والعمل أساساً لا يثبت دعوته للحق والاذعان له وأنه يبسط قضاياها ويستعرضها ثم يناقشها ويدلل بالحجة والبرهان ثم يطالب المعارض له بأن يدلي بحجته ويأتي ببرهانه إن كان صادقاً ثم بعد ذلك يفرغ إلى الغاية أو الحق الذي يدعو إليه ، ونجد هذا كله في الدعوة إلى الله تعالى وإثبات وحدانيته والرسالة والدليل على صحتها والكتاب أي القرآن وأنه من عند الله واليوم الآخر فإذا أثبت صحة ما دعا إليه بالأدلة القاطعة ترك للانسان حرية العمل أي حرية الاختيار وأنه تعالى سيجازي الانسان بعمله ان خيراً فخير وان شراً فشر ، وهذه هي الاسس التي قام عليها العلم والديمقراطية والتقدم إذ يفقد هذه الحريات الثلاث لا يستطيع الانسان أن يؤمن عن يقين ، ولا يهتدى عن اقتناع ، ولا يعمل عملاً منتجاً وهو أسير .

ومن القرآن يعلم الانسان كيف يناقش وكيف يقيم الحججة وكيف يرى المسائل الكونية في وضعها السليم الصحيح ، وكيف يطالب بالدليل عما إذا كان هناك إله آخر يستطيع أن يغير في أوضاع النظام التي وضعها الله سبحانه وبذلك يتبين الحق من الباطل . قال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا

فَقَسَّمْنَاهَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ . وَجَعَلْنَا فِي  
الْأَرْضِ رَوَاسِيًّ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لِّعَلَّهِمْ يَهْتَدُونَ .  
وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ . وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ  
اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿ (سورة الأنبياء)

وقال تعالى يطالب الجاحدين بوجوده باقامة البرهان : ﴿ أَمِنْ خَلْقِ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ  
مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدِلُونَ . أَمِنْ جَعَلِ  
الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًّ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ  
حَاجِزًا اللَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ (سورة النمل)

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ  
الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ  
اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ  
تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ  
أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ . وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ، فَقُلْنَا  
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ، فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ )  
(سورة القصص)

ولما تحدث العرب القرآن وقالوا انه من عند محمد طالبهم الله بالدليل  
ولم يرغبهم على الاذعان له والتصديق به قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ  
أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ  
لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (لا شك فيه) من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فاتوا  
بسورة مثله وأدعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين )  
(سورة يونس)

ولما عجزت العرب عن الإتيان بسورة كالقرآن ترك الله لهم حرية العمل  
به أو غير العمل فقال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ  
أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة يونس)

وقال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (على الدخول فيه) قد تبين الرشد  
من النقي (أى ظهر بالآيات البينات أن الايمان رشد والكفر غي) فمن

يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ (الشیطان والأصنام) وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ  
(تمسك) بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى (بالعقد المحكم) لَا انْفِصَامَ لَهَا (انقطاع) وَاللَّهُ  
سَمِيعٌ (لما يقال) عَلِيمٌ (بما يفعل) ﴿ (سورة البقرة)

قال أبو مسلم والقفال معناه أنه ما بنى أمر الايمان على الاجبار والقسر  
ولنما بناه على التمسك والاختيار ثم احتج القفال على أن هذا هو المراد بأنه  
تعالى لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للعدر ، قال بعد ذلك إنه لم يبق  
بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر إلا أن يقسر على  
الايمان ويحبر عليه ، وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء ، إذ  
في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان . ونظير هذا  
قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ وقال في سورة  
أخرى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً ، أَفَأَنْتَ تُسْكِرُ  
النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ وقال في سورة الشعراء : ﴿ لَعَسَّكَ بَاخِعٌ  
(قاتل) نَفْسَكَ أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ، إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً  
فَضَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ وما يؤيد هذا القول أنه تعالى قال بعده هذه الآية  
﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ يعني ظهرت الدلائل ووضحت البيِّنات ولم يبق  
بعدها إلا طريق القسر والالغاء والإكراه ، وذلك غير جائز ، لأنه يشافي

التكليف ، فهذا تقرير هذا التأويل (١)

إن توحيد المسلمين الأولين لله القائم على حرية الفكر والبحث والدليل ، كان سبباً لتمكين معرفتهم بالله وحبهم له وتوكلهم عليه ، وهذا هو الذي زكى أنفسهم وأعلى همهم وكلمهم بعزة النفس وشدة البأس وإقامة العدل ، ومكنهم من فتح البلاد وسياسة الأمم واعتاقها من رق السكينة والاحبار والرهبان والبوذات والموبذانات العقلية والروحية وتحريرهم من ظلم الملوك واستبدادهم وإقامة دعائم الحضارة وإحياء العلوم ، وقد تم لهم ذلك في زمن يسير لم يتيسر لغيرهم من الأمم التي سبقتهم .

وقد تجلت حرية الفكر والقول والعمل في صدر الاسلام ، ولم تعم المسلمين فحسب ولكن غير المسلمين الذين كانوا تحت حكمهم ، ولا يزال قول عمر بن الخطاب باقياً حينما أنصف ابن القبطي من ابن عمرو بن العاص ، وإلى مصر حين ضرب ابنه ابن القبطي لما سبقه ، وقال : اسبق ابن الأكرمين ، فلما رفع الأمر إلى عمر وهو أمير المؤمنين أمر بضرب ابن عمرو بن العاص ووضع درته على رأس الوالد وقال له «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ ولا شك أن المراد بقوله الحكمة البرهان والحجة ، فكانت الدعوة بالحجة والبرهان إلى الله تعالى مأموراً بها ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، ليس المراد منه المجادلة في فروع الشرع ، لأن من أنكر نبوته فلا فائدة في الخوض معه في تفاريع الشرع ، ومن أثبت نبوته فانه لا يخالفه ، فعلينا أن هذا الجدل كان في التوحيد والنبوة ، فكان الجدل وهو قائم على حرية

الفكر والقول والعمل مأموراً به ، ثم انا مأمورون باتباعه عليه السلام  
لقوله تعالى على لسان نبيه ، فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبِكُمْ اللَّهُ ، ولقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ  
لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ وذلك يقتضى  
أن المجادل بالعلم القائم على حرية الفكر والقول والعمل المدعم بالحجة  
والبرهان لا يكون مذموماً بل يكون ممدوحاً .

ولما كانت حرية الفكر والقول والعمل هى وسيلة إلى الاقتناع بالحق  
واتباعه وأداتها النظر والبحث والاستقراء فقد دعا القرآن الكريم إلى النظر  
والاعتبار والاستبصار فى كثير من آياته فقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ هَذَا  
الْقُرْآنَ — قُلْ انظُرُوا ماذا فى السموات والأرض — أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فى  
مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

وقد ذم الله تعالى التقليد فقال حكاية عن الكفار ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا  
على أُمَّةٍ وَإِنَّا على آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ . وقال : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَسَاءَلُوا إِلَى  
مَا أَنزَلَ اللَّهُ وإلى الرسولِ قالوا حسبنا ما وَجَدْنَا عليه آباءنا أَوْ لَوْ كَانَ  
آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (سورة المائدة) . وقال تعالى :

( وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آتَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ) (سورة البقرة)

فالله سبحانه وتعالى حينما يذكر آياته للانسان يدعوه إلى التفكير فيها والنظر اليها ويفهمه أنه ما خلق شيئاً إلا عن تقدير وعلم صحيح ، وأنه تعالى يطالب الانسان بالبرهان إن شك في قوله أو فعله أما التكذيب المبيح على العاطفة أو الشعور أو التقليد فلا قيمة له ولا وزن .

اقرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَانِي تُوْفِكُونَ ( تكذبون ) فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حَسْبَانَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِلْقَوْمِ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ

وَأَرْمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشَابِهٍ أَنْظِرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ سورة الأنعام )

إذا نظرنا إلى تنسيق هذه الآيات نجد أن ذكر الآيات لم يأت إلا بعد البحث والتفكير وذكر العلم حتى تتوطد دعائمه وتثبت أركانه في الصدور .  
ولما احتج المشركون بالقدر على شركهم وأنه لو شاء الله ما أشركوا طال بهم الله بالحجة وإن كان عندهم علم بما قدره الله فليبرزوه .

قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿ (تكذبون) . (سورة الأنعام)

كل ذلك يدل على وجوب النظر والاستدلال والتفكير ودم التقليد ، فن دعا إلى النظر والاستدلال وإقامة الحجة والبرهان وهي دعائم حرية الفكر والقول والعمل كان على وفق القرآن ودين الأنبياء ، ومن دعا إلى التقليد كان على خلاف القرآن وعلى وفاق دين الكفار .

ان الله سبحانه وتعالى دعا الى تحرير الفكر الانساني وجعل حرية البحث القائمة على حرية التفكير والعمل أساسا للايمان به ، وطريقته في ذلك النظر والاستدلال واقامة الدليل والحجة الواضحة ، وهذه كلها من أسس العلم الصحيح .



## أثر هذه التعاليم في الحضارة والتقدم

وبهذه التعاليم الصادقة انفتحت أذهان المسلمين في الصدر الأول لطلب العلوم والمعارف ، وبلغوا فيها مبلغاً كبيراً بزوا فيه معاصريهم من الأمم المحضرة . ووجد العلم في ملوك الاسلام وأمرائه أكبر حام وأقوى نصير فانطبق ضياؤه في المشرق والمغرب كل ذلك بفضل دعوة القرآن الصريحة لفهم سنن الله الكونية حتى يعرف الانسان فضل الله العظيم وقدرته البالغة وعلمه الواسع . وبذلك أسسوا المدارس وأنشأوا الدور والمجالس العلمية ، وترجموا الكتب الفلسفية الى العربية ودعوا العلماء غير المسلمين ليسمعوا منهم ، ويستفيدوا من معارفهم .

ولنتقل للقارىء نبذة مما كتبه الأستاذ الأمريكى الشهير ( درابر ) فى كتابه ( التازع بين العلم والدين ) :

قال جيبون ( عند ذكر الحماية والرعاية التى بذلها المسلمون للعلوم ) : كان أمراء المسلمين فى الأقاليم يناظرون الملوك فى حماية العلم والعلماء ، وكان من نتيجة تنشيطهم هذا للعلماء أن انتشر الذوق العلمى فى المسافة الشاسعة التى بين سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة . ويروى عن وزير لأحد السلاطين أنه تبرع بمائتى ألف دينار لتأسيس كلية علمية فى بغداد وأوقف عليها خمسة عشر ألف دينار سنوياً . وكان عدد الطلبة فيها ستة آلاف لافرق بين غنى وفقير . فكان فيها ابن السيد العظيم وابن الصانع الفقير على السواء وكانوا يكفون التلاميذ الفقراء مؤنة دفع أجر التعليم ويعطون الاساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة ، وكانت المؤلفات الجديدة الأدبية تنسخ وتجمع سداً لحاجة أهل

العلم وشهوة الأغنياء في جمع الكتب . انتهى كلام جيون . ثم قال داربر :  
وكانت قيادة المدارس مودعة لذوى المدارك الواسعة فكانت اما يمد  
النسطوريين أو اليهود لأن المسلمين لم يكونوا يتحررون عن جنسية العالم وديانته  
وما كانوا يزنون قدره الا من أعماله . ولقد فاه الميفة الكبير المأمون بفكره  
على حقيقة العلماء فقال : أن صفوة خليفة الله ، وأفضل عباده وأنفعهم هم  
الذين يقفون حياتهم على تربية مواهبهم الطبيعية ، وان الذين يعلبون الغلم  
والحكمة للناس هم مصاييح العالم ، ولولاهم لارتكس الخلق في عماية الجهالة  
وغياهب البربرية . ثم قال داربر : « وقد اتبعت المدارس الطيبة عمرها مثال  
مدرسة الطب في القاهرة في اختيار الطلبة قبيل اخراجهم نهائيا ، بحيث  
لا يستطيع أحدهم أن يشتغل بمهنة التطيب إلا بهذا الشرط »

وأول مدرسة انشئت من هذا القبيل في أوروبا هي المدرسة التي أسسها  
العرب في ( سالرن ) من ايطاليا وأول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون  
في اشيلية باسبانيا . ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلية العظمى  
لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فانهم قد رقوا العلوم القديمة رقيا كبيراً  
جداً ، وأوجدوا علوماً أخرى لم تكن معروفة من قبلهم ،

ثم تكلم المؤلف على براعتهم في العلوم الرياضية وعلى التسهيلات التي  
أدخلوها عليها وعلى فوائدهم في حساب المثلثات والعلوم الفلكية وما ألفوه  
فيها من الكتب وما سطروه من الجداول والتقاويم ثم قال : والعلماء  
الفلكيون من العرب اهتموا أيضاً بتحسين آلات الارصاد وتهذيبها ، وبحساب  
الازمنة بالساعات المختلفة الأشكال ، والساعات المائية ، والسطوح المدرجة  
الشمسية ، وهم أول من استعمل البندول ( الرقاص ) لهذا الغرض ،

أما في عالم العلوم التجريبية فقد اكتشفوا الكيمياء وبعضاً من محللاتها الشهيرة مثل حمض الكبريتيك وحمض النتريك والكحول (الاسبرتو) . استخدم العرب علم الكيمياء في الطب لأنهم أول من نشر علم تحضير العلاجات والأقرباذينات واستخراج الجواهر المعدنية . أما في علم الميكانيكا فأنهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الأجسام وعرفوا تقريباً ناموس الجذب في الأجسام وكانوا عارفين تمام المعرفة بعلم الحركة . أما في الأيدروستاتيك وهو علم موازنة السوائل وتقدير الضغط الواقع منها على أوانيها فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لأنواع الأوزان النوعية وكتبوا أبحاثاً على الاجسام السابحة والغائصة تحت الماء . أما في نظريات الضوء والأبصار فقد غيروا الفرض اليوناني الذي مقتضاه ان الابصار يحصل بوصول شعاع من البصر إلى الجسم المرئي وقالوا بعكس ذلك أي ان الابصار يحصل بوصول الشعاع من المرئي إلى العين ، وكانوا يعرفون نظريات انعكاسات الأشعة وانكساراتها ، وقد اكتشف الحسن الشكل المنحني الذي يأخذه الشعاع في سيره في الجو وأثبت بذلك أننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهر حقيقة في الافق وكذلك في الغروب نراها قليلاً بعد أن يغيبا ،

إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جلياً بالتقدم الباهر الذي نالته الصناعات في عصرهم . فقد استفادت منها فنون الزراعة في أساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وسن النظمات الزراعية الحكيمة وإدخال زراعة الأرز والسكر والبن ، وقد انتشرت المعامل والصناعات لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن وكانوا يذيبون المعادن وكانوا يجرون في عملها على ما حسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها .

وكان العرب من عشاق الموسيقى والشعر وقد وهبوهما وقتاً كبيراً  
وحبوهما مكانة من افئدتهم ، وهم الذين علموا الأوربيين لعب الشطرنج وبثوا  
فيهم ذوق مطالعة الأقاويص . وكان للعرب لذات روحية حتى في المحلات  
الزاهرة للادبيات الفلسفية ، فكان لديهم مؤلفات عالية جداً في قلب الاحوال  
الانسانية وعلى نتائج عدم التدين وعلى زوال النعم وعلى أصل العالم وبقائه  
وأخرته ، وانا نندعش أحياناً حينما نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا  
نظنه من نتائج العلم في هذا العصر . ومن ذلك ان مذهب النشوء والانتقال  
للكائنات العضوية الذي يعتبر مذهباً حديثاً كان يدرس في مدارسهم وقد  
كانوا جروا به إلى مدى أبعد مما وصلنا اليه وذلك بتطبيقه على المواد الجامدة  
والمعدنية أيضاً (١)

•••

افبعد هذا توجه تهمة تأخر المسلمين الآن إلى الدين أم ان التهمة توجه  
إلى المسلمين بأن تأخرهم لم ينشأ إلا لأنهم لم يعملوا بأوامر دينهم وهجروا  
حرية التفكير والبحث إلى الجدل السقيم والتقليد الذميم .

---

(١) كتاب التنازع بين العلم والدين للاستاذ الامريكي العلامة درابر

## المثل العليا للإيمان بالله وحرية التفكير والعمل

لم يكن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر تصديقا بالقلب وذكرآ باللسان فحسب بل يجب قيام الحجّة على هذا التصديق ، وذلك بالأذعان والعمل لما جاء به الله في كتبه من الأوامر والنواهي . وأن يقف الانسان عند حدود الله تعالى ولا يتعداها ، وهذا هو الإيمان السليم . ذكر أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » . رواه البخارى ومسلم .

ومعنى هذا الحديث : أنه لا يكمل إيمان شخص حتى يقدم ما يرضى الله ورسوله على ما يرضى عشيرته والأقربين . وليس المراد بالحجبة هنا حجة الختان والشفقة كمحبة الأولاد ولا محبة العشق كمحبة العاشق فان هاتين لهستا بالاختيار ، وإنما المراد بالحجبة لازمها وهو امتثال أمر المحبوب فان من أحب إنساناً سارع في هواه .

وصدق الإيمان يقوم على دعائتين : بذل المال ، وبذل النفس في سبيل الله تعالى أى وجود الانسان بماله ونفسه في تنفيذ أوامر الله تعالى كما قال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾

وثبت في الصحيحين ( البخارى ومسلم ) من حديث أنس رضى الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : ١ — أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ٢ — وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ٣ — وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار .

وقد ضرب الله تعالى أمثلة كثيرة في القرآن الكريم ، نذكر منها قصص إبراهيم عليه السلام الذي وفى بعهد العبودية وضرب المثل العالى للتضحية في أروع مظاهرها تضحية النفس والمال والولد في سبيل مرضاة الله تعالى وتنفيذاً لأوامره غير مدخر وسعا في ذلك ، والله تعالى شهيد له بذلك على سبيل الاجمال تارة وعلى سبيل التفصيل أخرى . أما الاجمال في آيتين :

١ — إحداهما قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ (سورة البقرة) . وهذا شهادة من الله بأنه تم عهد العبودية .

٢ — والثانية قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لربِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة البقرة)

وأما التفصيل فهو أنه عليه السلام ناظر في إثبات التوحيد وإبطال القول بالشركاء والأنداد في مقامات كثيرة :

فالمقام الأول في هذا الباب : مناظرته مع أبيه حيث قال له : ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ (سورة مريم)

والمقام الثاني : مناظرته مع قومه وهو قوله : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾  
(سورة الأنعام)

والمقام الثالث : مناظرته مع ملك زمانه فقال : ﴿ رَبِّي يَخَيِّ وَيُمِيت ﴾

والمقام الرابع : مناظرته مع الكفار بالفعل وهو قوله : ﴿ فَجَعَلَهُمْ  
جُذَاءً إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ ﴾ ثم ان القوم قالوا : « حرِّقوه وانصروا آلهتكم » .  
ثم انه عليه السلام بعد هذه الواقعة بذل ولده فقال : « انى أرى فى المنام  
انى أذبحك » وقد هم بالفعل لو لا أن فدا الله ولده . فمئذ هذه ثبت أن  
ابراهيم عليه السلام كان من القتيان صادق الايمان لأنه سلم قلبه للعرفان ،  
ولسانه للبرهان ، وبدنه للتيران ، وولده للقربان ، وماله للضيقات (١)  
ولنشرح ما أجملنا غير مطولين ولا مسهبين :

### إيمان ابراهيم عليه السلام

وكان إيمان ابراهيم عليه السلام قائماً على النظر والاستدلال ثم البرهان  
فاليقين . فانظر إلى قول الله تعالى كيف كان ابراهيم ، ووقناً بوحديته وعظمته  
« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من  
الموقنين » .

(١) تفسير الفخر الرازى جزء ٤ ص ٦٨

« فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ، قَالَ هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ ( غَرِبَ  
وَاخْتَفَى ) قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ ،

« فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا ، قَالَ هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي  
لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ،

« فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ، هَذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ  
يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ،

« إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ ،

« وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ . قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ، وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ  
بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ،

« وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ  
يُنزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ، فَايُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ،

« الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ،

« وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ ، إِنَّ



رَبِّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . ( سورة الأنعام )

ليس المقصود من اراءة الله تعالى ابراهيم ملكوت السموات والأرض هو أن يرى ابراهيم هذا الملكوت ، بل المقصود أن يراها فيتوسل بها إلى معرفة جلال الله تعالى وقدرته وعلوه وعظمته . لذلك لما تم الاستدلال بالنجم والقمر والشمس قال بعده أتى وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض فحکم على السموات والأرض بكونها مخلوقات لأجل الدليل الذي ذكره ، والمراد من اراءة الملكوت تعريف كيفية دلالتها بحسب تغيرها وإمكانها وحدوثها على وجود الاله العالم القادر — ولما كان اليقين هو العلم المستفاد من الدليل وجب أن تكون تلك الآراء عبارة عن الاستدلال . وان جميع مخلوقات الله تعالى دالة على وجود الصانع وقدرته باعتبار واحد وهو أنها محدثة ممكنة . وكل محدث ممكن فهو محتاج إلى الصانع ، وإذا عرف الانسان هذا الوجه الواحد فقد كفاه ذلك في الاستدلال على الصانع .

وبعد هذا البيان وإقامة الدليل على وحدانية الله تعالى أبان سبحانه عن قانونه الخالد بأن الأمن في الحياة الدنيا والآخرة لا يكون إلا للذين وحدوا الله ولم يشركوا به شيئاً من وسطاء وشفعاء ودليل الايمان بالله اتباع أوامره واجتناب نواهيه فهؤلاء هم المؤمنون المهتدون الذين كتب الله لهم السلامة والعافية في الدنيا والآخرة .

كانت حجة ابراهيم عليه السلام في ايمانه واضحة جلية وقد دعا إلى الايمان بالله تعالى ملك زمانه كما دعا قومه وكان صريحاً لا يخشى في الحق لومة لائم . جريئاً لا يهاب الباطل ولا يحفل بما يحيط به من مظاهر القوة والبطش والسلطان . انظر إلى ما ذكر الله تعالى عنه :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ  
إِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ  
اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَأَبْتَهُ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ (سورة البقرة)

ومعنى هذا : هل انتهى الى علمك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم في  
ربه وجادله ؟ وهو نمرود ، فقال احيى بالعبو واميت بالقتل . فقال له  
ابراهيم : فهل تقدر على تغيير الافلاك وقلب نظام الشمس في سيرها ؟ فصار  
الذي كفر مبهورا وانتهى من المجادلة مقهورا .

والقرآن هنا يبين لنا مدى حرية الفكر والمناقشة وأن الاقناع لا يقوم  
إلا على الدليل . وان الايمان الصادق قوامه اليقين القائم على الحجج الواضحة  
فآيات الله في السكون من ابداع الخلق على أحسن نظام وأجمل تنسيق  
فيه الدلائل البينات والحجج الواضحة على وحدانية الله تعالى وانفراده  
بالملك وذلك مما يدعو الى الاخلاص له في العبودية والطاعة . وآيات الله  
تعالى لا نهاية لها ، منها الثابت ومنها ما يتكرر ، فالشمس والقمر والنجوم  
والارض فهي ثابتة الى حين والحياة والموت والنوم واليقظة والصحة  
والمرض والظلمات والنور تتكرر ويشهدها الانسان في حياته وتشهد بأن الله  
قادر عليم . ومع كل هذه الدلائل طلب ابراهيم من الله تعالى أن يريه كيف  
يحيى الموتى زيادة في التاكيد والاطمئنان قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيُظَنَّ لِقَلْبِي

قال فَغَنُذُ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ لِيَكَّ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا  
ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا تَيْنُوكَ سَعِيًّا وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ (سورة البقرة)

طلب ابراهيم من ربه هذا زيادة في العلم ورغبة في استكناه الحقائق  
وتشوقا إلى الوقوف على أسرار الخليفة بما فطر الله عليه الانسان . وأكمل  
الناس علماً وفهماً أشدهم للعلم طالبا والوقوف على المجهولات تشوقا ولن يصل  
أحد من الخلق إلى الاحاطة بكل شيء علما . وقتل كل موجود فقها وفهما

الايان يزداد وينقص ويقوى ويضعف ويظهر ويختفي حسب الظروف  
والأحوال . وعلى مقدار العلم والفهم . فكلمة اشتغل الانسان بربه وذلك عن  
طريق دراسة آياته في الكون وسنن الوجود التي وضعها وفطرة الانسان التي  
فطر عليها ، كلما ازداد علما بقدرة الصانع الحكيم ، وازداد إيمانا بوجود الله  
تعالى وحكمته البالغة ، وعلمه الذي لا تحده الأفهام ولا تحيط به العقول مهما  
بلغت من الادراك .

وابراهيم عليه السلام هو المثل العلمي للإيمان الذي أقام البرهان على صحة  
إيمانه مع قومه وجاهد في سبيل عقيدته بنفسه وماله وولده وعادى قومه في  
سبيل نصرته دينه والاحتفاظ بإيمانه بربه ، وآثر مرضاة الله على غيرها .  
يشهد الله تعالى وكفى بالله شبيداً قال تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمُهُ مَا تَعْبُدُونَ

• قَالُوا نَعْبُدُ آبَاءَنَا فَنُظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ

وَقَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضِرُّونَ

وَقَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ

وَقَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُتِّبَ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَأَنَّهُمْ عَدُوٌّ

لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ

وَالَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ

فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ فِي أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي

يَوْمَ الدِّينِ

وَرَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي

الْآخِرِينَ . وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ . وَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ .

وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

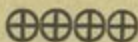
سَامِعٍ ﴿سورة الشعراء﴾

لينظر القارىء كيف استدلل ابراهيم عليه السلام بالبرهان المحسوس على

الايمان بالله بما له من آثار ملوسة وآيات بينات، فذكر ان الله الخالق ولا

خالق غيره . وعملية خلق الانسان تشمل علوما كثيرة فكلية الطب وما

حوت من دراسة علم التشريح ، وعلم الجنين ، وعلم وظائف الأعضاء ، وعلم الصحة ، والأمراض على اختلافها كل ذلك أداة ليعرف الانسان قدرة الله عز وجل في خلقه ، وكيف أبدعه على أحسن صورة وكيف سخر الشمس والقمر والأرض والكواكب لتغذيته ، وذلك بجريان الماء وانبات النبات والزرع المختلفة الأشكال والألوان ثم بعد ذلك يموت الانسان ويبعث لحياة أرقى وأكمل من هذه الحياة إن كان من المجدين العاملين الصالحين . وبعد ذكر حياة الانسان وبعثه طلب ابراهيم عليه السلام من ربه أن يهبه حكماً أى كمالاً في العلم والعمل ليستعد بذلك لخلافة الله ورياسة المخلوقين ، وذلك صفة الصالحين التي تلحق الانسان بهم ولذلك أعقبها بالثانية فقال : ( وألحقني بالصالحين ) أى وفقني للكمال في العمل لأنظم به في عداد الكاملين في الصلاح وبذلك يكون سعيد الدارين . سعيداً في دنياه بما زكى به نفسه من العلم والعرفان وصحة اليقين واتباع سنن الله وانسجامه في الحياة مع حقائقها الخالدة فهانت عليه نفسه وولده وماله في سبيل نصره الحق ، وإن يكون عبداً خالصاً لله مبرماً من الهوى . وسعيداً في أخراه بما اكتسب من معارف وأخلاق فاضلة وأعمال صالحة جعلته في مقعد صدق عند مليك مقتدر .



## الاساس الثالث - العمل الصالح

ما ذكر القرآن الايمان إلا وقرنه بالعمل الصالح - وهذا العمل إما أن يكون أمراً بفعل خير أو نهياً عن شر . فعمل الطاعات وترك المعاصي هو محور الايمان الذى تدور حوله أو امر الله ونواهيه قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة البقرة) . وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأنفال)

والعمل الصالح ذكر بجملا لأنه يتكيف حسب الظروف والأحوال والأفراد القائمين به كما ذكر مفصلاً قال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة)

ذكر الله تعالى بعد بيان أصول الإيمان أصول الأعمال الصالحة التي هي  
ثمرته وبدأ بأقواها دلالة عليه فقال « وآتى المال على حبه ، أى وأعطى المال  
لأجل حبه تعالى أو على حبه إياه أى المال ، وهذا الإيتاء غير إيتاء الزكاة  
الآتى وهو ركن من أركان البر ومندوب اليه كالزكاة وإن لم يكن فرضاً وذلك  
حيث تعرض الحاجة إلى البذل في غير وقت اداء الزكاة بأن يرى الواجد  
مضطراً بعد اداء الزكاة أو قبل تمام الحول . وهو لا يشترط فيه نصاب معين  
بل هو على حسب الاستطاعة فاذا كان لا يملك إلا رغيماً ورأى مضطراً اليه  
في حال استغنائه عنه بأن لم يكن محتاجاً اليه بنفسه أو لمن تجب عليه نفقته  
وجب عليه بذله . وليس المضطر وحده هو الذى له الحق في ذلك بل أمر  
الله تعالى المؤمن أن يعطى من غير الزكاة « ذوى القربى » وهم أحق الناس  
بالبر والصلة فان الانسان إذا احتاج وفي أقاربه غنى فان نفسه تتوجه اليه  
بعاطفة الرحم . ومن المغرور في الفطرة ان الانسان يألم لفاقة ذوى رحمه  
وعدمهم أشد مما يألم لفاقة غيرهم فانه يهون بهوانهم ويعتز بعزتهم . فمن قطع  
الرحم ورضى بأن ينعم وذوو قريبه بانسون فهو برىء من الفطرة والدين ،  
وبعيد من الخير والبر . ومن كان أقرب رحماً كان حقه أكد وصلته أفضل  
« واليتامى ، فانهم لموت كافلهم تتعلق كفايتهم بأهل الوجد واليسار من  
المسلمين ، كيلا تسوء حالهم وتفسد تربيتهم ، فيكونوا مصاباً على أنفسهم ،  
وعلى الناس .

« والمساكين » فانهم لما قعد بهم العجز عن كسب ما يكفيهم ، وسكنت  
نفوسهم للرضى بالقليل عن مد كف الذليل ، وجبت مساعدتهم ومواساتهم  
على المستطيع .

« وابن السبيل ، المنقطع في السفر لا يتصل بأهل ولا قرابة .  
« والسائلين ، الذين تدفعهم الحاجة العارضة إلى تكسيف الناس . والسؤال  
محرم شرعاً إلا للضرورة ، يجب على السائل أن لا يتعدها .  
« وفي الرقاب ، أى في تحريرها وعتقها ، وهو يشمل ابتياع الأرقاء وعتقهم  
واعانة المكاتبين ( وهو من يشتري نفسه من مولاه بثمان ويجعله مقسطاً )  
على أداء نجومهم ، ومساعدة الأسرى على الاقتداء .

« واقام الصلاة ، وهذا هو الركن الروحاني الركين للبر . واقام الصلاة  
التي يكرر القرآن المطالبة بها لا تتحقق بأداء أفعال الصلاة وأقوالها . وإنما  
البر والتقوى في سر الصلاة وروحها التي تصدر عنه آثارها من النهي عن  
الفحشاء والمنكر وقلب الطباع السقيمة ، والاستعاضة عنها بالفرائض المستقيمة ،  
فقد قال تعالى : « إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ

الْخَيْرُ مُنُوعًا . إِلَّا الْمُسْلِمِينَ . » . فمن حافظ على الصلاة الحقيقية تطهرت نفسه  
من الهلع والجزع إذا مسه الشر ، ومن البخل والمنع إذا مسه الخير وكان  
شجاعاً كريماً قوياً العزيمة ، شديد الشكيمة ، لا يرضى بالضميم ، ولا يخشى في  
الحق العذل واللوم .

« وآتى الزكاة ، قلنا تذكر إقامة الصلاة في القرآن إلا ويقرن بها آيتاء  
الزكاة . فالصلاة مهذبة للروح ، والمال كما يقولون قرين الروح فبذله في سبيل  
الحق ركن عظيم من أركان البر وآية من أظهر آيات الايمان ، وقد بينت السنة  
بالمهدي والعمل كيفية الأخذ وقدر المأخوذ وسائر الأحكام .

ثم قال تعالى : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والعهد عبارة عما يلزم  
به المرء لآخر وهو بعمومه يشمل ما عاهد المؤمنون عليه الله بإيمانهم من



السمع والطاعة والاذعان لكل ما جاء به دينه ، ويشترط في وجوب الوفاء بالعهد ان لا يكون في معصية . وفي معنى العهود العقود وقد أمرنا بالوفاء بها فيجب على المسلم أن يلتزم الوفاء بما يتعاقد عليه مع الناس ما لم يكن مخالفاً لأمر الله ورسوله الثابت عنده ولقواعد الدين العامة . وقد قال أهل القوانين الوضعية : ان كل التزام يخالف أصول القوانين فهو باطل . وقد قال الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده : الغدر والاخلاف من الذنوب الهادمة للنظام المفسدة لل عمران المفنية للأمم ، وما فقدت أمة الوفاء الذي هو ركن الأمانة وقوام الصديق الا وحل بها العقاب الإلهي .

« والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس » قالوا ان البأساء اسم من البؤس وهو الشدة والفقر والضراء ما يضر الانسان من نحو مرض أو قرح أو فقد محبوب من مال وأهل . وفسروا البأس باشتداد الحرب ، والصبر يحمد في هذه المواطن وفي غيرها ، وخص هذه الثلاث ، بالذكر لأن من صبر فيها كان في غيرها أصبر . وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر ، وعبر عنه في بعضها بالكفر . فلا غرو أن يجعل الصبر في البأس أصلاً من أصول الايمان ، وقد كان المسلمون بارشاد هذه النصوص أعظم أمة حربية في العالم .

وانظر بعد هذا حكم الله تعالى على البررة المؤمنين الذين يقيمون ما تقدم ذكره من أركان البر والايمان قال : « أولئك الذين صدقوا ، في دعوى الايمان دون الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » وأولئك هم المتقون ، الذين تشهد لهم بالتقوى أعمالهم واحوالهم . والتقوى أن تجعل بينك وبين

سخط الله وقاربه بأن تتحامي أسباب خذلانه في الدنيا وعذابه في الآخرة (١)  
العمل الصالح برهان على صون العقيدة وثمره من ثمارها وقد جعل الله  
سعادة المؤمن فيهما ولم يجعلها لصاحب العقيدة بدون عمل صالح. وهذه آيات  
القرآن الكريم تدل على ذلك، وترشدك إلى أن العمل ضروري للمؤمن،  
وأن السعادة في الدنيا والآخرة لا تتال بغير العمل.

قال تعالى: ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحسبته  
حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (سورة النحل)

وقال تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات  
الفراتوس نزلاً ﴾ ما أعد للضيف لينزل فيه . (سورة الكهف)

إن من يدعى الإيمان بالله ويعصيه ويصر على ذلك العصيان لا يبالي الله  
تعالى بإيمانه، ولا يقيم لعقيدته وزناً لأنها من الوهن والضعف بمكان.

قال تعالى: ﴿ يتساملون عن المجرمين ما سلككم في سقر (جهنم) قالوا  
لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين .  
وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين . فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾  
(سورة المدثر)

---

(١) تفسير المنار جزء ٢ ص ١١٩ وما بعدها

والانسان لا يستطيع الولاية والخلافة في الأرض إلا إذا كان علماً بطرق  
الاصلاح ملماً بما يجب عمله لعمارتها واستغلالها عارفاً بوسائل الاستثمار في  
شتى النواحي التي تتطلبها الحاجة وللظروف المحيطة به وقد ذكر الله تعالى  
ذلك في كثير من الآيات مفصلة كما قدمنا وبجملته قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا  
فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾  
(سورة الأنبياء)

ذكر الاستاذ الفيلسوف المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى تقسيم الصلاح  
وكيف يكون قال :

اعلم أن الله عز وجل لا يضع شيئاً في غير موضعه لأنه وزن كل شيء  
وقدره تقديرآ . أنظر ألسنت ترى من أسكن الطيور أشجارها ، والحيات  
أوكارها ، والهوام ترابها ، والحشرات أوطانها ، والحيرانات البرية أقطارها ،  
والسمك بحارها ، والطيارات التي صنعها الانسان حلقت في جوها . وضع  
الله كل مخلوق في المكان الذي استعد له هكذا هنا يقول جل جلاله : كتبت  
في كتابى الأول وأتبعته بكتابى الثانى كتبت في لوحى المحفوظ وأتبعته  
بكتابى المنزل وقلت لكم لا أعطى القوس إلا باريها ، ولا أسكن الدار إلا  
بانيها ، ولا أعطى شئاً إلا إلى طبقة ( فتاة وفقى توافقاً طبعاً فزوجاً ) ولا  
أعشق كثيراً إلا فى عزة ، ولا أعطى إلا بمقدار ، ولا أهب إلا على استعداد  
فأنا حكيم والحكمة هى التي بها قامت السموات والأرض فهل ترون فى خلقى  
من تفاوت ، وهل رأيتم فى عملى عوجاً ، أنظروا يا عبادى أنظروا فصلاح  
كل شيء بحسبه ولا أعطى الشئ إلا لما يصلح له فالصلاح للملك فى الأرض  
بأربعة شرر ! وهى :

١ - أن يكون القادة في الأمة علماء حكماء مفكرين فهم يكونون أشبه بالعقل في الدماغ بالجسم الانساني .

٢ - أن يكون للأمة جيش منظم يقوده ضباط على شريطة أن يخضع لأولئك العقلاء وهذا أشبه بالقوة الدموية في جسم الانسان التي يقوم بتصريفها القلب في تجويف الأذنين وتجويف البطنين والحركات المنظمة بطريق الآلة الماصة الكابسة أي الجاذبة والرافعة .

٣ - أن يكون الفلاحون والعمال والصناع قائمين بأعمالهم مطيعين للقريرين .

٤ - أن تنظم هذه الطوائف الثلاث بحيث تقسم جميع أعمال الدولة عليهم والصناعات التي يحتاج اليها العمران الانساني . فلا يذرون علما ولا صناعة إلا قسمها أولئك الرؤساء على الشعب .

هذا هو الصلاح الذي ذكره الله للملك في الأرض (١)

إن المدقق النظر في القرآن الكريم يرى ذلك الانسجام المحكم في القواعد التي وضعها الله عز وجل للخلافة في الأرض فقد استخلف آدم بعد أن علمه الأسماء كلها أي أعده وعرفه القواعد التي يسير عليها لاستثمارها وحكمها وهذه الخلافة وعد من الله لذرية آدم لمن قام بشروطها وبمجملها الاصلاح أي العمل المصلح المنتج المفيد ولا يكون ذلك إلا عن طريق العلم .

فالعامل الصالح - ولن يكون صالحاً إلا بالعلم - يكون الانسان به صاحب

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم للاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى

السلطان في الأرض يذلها لمآربه ويستثمرها في حاجاته ويحتكم فيها غير معارض ولا منازع . فكل من تقاعد عن العلم والعمل فقد عطل نعمة الله وأصبح من الخاسرين المستعبدين الذين عصوا الله وكفروا نعمته ، وقد قال الله فيهم ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدون فيها أولئك هم شر البرية ( الخلق ) ﴾ وأما الذين علموا وعملوا ، واتخذوا العلم سراجهم والفكر قائدهم ، واهدوا بهدى ربهم فقد قال الله تعالى ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ ( سورة البينة ) وكان من أثر هذه التعاليم السامية انتشار الاسلام وتحقيق مبادئه ، جعل النظام والعدل يسود كل أمة دخلها كما رفع شأنها اجتماعياً واقتصادياً وعملياً ولنسق الدليل ، ما كتبه علماء الغرب عن حالة اسبانيا حينما دخلها المسلمون ولتذكر ما كانت عليه حالة الاسبانيين قبل دخول المسلمين وبعد دخولهم لنبين صحة ما نقول :

### ما كانت عليه اسبانيا قبل فتح المسلمين

قال المؤرخ الفرنسي الكبير ( سديو ) في كتابه خلاصة تاريخ العرب ما تعريبه :

« غلب على شبه جزيرة اسبانيا قبيل الهجرة المحمدية بمائتين واثنتين وعشرين سنة قبيلة تعرف بالوزيغوط كان ملكهم يمتد إلى طنجة وسبته من مراکش وكانوا قد هزموا موسى بن نصير حين حاصر سبته سنة ( ٦٤ ) للهجرة كما هزمه ثانية فيها الملك وزيتا الوزيغوطي سنة ( ٩١ ) حين دهمها مرة أخرى ، وكانت مملكة اسبانيا كثيرة الرجال وأسعة الأقاليم ولكن

الحكومة فيها كانت مختلة والأمة كانت تتألف من جماعات متعادية وكانوا واقعين جميعاً تحت سلطان القسوس فكانوا يتقاضون منهم أنوات باهظة وكانت الشريعة التي يحكمون بها مزيجاً من القانون الروماني وعوائد القبائل الجرمانية فكانت الأمة في حالة من التأخر بحيث لا تستطيع امداد المملكة بمقوماتها وكان الرعايا مستعبدين لمهنتهم الزراعية وهي حالة تنتزع من قلوبهم الوطنية والشهم وكان اضطهاد اليهود بالغاً أشده مما ملأ قلوبهم بالاحقاد والسخائم على حكومة البلاد الخ.

### إلى أي حال آلت اسبانيا تحت حكم المسلمين

وقال الاستاذ سديو المذكور في كتابه خلاصة تاريخ العرب ما ملخصه :

كان عرب اسبانيا متفوقين على الفرنج في العلوم والصنائع والأخلاق الكريمة مما حجب ملوك قسطنطينة ونواره أن يقدموا إلى قرطبة لاستشارة أطبائها الذين كانوا معروفين بتضلعمهم في هذه الصناعة .

وكان هؤلاء العرب حيث وجدوا يبجلون الشيوخ ويتنافسون في إقامة معالم العدل ويغارون على مراعاة تطبيقه ويدينون بالمساواة العامة لا ميزة لقبهم على فقيرهم . فلا يمنع فقر أحدهم أن يبلغ إلى أرق المراتب ما دامت توهمه لها صفاته الخاصة . ولا يعولون في انزال الناس منازلهم من الكرامة على أحسابهم وأنسابهم ولكن على ميزاتهم العقلية وفضائلهم النفسية لأنهم كانوا يترسمون خطوات القرآن الذي يحضهم على اكتساب الفضائل والتوسع في الأعمال الصالحة وكان خلفاؤهم يحثونهم على العمل المنتج وعدم العدوان على الناس

والذي ساعد هؤلاء العرب على بلوغهم أبعاد شام من العظمة اتساع دائرة العلوم والفنون لديهم وانتشار المعارف الفلاحية والصناعية فيهم . لهذا ذاق جميعهم لذة العلم وتنافسوا في ابتكار ما يمتازون به من الأعمال النافعة .

وكان من شروط القيام بمهمة القضاء فيهم أن يكون القضاة حاصلين على معارف واسعة وكانوا يكتبون على كل بناء اسم المهندس الذي شيده واسم الأمر باقامته وقد عرف عنهم أنهم بلغوا رقياً عظيماً في فنون العمارة وكانوا يحزلون الثناء على كل ماهر في صناعته ويشيدون بذكره تنشيطاً لغيره وقد اقتنى الأفرنج أثرهم في أساليب أبنيتهم وزخرفتها .

وقد علم العرب في مدارسهم علوم الفلك والجغرافيا والمنطق والطب والنحو والهندسة والجبر والطبيعة والكيمياء الطبية والتاريخ الطبيعي وهو علم المواليذ الأرضية الثلاثة وحشروا إلى مكتباتهم كتباً نقلوها إلى لغتهم من علوم قدماء اليونانيين وفلاسفة الاسكندرية حتى أن ( جوبرت ) الذي تولى البابوية في آخر القرن العاشر كان قد أخذ بعض العلوم عن العرب فأظهرها لمعاصريه فأخذهم منها العجب واتهموه بالسحر من أجلها (١) .

فبفضل الاسلام يسجل التاريخ للامة العربية أنها كانت محية العلوم الدارسة والفنون الطامسة . وأنها كانت سبباً لا يطاق البشرية من سباتها العميق ودفعها في سبيل الحياة والمدنية . وما زال القرآن ينادى في جميع آياته بالتعلم والعلم والاستزادة منه حتى يبقى للامة مجدها وعزها وعلو شأنها .

# وجوب التعلم

## والاستزادة من العلم

دعا القرآن الكريم إلى الاستزادة من العلم في عبارة صريحة واضحة فقال تعالى لتبنيه : «وقل رب زدني علماً» لأنه وسيلة إلى معرفة أسرار ما في الكون كما أنه وسيلة لتعرف قدرة خالقه ومدبره والطريق إلى القرب منه والاستزادة من فضله ورضوانه . وجاء القصص القرآني مؤيداً لهذه القاعدة وإن الانسان لا يجب أن يقف عند علمه مهما بلغ من السعة والاطلاع . وليقرأ الانسان قصة موسى عليه السلام في القرآن ليرى ما يجب عليه من البحث وراء الحقائق والكشف عنها والتزود منها وأن حدودها لا تقف عند حصر ولا عد .

موسى عليه السلام هو « قنوة » الأنبياء نشأ في عصر العلم وترقى في بيت العلم وحياه الله ورعاه بالعلم وجاهد وناضل حكومة العلم ليردها عن طغيانها وينقذ قومه مما كانوا فيه . وشهد له الملأ من قوم فرعون يوم أتاهم بالمعجزات وقالوا « إن هذا ساحر عليم » . ( سورة الاعراف ) . قال تعالى في سورة القصص : « تلو عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض ونرى



فرعون وهن وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون . وأوحينا إلى أم موسى أن  
ارضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه اليك  
وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن  
فرعون وهن وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لي  
ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون . وأصبح  
فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون  
من المؤمنين . وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون .  
وحرمتنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم  
وهم له ناصحون فردناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله  
حق ولكن أكثرهم لا يعلمون . ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً  
وكذلك نجزي المحسنين .

وطبيعي أن تكون أم موسى بعد أن أتمت رضاعه قد أتت به إلى بيت  
فرعون وتولى القصر الفرعوني تربيته كما كانوا يربون أبناء الملوك في ذلك  
العهد بواسطة الكهنة ورجال الدين بحسب التقاليد التي كانت لذلك البيت في  
تلك الأيام وأن يكون موسى قد تعلم تعليماً راقياً ولتقرأ هذه الآية : « ولما

بَلَغَ أَشُدَّهُ وَأَسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وقال فرعون لموسى يوم حمل اليه الرسالة من الله عز وجل : أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِئْسَ فِينَا مِنْ عَمَرِكَ سِنَّينَ . وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكِ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ( يذكره بقتله للمصرى حينما استصرخه أحد شيعته فركزه موسى فقتضى عليه ثم هرب إلى مدين ثم رجع بالرسالة ولذلك أجابه موسى عليه السلام : قال فعلتها وأنا من الضالين . ففرتُ منكم لما خفتُكم فوهبَ لى ربي حُكْمًا وجعلنى من المرسلين ، ( سورة الشعراء )

وقد ورد في صحيح البخارى عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قام موسى النبي خطيباً فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم ؟ فقال أنا أعلم . فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله . فأوحى الله اليه : إن عبداً من عبادى بمجمع البحرين هو أعلم منك . فقال يارب وكيف به ؟ ! فقيل له احمل حوتاً فى مكمل ( شئ يشبه الزنبريل ) فاذا فقدته فهو ثم . فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون وحمل حوتاً فى مكمل حتى إذا كانا عند الصخرة وضعا رؤسهما فناما فانسل الحوت من المكمل فاتخذ سيده فى البحر سرباً . وكان لموسى وفتاه عجباً . فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما فلما أصبحا قال موسى لفتاه آتانا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً . ولم يجد موسى من النصب حتى جاوز المكان الذى أمر به . فقال له فتاه أرأيت إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت . قال موسى ذلك ما كنا نبغي . فارتدا على آثارهما قصصاً . فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب . أو قال تسجى بثوبه ( أى ) . فلم موسى فهد ، الخضر وانى بارض السلام

فقال أنا موسى. فقال: موسى نبي إسرائيل !! قال نعم. قال هل أتبعك على أن تعلمني ما علمت رشداً؟! قال إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى. إني على علم من الله علمتبه لا تعلمه. وأنت على علم علمك الله لا أعلمه. قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. فانطلقا ممشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة. فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعرف الخضر حملوهما بغير نول (أجر) فجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين من البحر فقال الخضر يا موسى ما نقص على وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر. فعمد الخضر إلى لوح من الواح السفينة فنزعه. فقال موسى قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها !! قال ألم أقل لك لن تستطيع معي صبراً! قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً. فكانت الأولى من موسى نسياناً. فانطلقا فاذا بغلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده! فقال موسى أقتلت نفساً زكية بغير نفس! قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعا أهلها فأبوا أن يضيفوهما. فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض قال الخضر بيده فاقامه. فقال موسى لو شئت لاتخذت عليه أجراً. قال هذا فراق بيني وبينك. قال النبي صلى الله عليه وسلم: يرحم الله موسى لو ددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما.

وقد ذكر القرآن الكريم هذه القصة في سورة الكهف فقال تعالى: « وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أضي حقياً... إلى أن قال تعالى: وجدا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً » قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني ما علمت رشداً. قال إنك لن تستطيع

معى صبراً . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً . قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً . قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً . فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرأ . قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا . قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا . فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا . قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً . قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا . فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعا أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيه جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً . قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً . أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا . وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا . فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحماً . وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغنا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا ،

إن هذه المسائل الثلاث مشتركة في شيء واحد وهو أن أحكام الأنبياء صلوات الله عليهم مبنية على الظواهر كما في الحديث ، ونحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، وهذا العالم ما كانت أحكامه مبنية على ظواهر الأمور بل

كانت مبنية على الأسباب الحقيقية الواقعة في نفس الأمر ، وذلك لأن الظاهر يحرم التصرف في أموال الناس وفي أرواحهم في المسألة الأولى وفي الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف لأن تخريق السفينة تنقيص لملك الانسان من غير سبب ظاهر ، وقتل الغلام تفويت لنفس معصومة من غير سبب ظاهر ، والاقدام على إقامة ذلك الجدار المائل في المسألة الثالثة تحمل للتعب والمشقة من غير سبب ظاهر . وفي هذه المسائل الثلاث ليس حكم ذلك العالم فيها مبنياً على الأسباب الظاهرة المعلومة بل كان ذلك الحكم مبنياً على أسباب معتبرة في نفس الأمر . وهذا يدل على أن ذلك العالم كان قد آتاه الله قوة عقلية إدراكية قدر بها أن يشرف على بواطن الأمور ، ويطلع بها على حقائق الأشياء . فكانت مرتبة موسى عليه السلام في معرفة الشرائع والأحكام بناء الأمر على الظواهر ، وهذا العالم كانت مرتبته الوقوف على بواطن الأشياء وحقائق الأمور والاطلاع على أسرارها الكامنة فبهذا الطريق كانت مرتبته في العلم فوق مرتبة موسى عليه السلام ، وإن المسائل الثلاث مبنية على قاعدة واحدة وهي أنه عند تعارض الضررين يجب تحمل الأدنى لدفع الأعلى .

وإن كمال الدرجة في العلم أن ينتقل الانسان من علوم الشريعة المبنية على الظواهر إلى علوم الباطن المبنية على الاشراف على البواطن والتطلع إلى حقائق الأمور .

إن العلم بظواهر الأشياء يمكن تحصيله بناء على معرفة الشرائع الظاهرة وأما العلم ببواطن الأشياء فانما يمكن تحصيله بناء على تصفية الباطن وتجريد النفس وتطهير القلب عن العلائق الجسدانية ، ولهذا المعنى قال تعالى في

صفة ذلك العالم ، وعلمناه من لدنا علماً ، ( الجزء الخامس من تفسير الفخر الرازي ص ٥٠١ )

قال النبي صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس تعلموا ، العلم بالتعلم والفقہ بالتفقہ ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » ( رواه ابن عاصم والطبري من حديث معاوية ) وقال ابن عباس : كونوا ربانيين جلساء فقهاء علماء . ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وصغاره ما وضع من مسائله وكباره ما دق منها . وقال عمر رضي الله عنه : تفقهوا قبل أن تسودوا وقد تعلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كبر سنهم .

والحديث دل على أن الغبطة لا تكون إلا بأحد أمرين العلم والجود ولا يكون الجود محموداً إلا إذا كان بعلم فكأنه يقول: تعلموا العلم قبل حصول الرياسة لتغبطوا إذا غبظتم بحق . وهناك وجه آخر ان تعجلتم الرياسة التي من عاداتها أن تتمتع صاحبها من العلم فاتركوا تلك العادة وتعلموا العلم لتحصل لكم الغبطة الحقيقية . ومعنى الغبطة تمنى المرء أن يكون له نظير ما للآخر من غير أن يزول عنه .

•••

وقصة موسى مع عبد الله العالم تدلنا على أشياء كثيرة نستخلص منها ما يأتي : —

أولاً — إن العلوم لا حد لها . ويجب أن يتعلم الانسان طيلة حياته من المهد إلى اللحد .

ثانياً — إن على الانسان أن يتزود من العلم بقدر جهده ويسمى بمعارفه في كل وقت ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . قال عليه الصلاة والسلام : إذا أتى

على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع  
شمس ذلك اليوم (رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحليّة وابن  
عبد البر تعليقاً)

ثالثاً - إن خير ما في هذه الدنيا العلم فهو مصدر الخيرات وسبيل  
البركات. قال صلى الله عليه وسلم: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله  
وما والاه أو معلماً أو متعلماً (رواه الترمذى وابن ماجه من حديث  
أبي هريرة).

رابعاً - أفضل العلوم ما وصلك إلى الخير العليم وهداك إلى القرب  
من الله فأفاض عليك من بحر علمه. قال صلى الله عليه وسلم: «أوحى  
الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم»  
(ذكره ابن عبد البر تعليقاً)

خامساً - احتمال المشقة والسفر في طلب العلم قال صلى الله عليه وسلم:  
«أطلبوا العلم ولو بالصين» (رواه ابن عدى والبيهقي في المدخل والشعب  
من حديث أنس)

سادساً - يجب على طالب العلم أن يتصف بحميد الأخلاق وجميل  
الصفات حتى يكون أهلاً لقبول المعارف والعلوم.  
وستكلم عن ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.



## ما يجب

أن يتحلى به طالب العلم من صفات

إذا كان غواة السباق يربون جسادهم على طرق مخصوصة توصلهم إلى الفوز بسبق خيولهم فلا تعطى الخيل ما تشتهي من العلف والماء إلا بمقدار، ولا بد من تدريبها في الفينة بعد الفينة حتى تصبح ضامرة ومعدة للسباق

فكذلك طالب العلم لا يستطيع أن يصل إل بعض غايته من تحصيل العلم والوصول إلى المعرفة إلا إذا كبح جماح شهوته ووضع له نظاماً يكفل معه صحة جسمه وعافية روحه . وإن تنال صحة الجسم إلا بالبعد عن الأمراض واتقاء أسبابها . كما لا يحظى بسلامة الروح أو النفس إلا بالبعد عن الشهوات ومفاسدها ، وذميم الأخلاق ومضارها قال تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾ ( سورة البقرة ) . فإله تعالى اشترط في منحه العلم للانسان أن يتقيه ومعنى هذا أن يكون طائعاً له متحلياً بما أمره من الفضائل متجنباً ما نهى عنه بعيداً عن الرذائل .

وقد أورد الامام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ( الجزء الأول ) الصفات التي يجب أن يتحلى بها المتعلم أو طالب العلم حتى يفوز بقسط وافر . فلخصها فيما يأتي :



أولاً - يجب على طالب العلم التحلي بمكارم الأخلاق والبعد عن مذموم الصفات إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى . وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخيات فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب إلا بعد طهارته من خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف قال صلى الله عليه وسلم : « تبي الدين على النظافة ، وهو كذلك باطناً وظاهراً . والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب كل هذه ظلمات تحجب نور العلم . وليس العلم كثرة الرواية وما تعيه الحافظة وإنما هو نور البصيرة بها تميز بين الحق والباطل ، والضار والنافع ، والخير والشر ، والهدى والضلال كما قال ابن مسعود : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف في القلب وقال بعضهم : إنما العلم الخشية لقول الله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم .

ثانياً - يجب أن يقلل طالب العلم من شواغله وما يصرفه عن التحصيل وتكريس الوقت إذ ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه . ومهما توزعت الفكرة قصرت عن إدراك الحقائق ولذلك قيل : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فإذا أعطيتك كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر . والعسكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه ، واختلط الهواء بعضه ، فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع .

ثالثاً - أن لا يتكبر المتعلم على العلم ، ولا يتأمر على المعلم بل يلتقي إليه زمام أمره بالكيفية في كل تنصيل ويدعن لتصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق . وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب ثواب الشرف

بخدمته قال الشعبي ( وهو عالم الكوفة ) : صلى زيد بن ثابت ( عالم من علماء الصحابة ) على جنازة فقربت إليه بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد : خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء . فقبل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم . فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ، ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المروقين المشهورين وهو عين الحماقة فإن العلم سبب النجاة والسعادة ، والحكمة ضالة المؤمن يفتتها حيث يظفر بها ويتقلد المشاة لمن ساقها إليه كائناً من كان ولذلك قيل :

العلم حرب للفتى المتعالى كالسيل حرب للسكان العالى

ولا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع ، قال تعالى : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح . وليدع رأيه فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها ، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لا خبرة له به ، وقصة موسى مع العبد الصالح فيها أكبر عظة . وبالجملة كل متعلم استبق لنفسه رأياً واختياراً دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران .

قال علي رضي الله عنه : من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ، ولا تعنته في الجواب ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفضي له سرأ ، ولا تقتسبن أحداً عنده ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرتة ، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى ، ولا تجلس أمامه ، وإن كان له حاجة سبقت القوم إلى خدمته :

رابعاً - أن يحترز الخائض في العلم في مبدء الأمر عن الاصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو علوم الآخرة فإن فلك يدهش ذهنه ويحير عقله ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع بل ينبغي أن يتقن أولاً الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أساتذته ثم بعد ذلك يصغي إلى المذاهب والشبه .

خامساً - أن لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودّة ولا نوعاً من أنواعها إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية ، فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فإن الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى : « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » . قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مر مريض يحمد مرا به الميساء الزلالا

سادساً - أن لا يخوض المتعلم في فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويبتدىء بالأهم فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالخزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمه ، ويصرف جهام قوته في الميسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة .

أعنى قسنى المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ، ولست أعنى به الاعتقاد الذى يتلافه العامى ورائته أو تائقاً ، ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصيل الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى إلى رتبة إيمان أبى بكر رضى الله عنه الذى لو وزن بإيمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم ( من حديث ابن عمر ورواه البيهقى فى الشعب موقوفاً على عمر باسناد صحيح ) فاعندى أن ما يعتقد العامى ويرتبه المتكلم الذى لا يزيد على العامى إلا فى صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته كلاماً كان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسرة الذى وقر فى صدره والعجيب من يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدري ما يصنعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول فينبغى أن نتقد فى هذا فعنده ضيعنا رأس المال ، فكن حريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك فى الطلب . وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك متمهى غوره ، وأقصى درجات البشرية رتبة الانبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم . وقد روى أنه روى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها : إن أحسنت كل شيء فلا تظن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء . وفى يد الآخر : كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظلم حتى إذا عرفته رويت بلاشرب .

سابعاً — أن لا يخوض المتعلم في فن حتى يستوفى الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض ، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج قال الله تعالى « الذين آتيناكم الكتاب يتلونه حق تلاوته » أى لا يجاوزون فناً حتى يحكموه علماً وعملاً . وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقى إلى ما هو فوقه . فينبغى أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ، ولا بمخالفتهم بموجب علمهم بالعمل ، ترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيّات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها . وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب خطأ شاهده من طيب . وطائفة اعتقدوا بطلانه خطأ وقع لآخر ، والكل خطأ بل ينبغى أن يعرف الشيء في نفسه فلا بكل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه : لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله .

ثامناً — أن يعرف المتعلم السبب الذى به يدرك أشرف العلوم ولأن ذلك يراد به شيان أحدهما شرف الثمرة والثانى وثاقه الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة أحدهما الحياة الأدبية ، وثمره الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف . ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب أشرف لو ثاقه أدلته وقوتها وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف . وإن كان أكثره بالتخمين وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم فيأياك وان ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه .

تاسعاً — أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ،  
وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملائ الأعلى من الملائكة  
والمقربين ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه وبمارة السفهاء ومباهاة  
الأفراد . وإذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب إلى مقصوده وهو علم  
الآخرة ، ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحقدارة إلى سائر العلوم أعنى  
علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقةين بالكتاب والسنة وغير ذلك من  
ضروب العلوم التي هي فرض كفاية . ولا تفهم من غلونا في الثناء على علم  
الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكلفون بالعلوم كالمتكلفين بالثغور والمرابطين  
بها والفرزة المجاهدين في سبيل الله . فتمهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي  
يستقيم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحد منهم عن  
أجره إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم . فكذلك العلماء  
قال الله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »  
وقال تعالى : « هم درجات عند الله » والفضيلة نسبية واستحقاقنا للصيافة  
عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين فلا تظن أن  
ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر ، بل الرتبة العليا للانبياء ثم الأولياء  
ثم العلماء الراشدين في العلم ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم . وبالجملة من  
عمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . ومن قصد الله  
تعالى بالعلم أى علم كان نفعه ورفعته لا محالة .

عاشراً — ان يعلم المتعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرافع القريب  
على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمل ولا يهملك إلا شأنك في  
الدنيا والآخرة .

يؤخذ مما تقدم أن المسلمين فهموا معنى الحياة على وجهها الصحيح وأنه لا بد من الاعتناء بالروح كما يعنى بالجسم . فإذا كانت المادة غذاء للجسم فالعلم غذاء الروح ، ويجب على طالب العلم أن يراعى صيانة جسمه بالغذاء الطيب والمسكن الصحي والهواء الطلق ويجب عليه أيضاً أن لا يقرأ من الكتب إلا ما يفيد في دنياه أو آخرته ولا يصحب من الناس إلا خيارهم ولا يعاشر إلا فضلاءهم .

يجب أن يراعى الطالب استعداده وقبوله للعلم . وإن تعلم الصناعات والتوافر على دراستها واتقانها هو باب من أبواب العلم به يتيسر استخدام المادة في صالح الناس والحصول على معاشهم من أسهل الطرق . فالاختراعات الصناعية من أكبر الأسباب في تقدم الأمة ورفاهيتها وعزها ، فعلماء الكيمياء والميكانيكا والرى والصرف والفلك وطبقات الأرض والمعادن لهم من الاجلال والاحترام ورفيع المكانة ما لغيرهم من علماء الأدب والبيان والبلاغة والفقهاء ونظائرهم لأنهم يكشفون عن سنن الله في المادة كما يبين غيرهم قوانين الله في الأخلاق وطريق السعادة وما يلزم اتباعه وعن طريق الشقاء وما ينبغي تجنبه . وقد كان من أنبياء الله تعالى : الصانع ، نذكر منهم نوحاً وهو أبو الانبياء والرسل ، فقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ آمَنَ فَلَا تَبْتَئَسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . وَأَصْنَعُ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرَقُونَ . وَبِصْنَعِ الْفَلَكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مَرْيَمَ وَأَمْراً لَهَا مِنْ قَوْمِهَا سَخِرُوا مِنْهَا قَالَ إِنْ تَسْخَرُونَ مِنَّا فَانَا نَسْخَرُ

منكم كما تسخرون ) . ( سورة هود ) . وقد مكث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً . ولما اصرروا على باطلهم ولم تنفع معهم الدعوة الى الهداية والارشاد أمر نبيهم بصنع السفينة لتكون اداة النجاة له ولمن آمن معه وما آمن معه الا قليل وقد جاء في الحديث : « الحرقة امان من الفقر » ، و « ان الله يحب المؤمن المحترف » ، وقال الشاعر :

وليس على عبد تقى نقيصة اذا صحح التقوى وان حاك أو حجم  
وكان داود عليه السلام محترفاً صنعة الحدادة . فالصناعة واتقانها هي من علوم المادة وواجب تعلمها ما دامت ماسة بحاجة الأمة وتقدمها والدفاع عنها لانه لا كرامة ولا دين لمستعبد يأتمر بأمر مستعبده في الحق والباطل . وجلال العلم وكرامته يمتحان حرسته واطلاقه حتى يؤتى أكله وينتفع بشعره .  
وكان من أثر تعاليم الاسلام الصحيحة السليمة أن فتق العقول وأنار البصائر ، مما كان له الأثر الصالح في عمارة البلاد وتقدم حضارتها التي دانت لحكمه .

ووصف الكاتب الانجليزي ستانلي بول في كتابه قصة العرب في اسبانيا آثار المسلمين في نهضة التقدم والعلم والعمران فقال :

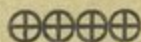
« ان قرطبة عروس الأندلس بها من الجمال والزينة ما يبهر العين ويسر النفس ، فأرواها المتعاقبون تاج مجدها . وقلادتها من درر استخراجها شعراؤها من بحر اللغة الحضم ، وحلتها أعلام الآداب والفنون وأهداب حلتها أصحاب الفنون والصناعات ،



وسكذا يصور المؤرخ الشرقى مدينته المحبوبة بما شاء من خيال الشرق  
البعيد .

ولقد كانت قرطبة أيام الخليفة العظيم حاضرة جديدة بالفخر والاعجاب  
وإذا استثنينا بزنطة فلن نجد في أوروبا مدينة تساميا في جمال أبنيتها أو في  
حياتها الرخية المترفة أو فيما تزخر به من أنواع العلوم وفنون الآداب .

ان الموجز الذى نحن بصدده نقله عن مؤرخى العرب في وصف قرطبة  
وما كانت فيه من نهضة وازدهار ومجد اتما يعود زمنه الى القرن العاشر وإذا  
لحظنا ان أسلافنا السكسون في هذا العهد كانوا يسكنون الاكواخ ويقترشون  
القضيل وان لغتنا لم تكن تكونت بعد وان القراءة والكتابة كانتا محصورتين  
في عدد قليل من الرهبان - عرفنا ما كان للعرب من مدينة عجيبة وحضارة  
مشقطة النظر . وتظهر المقابلة جلية غريبة بين حاضرة الأندلس وغيرها من  
المدن إذا ذكرنا أن أوروبا كلها في هذا العهد كانت غارقة في حمأة الجهل  
وخشونة الأخلاق وانها لم يكن بها شئ من آثار المدنية الا ما بقى  
للإمبراطورية الرومانية من أطراف في القسطنطينية وبعض أجزاء إيطاليا .



## ما يجب على المتعلم نحو المعلم

قال الامام الغزالي :-

ان للانسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسباً ، وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنياً عن السؤال ، وحال انفاق على نفسه فيكون منتفعاً ، وحال بذل لغيره فيكون سخياً متفضلاً وهو أشرف أحواله . فكذلك العلم يقتني كما يقتني المال فله حال طلب واكتساب ، وحال تحصيل يعني عن السؤال ، وحال استبصار وهو التمسك في المحصل والتمتع به ، وحال تبصير وهو اشرف الأحوال ، فن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماوات فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب . والذي يعلم العلم ولا يعمل به كالدفر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسك الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كما قيل :

ما هو الا ذبالة وقد تضىء للناس وهي تحترق

ووظيفة التعليم مهمة شاقة وخطرها جسيم . ولندكر في ايجاز ما ذكره لإمام الغزالي فيما يجب على المعلم نحو المتعلم :

أولاً : الشفقة على المتعلمين وان يحريهم بحري بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما أنا لكم مثل الوالد لولده » رواه أبو داود والنسائي

وابن مالك وابن حبان من حديث أبي هريرة . وذلك بأن يقصد انقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الوالدين لولدتهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية ، ولو لا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب الى الهلاك الدائم ، وانما المعلم هو المفيد الحياة الأخروية الدائمة ، أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا . وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها ، فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون اليه الطريق عن الدنيا ، وسنوها وشهورها منازل الطريق ، والترافق في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التوادد والتحباب فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى ، والترافق في طريقه ، ولا ضيق في سعادة الآخرة ، فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ، ولا سعة في سعادات الدنيا ، فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم ، والعداؤون إلى طالب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » وداخلون في مقتضى قوله تعالى : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين » .

ثانياً : يجب على المعلم أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكراً بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتعرب اليه ولا يرى لنفسه مئة عليهم وإن كانت المنة لازمة

عليهم ، بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم بأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض . فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى . كما قال عز وجل « وياقوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله » فان المال وما في الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادماً والخدم مخدوماً ، وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ، ومثله هو الذي يقوم في العرض الأكبر مع المجرمين ناكسي رؤوسهم عند ربهم . وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل في خدمة السلاطين لا ستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوها ولم يختلف اليهم ، ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعاضد عدوه وينتفض جهاراً له في حاجاته ومسخرأ بين يديه في أوطاره ، فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه . فأخس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقرباً إلى الله تعالى ونصرة لدينه ، فانظر إلى الامارات حتى ترى ضروب الاعتراضات .

ثالثاً : أن لا يدع المعلم من نصح المتعلم شيئاً وذلك بأن يمنعه من التصدي

لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ، وليكن  
المهدي الذي يرمى اليه هو توعية نفس المتعلم وتهذيبها والسلوك بها إلى  
الله عز وجل .

رابعاً : وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق  
بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التريخ ،  
فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيء  
الحرص على الاصرار ، وقد ورد في الأثر : ( لو منع الناس عن فت البعر  
لفتوه ) . وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء . وينبهك على هذا قصة آدم وحواء  
عليهما السلام وما نها عنه فما ذكرت القصة لك لتكون سمرأ بل لتثبه بها  
على سبيل العبرة ، ولأن التعريض أيضاً يميل النفوس الفاضلة والأذهان  
الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفتن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن  
ذلك مما لا يعزب عن فطنته .

خامساً : ان المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبض في نفس المتعلم  
العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقييح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقييح  
علم الحديث والتفسير ، وان ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا  
نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام  
في حيز النساء . فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن ؟ فهذه أخلاق  
مذمومة للبعليين ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على  
المتعلم طريق التعلم في غيره ، وان كان متكفلاً بعلوم فينبغي أن يراعى التدرج  
في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة .

سادسا : أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله  
فيتفره أو يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم  
حيث قال : « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ، ونكلمهم  
على قدر عقولهم ، فليدث اليه الحقيقة اذا علم أنه يستقل بفهمها وقال صلى الله  
عليه وسلم : « ما أحد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنه على  
بعضهم ، وقال على رضى الله عنه - وأشار إلى صدره - إن ها هنا لعلومنا  
جملة لو وجدت لها حملة . وصدق رضى الله عنه فقلوب الأبرار قبور الأسمار  
فلا ينبغي أن يفشى العالم كل ما يعلم إلى كل أحد ، هذا اذا كان يفهمه المتعلم  
ولم يكن أهلا للانتفاع به ، فكيف فيما لا يفهمه ؟ وقال عيسى عليه السلام :  
لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجواهر ، ومن  
كرهها فهو شر من الخنازير . ولذلك قيل : كل لكل عبد بمعيار عقله وزن  
له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار  
وسئل بعض العلماء عن شيء ، فلم يجب . فقال السائل : أما سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال : « من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام  
من نار » ؟ فقال : اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه وكتمه فليلجمني .  
فقد قال الله تعالى : « ولا توتوا السفهاء أموالكم ، تنبيها على أن حفظ العلم  
من يفسده ويضره أولى وليس الظلم في اعطاء ذير المستحق بأقل من الظلم  
في منع المستحق .

سابعا : ان المتعلم القاصر ينبغي أن يلقي اليه الجلى اللائق ، ولا يذكر له  
أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه ، فان ذلك يفتر رغبته في الجلى ويشوش

عليه قلبه ويومئ إليه البخل به عنه ، اذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق ،  
فما من أحد الا وهو راض عن الله سبحانه وتعالى في كمال عقله ، وأشد هم حماقة  
وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكامل عقله . وبهذا يعلم أن من تقيده من العوام بقيد  
الشرع ورسوخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيهه ومن غير  
تأويل وحسن مع ذلك سريره ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن  
يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر  
انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي  
بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريداً يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن  
يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات  
وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصدد ممارستها ويملاً قلوبهم من الرغبة والرهبة  
في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة  
بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك ، وبالجملة لا ينبغي أن يفتح للعوام  
باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام  
عيش الخواص .

ثامناً : أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعلمه لأن العلم يدرك  
بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فاذا خالف العمل  
العلم منع الرشد وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتسألوه فانه سم مهلك  
سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه  
أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ، ومثل المعلم المرشد من المسترشدين  
مثل النقش من الطين والظل من العود ، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه

ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل في المعنى :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

قال الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنهون أنفسكم » ولذلك كان

وزر العالم في معاصيه أكبر من وزر الجاهل إذ يزل بزله عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها ، وإنك قال علي رضي الله عنه ( قسم ظهري رجلان : عالم متهتك ، وجاهل متنسك ) فالجاهل يغر الناس بمتسكه والعالم يغرهم بتهتكه (١)

إن أثر المعلم خطير جداً في بيئته وأمة فهو إمام وقدوة إن صلح صلح من حوله وإن فسد فسد من حوله وقد قال صلى الله عليه وسلم : « صنفان من متى إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء » رواه ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس .

والأمة لا تقاس قوتها ولا توزن بما عندها من أنفس ومال بل بما عندها من علماء ومجاهدين وعلى هؤلاء يكون تقدم الأمة وتأخرها ، فالأمة التي تملك عدداً كبيراً من العلماء الموزعين على مراقبتها والساخرين على مصالحها فلا شك أنها يكون لها من السيادة والسلطان بما لعلها من أثر وانتاج . فعلماء الأخلاق وعلماء الشرع وعلماء الطب وعلماء الصناعة وعلماء التجارة

---

(١) كتاب احياء علوم الدين تأليف الامام العلامة المحقق المدقق

حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الجزء الأول ص ٤٩ وما بعدها .



وعلماء الزراعة وعلماء الكيمياء وعلماء الطبيعة فبمجموعات هؤلاء يكون رقى الأمة وبسط نفوذها .

والأمة الرشيدة هي التي ترزق أبناء بررة صالحين يعرفون كيف يوجهونها التوجيه الصالح حتى تكون عزيزة الجانب موفورة الكرامة . قال صلى الله عليه وسلم : « أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل . وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا فهم على ما جاءت به الرسل » رواه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس .

ووظيفة المعلم أسمى الوظائف وأرقاها إذا صلح ، فهو الذي يوجهه تلاميذه إلى الخير ويعودهم لأن يكونوا دعاة اصلاح وارشاد ، ويوجههم التوجيه النافع لما يلزم أن يقوموا به نحو عقيدتهم وأمتهم والانسانية جميعاً . وقد فهم المسلمون في الصدر الأول ذلك حتى أهم سادوا العالم ورفعوا شأن الاسلام والمسلمين معاً . ذكر السيد ( أمير علي ) الهندى في كتابه تاريخ الاسلام أنه كان يكتب على مدخل كل مدرسة في الأندلس هذه العبارة :

الدنيا تستند على أربعة أركان : ( ١ ) علم الافاضل ( ٢ ) عدل الأكابر ( ٣ ) دعاء الصالحين ( ٤ ) جلال الشجعان . وقد ورد في الأثر : مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فاذا انظمت النجوم أوشك أن تضل الهداة . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابعة فتهلك . وقيل علم عليك من يجمل ، وتعلم من يعلم ما تجمل ، فانك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما

علمت . وقال الحسن : لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكام  
ويجري في العمل مجرى السفهاء . وقال ابن المبارك : لا يزال المرء عالماً ما  
طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل . كل هذا يبين لنا ما للقرآن من  
أثر طيب في نشر العلم والدعوة إلى ذلك من حض العلماء على تعليم الناس  
وهدايتهم حتى ينتشر السلام وتعم السعادة للناس كافة . وليحذر المعلم والعالم  
أن يخالف عمله علمه إذ عاب القرآن الكريم ذلك على العلماء فقال تعالى :

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ

مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة  
الجمعة) . وقد علم المسلمون وعلموا وتزودوا من العلم بقسط وفير وفكروا  
ونقبوا عن آراء علماء الأمم التي سبقتهم وترجموها إلى لغتهم وفتحوا المدارس  
وبنوا المصانع فكان سلطانهم قائماً على العلم والعمل .

---

# أثر دعوة الاسلام

## للعلم والتعليم في المسلمين

كتب الاستاذ الامريكى الشهير ( درابر ) فى كتابه ( التنازع بين العلم والدين ) :

« بعد انتقال محمد صلى الله عليه وسلم إلى الدار الباقية ترجمت إلى اللغة العربية أهم المؤلفات اليونانية وترجمت القصائد اليونانية الشهيرة ( كالإلياذة ) و ( الأوديسية ) إلى اللغة السريانية ليطلع عليها العلماء دون العامة لما رأوه فيها من الأفاصيص الخرافية عن آلهة اليونانيين مما يخشى منه على عقائدهم . ولما ولى الخلافة أبو جعفر المنصور ( من سنة ٧٥٣ إلى ٧٧٥ ) قفل تحت الملك إلى بغداد وجعلها عاصمة فخيمة . فلم يأل جهداً من بذل الوسع فى درس العلوم الفلكية وتأسيس مدارس الطب والشريعة . ولما جلس حفيده هرون الرشيد على عرش الملك ( سنة ٧٨٦ ) اتبع أثر جده فى هذه الفتوحات العلية وأمر بإضافة مدرسة إلى كل مسجد فى جميع أرجاء ملكه . ولكن عصر العلم الزاهر فى القارة الآسيوية لم يشرق إلا فى خلافة المأمون الذى تولى الخلافة من سنة ( ٨١٣ إلى ٨٣٢ ) فإنه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمى ، وجمع كتباً لا تحصى ، وقرب إليه العلماء ، وبالغ فى الحفاوة بهم . »

« هذا المركز الذي اكتسبه العرب ، وهذا الذوق السليم في العلم ؛ استمر لديهم حتى بعد أن انقسمت المملكة إلى ثلاثة أقسام . حتى أن العباسيين في آسيا والفاطميين في مصر والامويين في اسبانيا لم يكونوا متناظرين متغيرين على الحكومة فقط بل كانوا كذلك على الآداب والعلوم أيضاً .

« ذاق العرب في الفنون الأدبية كل ما من شأنه أن يحد القريحة ويصقل الذهن ، وقد افتخروا فيما بعد بأنهم انجبوا من الشعراء بقدر ما انجبت الأمم كلها مجتمعة . أما في العلوم فقد كان فوقانهم فيها ناشئاً من الأسلوب الذي توخوه في المباحث . وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الاسكندرانيين لا عن اليونان الأوربيين ، فانهم قد تحققوا إن الأسلوب العقلي النظري لا يؤدي إلى التقدم ، وإن الأمل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها . ومن هنا كان شعارهم في أبحاثهم الأسلوب التجريبي والدستور العملي الحسي . وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية أدوات ومعدات لعلم المنطق . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة على الميكانيكا والايديوستاتيكا ( علم موازنة السوائل وضغطها على جدران أو عيبتها ) ونظريات الضوء والابصار ، بأنهم قد اهتموا إلى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات . هذا هو الذي قاد العرب لأن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء ، والمكتشفين بجملة آلات للتقطير والتصعيد والاسالة ( اسالة الجوامد ) والتصفية الخ . وهذا بعينه أيضاً هو الذي جعلهم يستعملون في أبحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلة والاسطرلابات ( هي آلات لقياس أبعاد الكواكب ) ، وهو أيضاً الذي بعثهم لاستخدام الميزان في

العلوم الكيماوية ، وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته ، وهو أيضاً الذى  
أرشدهم لعمل الجداول عن الاوزان النوعية للاجسام ، والازياج الفلكية  
( هى جداول تعرف منها حركات الكواكب ) مثل التى كانت فى بغداد  
وقرطبة وسمرقند ، وهو أيضاً الذى أوجب لهم هذا الترقى الباهر فى الهندسة  
وحساب المثلثات ، وهو أيضاً الذى هم بهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم  
لاستعمال الأرقام الهندية . هذا هو ثمرة تفضيلهم لاسلوب أرسطو الاستدلالي  
على مقالات أفلاطون الاستنتاجية ولقد دأبوا على جمع الكتب بصفة  
منتظمة لاجل أن يتوصلوا إلى تكوين المكتبات التى تكلمت عنها وقد قيل  
أن المأمون نقل إلى بغداد مائة حمل بعير من الكتب وقد كان أحد شروط  
معاهدة الصلح بينه وبين الامبراطور ميشيل الثالث أن يعطيه إحدى مكاتب  
القسطنطينية التى كان فيها بين الذخائر العلية الأخرى كتاب بطليموس على  
الرياضيات السماوية فأمر المأمون بترجمته للعربية وسماه المجسطى . وقد حصلت  
العناية بأمر هذه المكاتب حتى أن مكتبة القاهرة كان بها نحو مائة ألف كتاب  
معنى بكتابتها وتجليدها غاية الاعتناء . وكان يوجد من بين هذه الكتب  
سنة آلاف وخمسمائة مجلد فى الطب والعلوم الفلكية فقط وكان من نظام هذه  
المكتبة كرتان أرضيتان احدهما من الفضة والأخرى من البرنز . قيل ان  
الأولى صنعها بطليموس الفلكى نفسه وأنها استدعت ثلاثة آلاف كورون  
( نقود يونانية ) من الذهب .

وقد اشتملت مكتبة خلفاء الاندلس فيما بعد على ستائة ألف مجلد وكان

جدول أسمائها وحده محوياً في أربعة وأربعين جزءاً . وغير هذا فقد كان  
بالاندلس سبعون مكتبة عامة وكثير من المكاتب الخاصة . وما يحكى  
أن أحد أطباء العرب رفض دعوة سلطان بخارى له محتجاً بأن كتبه لا يمكن نقلها  
إلا على أربعائة بعير .

لقد كان يوجد في كل مكتبة كبرى محل خاص للنسخ والترجمة . وقد  
كان لبعض الخاصة مثل ذلك . فإن هونيان الطيب النسطورى كان له محل  
من هذا القبيل ببغداد ( سنة ١٨٥٠ ) ترجم فيه كتباً لارسطو وأفلاطون  
وجيوكرات وغاليلان الخ . أما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة أساتذة  
هذه الجامعة أن يؤلفوا كتباً في الفروع العلمية التي تطلب منهم . وكان لكل  
خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه . ومن ينظر إلى تلك الأقاويص والحكايات  
التي هي مثل ألف ليلة وليلة يعرف مقدار التصور الشعري الذي كان لدى  
العرب . ولم يقف بحث العرب عند حد فقد كتبوا في كل فن وفي كل علم  
كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الحيوان  
والابل وكل هذه المؤلفات تنتشر بدون رقابة ولا حرج وما يعلم من المراقبة  
على الكتب اللاهوتية فقد حدث فيما بعد هذا التاريخ . وقد كانت الكتب  
الراخرة بالمعلومات التي تصلح لان تتخذ مادة في المعلومات كثيرة جداً في  
الجغرافية والاحصاء والطب والتاريخ وقواميس اللغة . وكان لديهم  
دائرة معارف علمية ألفها محمد أبو عبد الله . وكان للعرب ذوق دقيق في صنع  
الورق التنظيف الناصع البياض وفي إعطاء الحبر الالوان المختلفة وفي زخرفة  
وجوه الكتب بتسيك تلك الالوان المختلفة من الحبر والابداع في تنميقها

وتذهيبها على صفات شتى .

كان الملك الاسلامى العربى مملوماً بالمدارس والمكليات ، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والاندلس حاصلة على عدد عديد منها . وكان في طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة التي فاقت المملكة الرومانية بكثير مرصد في سمرقند لرصد الكواكب وكان يقابله في الطرف الآخر مرصد جيرالده في الاندلس (١)

إلى أن قال الاستاذ درابر :

« إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جلياً في التقدم الباهر الذي نالته الصنائع في عصرهم ، وأفاض في تفصيل ذلك ثم قال :

« ليست أوروبا العصرية بأعلى ذوقاً ولا أرقى مدينة ولا لطف ورفقاً من عواصم الاندلس على عهد العرب فقد كانت شوارعهم مضاءة بالانوار ومبلطة أجمل تبليط . والبيوت مفروشة بالطنافس . وكانت تدفأ شتاء بالمواقد . وتهوى صيفاً بالنسيمات المعطرة بوساطة امرار الهواء تحت الارض من خلال أوعية مملوءة زهراً . وكانت لهم حمامات ومكتبات ومحلات للغذاء وينابيع مياه عذبة الخ ، انتهى كلام الاستاذ درابر وهذا برهان صادق لتحقيق قول الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ( سورة النمل )

(١) الاسلام في عصر العلم تأليف الاستاذ محمد فريد وجدى الجزء

## الحياة المادية - والعلوم الاقتصادية

# النبي الاقتصادي الامين

- ١ -

### دعامة التدبير والاقتصاد: الخالق القويم

إذا طالعت القرآن وأمعنت النظر فيه رأيتك يتكلم على العلم بكافة أنواعه بارة بحملا وتارة مفصلا . وإن القاعدة التي وضعها من عهد آدم حتى الآن أن لسيادة ولاخلاق في الأرض إلا بالعلم، وتجد هذا مطرداً في جميع قصص القرآن ثابتة لا تتغير . فلا نبوة إلا بالعلم ، ولا رسالة إلا بالعلم ، ولا سلطان إلا بالعلم ، ولا ولاية إلا بالعلم .

لنستعرض قصة يوسف عليه السلام ، ويصح أن نسميه النبي الاقتصادي ، لأن أبرز جوانبه تدبير الحالة الاقتصادية في مصر وإنقاذها من المجاعة . . . فها هي الوسيلة التي سلكها يوسف حتى بلغ أعلى مراتب الدولة المصرية وأصبح وزيراً لماليتها قابضاً على زمام موارد ثروتها بوجهها حيث النفع العام ؟ هي العلم .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي كَتَبْتُ لَكَ عَلَى



إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ، إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَكَذَلِكَ  
يَجْتَلِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى  
آلِ يَعْقُوبَ ... ﴿

ولما تأمر إخوة يوسف على قتله وانتهى أمرهم على أن يلقوه في غيابة  
الجب ، وأخذته السيارة ، وباعوه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من  
الزاهدين ، واشتراه عزيز مصر وأوصى به امرأته بأن تكرم مثواه عسى أن  
ينفعهم أو يتخذوه ولدًا . قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ  
وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقد علمه تعالى من علمه ليعده للرسالة التي تنتظره ، فقال تعالى عن يوسف  
عليه السلام : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾  
إذا قرأنا قصة يوسف عليه السلام نرى أن الطريق الذي سلكه ليتبوأ  
إدارة الشؤون الاقتصادية للأمة المصرية قائم على دعامين هامتين :

أولا - الخلق الكريم ، وأظهر ما في هذا الخلق الأمانة والوفاء بالعهد ،  
وهما دعامة الاقتصاد في العالم ولا يقوم إلا بهما ، وهذا يتبين من أنه عفا  
عن أن يجيب امرأة العزيز حينما راودته عن نفسه فقال : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي  
أَحْسَنُ مَثْوَى إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظالمون ﴾ ومعنى هذا : إني لا أستطيع أن أقابل

ما فعله ربى - أى سيدى - من إكرامى فى بيته بالاساءة اليه وهتك عرضه .  
وهذا هو الوفاء ، ومقابلة الاحسان بالاحسان هو المحور الذى تدور  
عليه أكبر مظاهر الاقتصاد من حركة التعامل ، لأنه يوجد الثقة .  
ولنعلم أن هذا الخلق كان من أبرز نواحي يوسف لأنه آثر السجن على  
أن يأتى المنكر ويعيش فى رغد الرذيلة .

قالت امرأة العزيز : ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمَرُهُ لِيُسْجَنَنَّ وَلِيَكُونَ مِنَ  
الصَّاعِرِينَ ﴾ .

فماذا أجاب يوسف ؟

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ، ثُمَّ بَدَأْهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا  
رَأَوْا آيَاتِ رَبِّهِمْ لِيَسْجَنَنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾

فكث يوسف فى السجن بضع سنين محتملا الأذى فى سبيل نصر مبدئه ،  
مفضلا شظف العيش مع العزة والكرامة والوفاء على حياة الرذيلة مع ما فيها  
من نعيم جائم على أحط الاخلاق من دناءة وغدر وخيانة .

ماذا كانت سلاوة يوسف فى غيابة سجنه ؟ كانت الدعوة إلى الله ،  
وسلوك الطريق المستقيم ، هى شغله الشاغل . كقوله لمن كان معه ﴿ يَا صَاحِبِ  
السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ  
إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهَا أَتْمُ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا

لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿  
(سورة يوسف)

ثانياً - العلم . امتاز يوسف في القصص القرآني بعلم الرؤيا كما أنبأه والده ﴿ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ﴾ وظهر هذا العلم في حادثتين :

١ - دخل مع يوسف السجن فتيان قال أحدهما : إني أراي أعصر خمراً . وقال الآخر إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه . وطلبنا منه أن ينبئهما بتأويله . فأجابهما : أما الأول فيسقى ربه خمراً ، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه . قضى الأمر الذي فيه تستفتيان .

ب - رأى الملك في نومه سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سفيلات خضر وأخر يابسات . فأولها يوسف وقال : تزرعون سبع سنين دأباً ، فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون .

كان علم يوسف بتأويل الرؤيا سبباً لأن يتولى أكبر مناصب الدولة المصرية إذ قال الملك حين سمع بعلمه : ﴿ ائْتُونِي بِهِ اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي . فَلَمَّا

كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿

فماذا قدم يوسف نفسه للملك الذى كان فى حيرة من أمره لمواجهة الجذب والمجاعة التى أنذرت به الرؤيا ؟

كانت مؤهلات يوسف لمواجهة الأزمات المقبلة الأمانة والعلم إذ قال

للملك : ﴿ اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾

وقال الأحنف رحمه الله : كل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره . وقال الزبير بن أبى بكر : كتب إلى أبى بالعراق : عليك بالعلم ، فانك إن افتقرت كان لك مالا ، وإن استغنيت كان لك جمالا . وقال سالم بن أبى الجعد : اشتريت مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني . فقلت : بأى شيء أحترفت ؟ فاحترفت بالعلم ، فأتيت لى سنة حتى أتاني أمير المدينة زائراً فلم آذن له

قيل : يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ فقال : العلم بالله عز وجل . فقيل : أى العلم تريد ؟ قال صلى الله عليه وسلم : العلم بالله سبحانه . فقيل له : نسأل عن العمل وتجييب عين العلم . فقال صلى الله عليه وسلم : إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله ( رواه ابن عبد البر من حديث أنس )

وإن مدار العلم أن تعرف سنن الله فى الكون وأن تتبع هدايته فيما أمر ، سواء كانت هذه الهداية عن الأوامر الإلهية المنزلة على الرسل ، أو ما وجدناه عن طريق البحث والتنقيب مما يتفق مع الفطرة السليمة ويهدى إلى نفع الانسان والخلافة فى الأرض التى تولاها آدم وأصبحت وفقاً على الصلحاء من ذريته لا تكون إلا بالعلم .

وليس العلم وفقاً على معرفة العبادات فحسب بل هو أيضاً ما يمس كل

مصلحة لبني الانسان ، ويدعو لتحقيق نفعهم ورفع الأذى عنهم . وقد يتبين من قصة يوسف أن علمه لم يكن قاصراً على ناحية التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد ، وإنما اشتمل أيضاً الناحية الاقتصادية . وكانت في عهده من أمس الحاجات ، لأنه يتوقف عليها نجاة الأمة المصرية وما حولها من الأمم التي تتعامل معها . فالناحية الاقتصادية تلعب دوراً يجب أن يعنى بها ، لأن لها آثاراً في الأخلاق وفي نظام الأمة ، بل هي من أكبر العوامل في رقيها أو انحطاطها .

قال علي رضي الله عنه :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء  
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء  
ففر بعلم تعش حياً به أبداً الناس موتى وأهل العلم أحياء  
فأين المسلمون من القرآن الكريم ؟ وأين المسلمون من العلم !؟



## مصادر القوة

— ٢ —

# المال والجماعات التعاونية

## المال

أصبحنا نعيش في زمن يحتاج إلى كفاح شديد وعمل عنيف كلما كثرت حاجيات الانسان وتعددت رغباته ، وانه آن لكل فرد يرغب أن يعيش قوياً عزيزاً أن يفكر ويتأمل عن أى طريق يحظى بأمنيته ، وعن أى مسلك ينشد حاجته . وإني أجب الذين يريدون أن يعيشوا أقوياء أعزة ، رافعي رؤوسهم ، مالكي زمام أمورهم : أن غايتهم لا تتحقق إلا عن طريقين مهمين من طرق كثيرة ونواح متعددة . هما :

( ١ ) طريقة كسب المال وانفاقه في وجوه البر والخير .

( ٢ ) تأليف الجماعات للتعاون والإصلاح .

ولتتكام عن طريق المال وأنه وسيلة من أكبر الوسائل وأعظمها لعزة الانسان وقوته ، ومباهج الحياة وزينتها ، فقد قال تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴾

( سورة الكهف )

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن كان لك مال فلك حسب ، وإن كانت  
لك خلق فلك مروءة ، وإن كان لك دين فلك كرم ،

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « حسب الرجل ماله وكرمه  
ودينه ومروءته ،

فالمال أداة المنفعة . وعون على وجوه البر ، ووسيلة للجد والسلفان  
والعز في يد الخازم المجد الساعى لتحقيق الأهداف العليا في الحياة . ولا  
مشاحة في أن السعى لتحصيل المال وشميره واجب من أقدم الواجبات ،  
وفرض من أوائل الفروض . وقد قيل : اعلم ان تسمير المال آلة للكارم .  
وعون على الدين ، وتأليف للاخوان . وأن من فقد المال قلت الرغبة إليه  
والرهبة منه . ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به . فاجهد  
جهدك كله في أن تكون القلوب معلقة منك برغبة أو رهبة في دين أو دنيا .

وقال حكيم لابنه : يا بنى عليك بطلب المال ، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز  
في قلبك ، وذل في قلب عدوك لكفى

وكان سعد بن عباد يقول : اللهم ارزقنى جداً ومجداً ، فإنه لا يجد إلا  
بفعال ، ولا فعال إلا بمال .



والمال له نواح متعددة ، وطرق كسبه كثيرة ، وخير الوجوه والمطرق  
هما الخير والشرف . فالمال إن لم يكن له الخير غاية فهو وبال ، وإن لم يكن  
الاستقامة والشرف طريقاً له فهو ذل وعار .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « نعم العون على طاعة الله التقي ، ونعم

السلم إلى طاعة الله الغنى ، وتلا : ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما  
أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ ، وقوله :  
﴿ واستغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم  
بأموال وبنيين ﴾ .

وقالت الحكماء : لا خير فيمن لا يجمع المال يصون به عرضه ، ويحصى  
به مروءته ، ويصل به رحمه .

وقال عبد الرحمن بن عوف : يا حبذا المال أجون به عرضي ، وأتقرب  
به إلى ربي .

وقال سفيان الثوري : المال سلاح المؤمن في هذا الزمان .

وقال خالد بن صفوان لأبنته : يا بني أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما  
تمسكت بهما : درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك  
وقال عروة بن الورد :

ذريتي للغنى أسمى فاني	رأيت الناس شرهم الفقير
وأحقرهم وأهونهم عليهم	وان أسمى له حسب وخير
يباعده القريب وتزدريه	حليته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال	يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم	ولكن للغنى رب غفور



لا يكفي أن يسعى الانسان للحصول على المال من خير الطرق وأشرفها، وكل طريق خير ما لم يكن فيه إثم أو مضرة . بل يجب أن يعرف كيفية استثمار المال وتدييره ، وإلا أتعب نفسه وأجهدا فيما لا طائل تحته . وقد قال أحد الحكماء : إن صاحب الدنيا يطلب ثلاثة ولا يدركها إلا بأربعة . فأما الثلاثة التي تطلب :

( ١ ) فالسعة في المعيشة

( ٢ ) والمنزلة في الناس

( ٣ ) والرزاد إلى الآخرة

وأما الأربعة التي تدرك بها هذه الثلاثة :

( ١ ) فاكتساب المال من أحسن وجوهه

( ٢ ) وحسن القيام عليه

( ٣ ) والشمير له

( ٤ ) وانفاقه فيما يصلح المعيشة ، ويرضى الأهل والإخوان ويعود في

الآخرة نفعه .

فإن أضع شيئاً من هذه الأربعة لم يدرك شيئاً من هذه الثلاثة . إن لم يكسب لم يكن له مال يعيش به ، وإن كان ذا مال واكتساب ولم يحسن القيام عليه يوشك أن يفنى ويبقى بلا مال ، وإن هو أنفق ولم يشمره لم تمنعه قلة الإنفاق من سرعة الفناء ، كالسكران الذي انما يؤخذ على الميل مثل الغبار ثم هو مع ذلك سريع ففاده ، وإن هو اكتسب وأصلح وثمر ولم يتفق الأموال في أبوابها كان بمنزلة الفقير الذي لا مال له ، ثم لا يمتنع ذلك ما له من أن يفارقه ويذهب حيث لا متفعة فيه كحابس الماء في الموضع الذي تنصب فيه المياه . إن

لم يخرج منه بقدر ما يدخل فيه مصل وسال من نواحيه فيذهب الماء ضياء .  
أشار القرآن الكريم إلى كل ذلك في عبارة سهلة موجزة فقال تعالى :  
{ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } وقوله  
عز وجل : { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ  
فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَحْسُورًا } (سورة الإسراء)

ونحن الآن في عصر المادة عصر القوة والبطش والجبروت والمطامع التي  
لا حد لها ولا حصر فان لم يجد الانسان ويكبد ويسعى لتحسين نفسه بالمال  
والجماعات فهو فريسة للقوة ، ضحية للطمع ، مأكول غير آكل ، ذليل غير  
مأجور ، عامل لغيره غير مشكور .  
واجتماع للتعاون أقدر من الفرد لتحقيق غايتها ، وأدوم وأبقى لاستمرار  
رسالتها .

والاسلام له دعوة صريحة واضحة في الدعوة إلى المال والجماعة أقام عليها  
الدليل تلو الدليل في أقواله وأفعاله ومناسكه ، وفهمها المسلمون في ماضيهم  
وحاضرهم . ولن يقام لهم سلطان ولا عزة إلا إذا تمسكوا بشريعته ومبادئه .

---

## الجماعات

— ٢ —

# دعوة نبي الاسلام الى التعاون

الاسس الاخلاقية التي تقوم عليها الجماعات المالية - والتعاونية مهدت مبادئ الاسلام القويمة لنجاح الدعوة التعاونية من طريقين :  
أولاً - تربية الأفراد على مكارم الأخلاق وأن تعيش مع الجماعة لخيرها.  
ثانياً - أن تعمل الجماعات على انضمام بعضها إلى بعض ليشاركوا في العمل الصالح ولخير الانسانية .

أولاً - الطريقة المثلى لنجاح الأمة وارتقاؤها إلى أوج السعادة والصلاح هي الأخلاق الفاضلة وهي موضوع الدين الاسلامي دعا اليها في حزم ، لأنها الأساس الذي يرقى عليه الفرد في الحياة الدنيا وبه يضع أواصر الثقة بيئته وبين الناس . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( بعثت لأتمم محاسن الأخلاق ) وقال أيضاً : ( انقل ما يوضع في الميزان خلق حسن ) وقال عليه السلام ( يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق . قال أبو هريرة رضي الله عنه : وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال : تصل من قطعك ، وتعفو عن ظلمك ، وتعطي من حرمك )

هذا الحديث الكريم الذي بلغ الذروة من مكارم الأخلاق وضع نبي

المسلمين عليه صلوات الله أكبر دعائم الألفة والمحبة بين الناس ، بل ربطهم برباط لا تنفصم عراه ولا يعتره الوهن ما عملوا به .

ولا يخفى أن ثمرة حسن الخلق الألفة وانقطاع الوحشة ، ومهما طاب المشر طابت الثمرة ، وقد جاء في وصف المؤمن أنه يألف ويؤلف أى يكون له من الأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة والمبادئ القويمية ما يجعله يألف الناس ويعمل خيرا لهم ويألفونه لأنه على شاكلتهم ومسخر لخدمتهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( المؤمن الف مأوف . ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ) . كما أنذر في حديث آخر - من يوقع البغضاء بين الناس عن طريق السعاية أو التهمة وهددهم بالطرد من رحمة الله وبغضه لهم ومن أبغضه ربه فقد أشقاه وعذبه في الدنيا والآخرة - فقال عليه السلام : ( إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم المشاؤون بالتهمة ، المفرقون بين الأخوان )

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً وقد وصفه الله

تعالى في القرآن الكريم بذلك فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(سورة ق) . وهذا كان من الأسباب الهامة في نجاح دعوته وجمع كفة المسلمين وازدياد عددهم ونصرهم على عدوهم . كيف وقد دعا الكتاب العزيز إلى نصرة الحق والعدل والاحسان ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وهذا من أهم القواعد التي تحياها الجماعات ، وتضمن لها البقاء والاستمرار فقال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل)

ووصف تعالى المؤمنين ودعاهم إلى العفو والتسامح فيما بينهم حتى تسبق  
وحدتهم ويقوى جمعهم ، ويشدد أزرهم فقال تعالى : ﴿ وَالكَاطِمِينَ أَلْقِيَتْ  
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران) . وأمر  
تعالى حصاً على دوام الألفة بالقول اللين ، والمعاملة الحسنة ، وان يجادل  
الانسان ويناضل عن رأيه بالمعروف ، وأن يصبر على أذى الناس وجهلهم  
ليرشدهم إلى مواطن الصواب بالقول الحسن والصبر والأناة فقال تعالى :  
﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ  
وَيَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا  
إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (سورة فصلت) . وقال تعالى أيضاً : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ  
وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (سورة الشورى) .

وقد جمع القرآن في بعض آياته مكارم الأخلاق والتخلق بها بما يكفي بأنه  
يرقى بها الانسان إلى أوج العلى وتكون هادياً للم شعف الأفراد وهدايتهم  
الى الطريق المستقيم فقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ  
عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

•••

الميزان الذى يقاس به أعمال الانسان من ربح وخسران ومن فوز

وخذلان هو الخلق ، فان حسن كان الفوز في الدارين ، وان ساء فالويل  
والخسران والحسرة والندامة في الدنيا والآخرة . قال عليه السلام : ان من  
اجبكم الى واقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً ، وان من أبغضكم  
الى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون ( الكثير والكلام تكلفاً ) والمتشدقون  
( المتناولون على الناس بكلامهم ويتكلمون بملء فيه تفاصحاً وتعظيماً  
لكلامهم ) والمتفيهقون . قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما  
المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون

فالمسلم يجب أن يتحلى بمكارم الأخلاق بأن يعامل الناس بالمعروف  
ويكون طلق الوجه في مقابلتهم ويكف الأذى عنهم ويسعى لمنفعتهم ، وقد  
ورد في الأثر حب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً ، والمسلم من سلم الناس  
من أذاه ، كما ورد أيضاً . من يحرم الرفق يحرم الخير كله .

روح الاسلام هي روح الجماعة وغايته هي اسعادها والعمل على ما فيه  
صلاحها وقوتها قال عليه السلام ، ان الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم  
ثلاثاً . يرضى لكم :

١ - أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً

٢ - وأن تعصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا

٣ - وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم

ويكره لكم ثلاثاً :

١ - قيل وقال ٢ - وكثرة السؤال

٣ - وإضاعة المال ،

وقد رضى الله لعباده الجماعة وكره لهم الفرقة كما قال عليه السلام ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله اخواناً. لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث،

• • •

الاسلام دين عملي لا يرضى بالقول دون العمل ولذلك لما كانت روحه ترمى إلى قوة روح الجماعة، وهذه القوة لا تأتي إلا عن طريق التزام والتألف فقد حض الشارع الكريم على الصلاة جماعة حتى يتيسر معرفة الناس بعضهم لبعض في المساجد. وهى بيوت الله الديمقراطية لا فرق بين من دخلها. يتساوى فيها الصغير بالكبير، والغنى بالفقير، والامير بالحقير وقد دعا نبي الاسلام لصلاة الجماعة وأبان فضلها فقال: ( صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد ( الواحد ) بسبع وعشرين درجة ) وقال أيضاً ( صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفاً وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحطت عنه خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تظلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث ( ما ينقض وضوءه ) تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه. ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة ) حديث متفق عليه

أرأيت كيف يعد الاسلام المسلمين إلى فعل الخير ويحببهم فيه ويدفعهم إلى التآزر والتعاون على عمل البر، لأن المسجد كان يعتبر في العهد الأول أحد المؤسسات البرلمانية فيه يجتمع المسلمون ويتشاورون فيما يتفقهم في معاشهم ومعادهم، وفيه يقام العدل فيشكو المظلوم من ظلمه إلى من ينصفه، وفيه تدر الرحمة فيعطف الغنى على الفقير فتآلف القلوب وتمحباب في طاعة الله

ورضوانه وتآزر على النفع العام .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من سره أن يلقى الله تعالى غدا مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات ( الخمس ) حيث ينادى بهن فإن الله شرع لتيبكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق . ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى به بين الرجلين حتى يقام في الصف )

ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخلف عن الجماعة بأن عاقبته الخسران ، إذ يكون عرضة دائماً للاحداث ولا يجد من يدفع عنه لوحده كما لو كان في الجماعة . فقال عليه السلام ( ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان . فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية ) ( البعيد عن الجماعة )

ولو أن دعاة الأرض من الحكماء والعلماء تضافروا لعمل دعوة للجماعة والانضمام إليها والعيش في كنفها لم يستطيعوا أن يأتوا بمثل ما جاء به نبي الاسلام ولا بمثل ما جاء به القرآن الكريم .

جعل الاسلام صلاة الجماعة اختيارية في الخمسة الأوقات ( وهي صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء ) حتى لا يثقل على الناس ، إلا أنه جعل صلاة الجمعة (الظهر) إجبارية حتى يجتمع المسلمون في المساجد ويتشاوروا في أمرهم ويعلموا ما يهمهم من أمر حياتهم وآخرتهم فقال تعالى . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا



البيعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي  
الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿  
(سورة الجمعة).

فروح الجماعات هي من أكبر خصائص الدين الاسلامي فالاديان الكبيرة  
المعترف بها تأمر بصلوة الجماعة مرة في الاسبوع فتمام الطقوس الدينية  
للجماعة يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى . أما في الاسلام فخمس  
مرات كل يوم في المساجد . وليسوا في حاجة أن يؤم الجماعة عالم بل يؤمهم  
أعلمهم أو أفضلهم خلقاً ، إذا كانوا متساوين في الدرجة العلمية .

ثانياً - دعوة الجماعات للانضمام بعضها إلى بعض ليشاركوا في العمل  
الصالح والخير الانسانية .

الاسلام يربي جماعة المسلمين على العمل خيرهم والبر ببعضهم البعض  
فيعيش الضعيف متمتعاً بحقوقه كالقوى ، وببذل الخير في وجوهه الصالحة  
فنادى القرآن الكريم بتدعيم اتحاد المسلمين على مبدأ الأخوة فقال تعالى :  
« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، وَلَمْ يَقُلْ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَانٌ لِأَنَّ الْأَخْوَةَ هِيَ الْأَشْقَاءُ  
وهم في صلاتهم أقرب وفي تضامتهم أقوى وفي اتحادهم أمتن لأنهم على مبدأ  
واحد ويسعون لغاية واحدة ، وأما الأخوان فهم غير الأشقاء .

وواجب الجماعة أن يعيشوا في سبيل الحق ولخير الجماعات وينصح  
بعضهم البعض لعمل الخير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة .  
قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . وقال أيضاً

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، هذا هو النظام المحكم الذي تقوم عليه الجماعة المسلمة .

والقرآن الكريم دعا إلى التعاون بكافة أنواعه في إيجاز ميسور ، وفي عزم المجد وحزم الصادق الأمين فقال تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان » ،

وقد أبهم القرآن الكريم لفظ التعاون ولم يوضحها أو يفصلها وذلك من بالغ حكمه لأن التعاون يتكيف بالزمان والمكان والانسان ، فالإيجاز القرآن هو معجزته لأنه ترك تفاصيل التعاون ونظمه إلى الانسان والزمان لأن ما يصلح من النظم لمضر مثلاً قد لا يصلح لغيرها ، وما ينفع بلداً قد يكون فيه مضرة لبلد آخر .

o o o

ان الاصول التي قام عليها التعاون أهمها ما يأتي :

- ١ - الدعوة لخير الجماعة وعمل الخير لهم
- ٢ - ان يكون النظام القائم بين الجماعات على مبادئ المساواة والاخاء
- ٣ - ان تكون مبادئ التعاون عالمية ليست محلية حتى يتيسر الائتلاف مع جمعيات التعاون في العالم

١ - الدعوة لخير الجماعة - وعمل الخير لهم . قد جاء الاسلام مقررأ لهذه الدعوة في عبارة صريحة لا يعترها شك أو غموض فقال تعالى :

﴿ وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ (سورة آل عمران)

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ ﴾ (سورة آل عمران) . وقال تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

(سورة التوبة)

وطريق الخير والمعروف قد تركا الشخص والزمان بأن يضع النظم  
الصالحه ويحط الخطط الملائمة من اقتصاد واجتماع وغير ذلك

٢ — أن يكون النظام القائم بين الجماعات على مبادئ المساواة والأخاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه .

من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله

عنه كربة من كرب يوم القيامة) . وقال أيضاً (المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه

ولا يخذله . كل المسلم على المسلم حرام عرضه ، وماله ، ودمه . التقوى ها هنا

بحسب امرى من الشر ان يحقر أخاه المسلم) . وقال أيضاً ( لا تحاسدوا ،

ولا تاجشوا ) ان يزيد في ثمن السلعة ولا رغبة له في شرائها بقصد أن يفر

غيره وهذا حرام ) ولا تباغضوا ، ولا تداربوا ( تعرض عن أخيك وتهجره )

ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم

لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله التقوى هنا . ويشير إلى صدره ثلاث مرات .

بحسب امرى من الشر ان يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه

وماله وعرضه) . وقال أيضاً ( انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . فقال رجل  
يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أ رأيت ان كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال  
تحمزه أو تمنعه من الظلم فان ذلك نصره )

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ ﴾ (سورة

الحجرات ) وقال تعالى ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِصَدَقَةٍ  
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (سورة النساء)

هذه هي روح الاسلام الوثابة القائمة على الديمقراطية الصحيحة  
والمساواة التي لا تفرق بين الأمير والحقير والصغير والكبير والغني والفقير  
إلا بصالح العمل وعلو الخلق كما ورد في الأثر : لا فضل لعربي على أعجمي  
ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . وقد جعل الاسلام التفاضل بين الناس  
هو العمل الصالح وبذل الخير للجميع فقد جاء عن الرسول الكريم أنه قال :  
( خير الناس أنفعهم للناس )

• • •

٣ — مبادئ التعاون العالمية

وقد جاء الاسلام بدعوة التعاون العالمية في القرآن الكريم بدعوة الأمم  
والقبائل إلى الاتحاد والتعارف قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا  
وَقِبَاثِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ ﴾ (سورة الحجرات)

الاسلام جمع الانسانية بين دفتيه وهو يريد أن يعيش في سلام مع العالم بأسره على أساس مبدأ المساواة واحترام الحقوق . وقد أمر تعالى أن نعدل مع من سالمنا وإن كان مخالفاً لعقيدتنا وأن تكون المودة بيننا والمعاملة الطيبة هي صلتنا به فقال تعالى :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ (سورة الممتحنة)

\*\*\*

والتعاون الاقتصادي يجد أكبر نصير في الاسلام ومبادئه وأكبر عون على نشر دعوته بين المسلمين وغير المسلمين ، لأن أصوله قائمة على أمن الأخلاق وأقواها وغاياته تدعو إلى الخير العام بكافة أشكاله وألوانه ، كما أنه يكره الاثم والعدوان والفواحش ما ظهر منها وما بطن والمذلة والجبن والصفات الخسيسة المرذولة .

لو وجد المسلمون من أنفسهم فهماً سليماً ، وخلقاً مستقيماً ، وعزيمة قوية واتبعوا ما جاء به القرآن الكريم لكونوا أمة تعاونية بل عالمياً تعاونياً يكون مضرب الأمثال وكان التعاون أساساً لصغائر الأعمال وجليلها في حياتهم الخاصة والعامة ، فإذا احتفل الغربيون برجالهم التعاونيين ، وجب أن لا ينسى المسلمون أن نبي الاسلام وضع من أسس التعاون وأصوله المبادئ الخالدة التي تبقى صالحة حتى قيام الساعة وكفيلة لأن ترفع الأمة الآخذة بها إلى ذروة المجد وسنام السعادة .

## التعاون

- ٤ -

### ما يرجى منه

#### حل الازمات الاقتصادية والاجتماعية

المرء قليل بنفسه كثير باخوانه ضعيف إذا ما انفرد قوى إذا ما اتحد وما يعجز عنه الفرد قد يتيسر للجماعة والفارق بين تقدم الغرب وتأخر الشرق أن الأعمال الكبيرة في الصناعة والزراعة والتجارة تقوم بها الجماعات والشركات في أوروبا فيتيسر سبيلها وتنتشر في الأسواق لما للجماعة من النفوذ والسلطان والقوة، وعلى عكس ذلك في الشرق، فقوام الزراعة والتجارة والصناعة الفرد، فهي تحيا بحياته وتزدهر بنشاطه وتقوى بعنايته ومثابرتة وأمانته وتضحيتها وتموت بموته. فخيرها قليل وشرها ضئيل وعمرها قصير.

التعاون من ناحيته الاقتصادية هو تضافر الجماعة على الاشتراك في العمل لخدمة أنفسهم اقتصادياً وأديباً وهو كما قال أحد أنصار التعاون ومروجه دعوته بين مواطنيه ولهم كتب: شعارنا أن في العرفان والاتحاد قوة. فالطبقة العاملة متى اتحدت في أعمالها وفي تثقيف وترقية وتنوير عقولها وقلوبها باكتساب العرفان المقيسد وبسيادة الاخاء فيما بينهم كان لها من ذلك قوة تستقل بها وتدفع الفاقة وتسيطر على جميع أسباب الهناء، وتستطيع ضمانه.

توافر الهدوء وأسباب المعيشة للكحول وترية الآداب في العمال والفضيلة والدين وبذلك تم السعادة في الحياة وفي الآخرة ،

وقد جنت البلاد التي انتشر فيها التعاون وازدهر أطيب الثمار ، وذلك عن طريق انتشار الجمعيات التعاونية ، فأبدلت الضعف قوة ، والجذب خصباً والعسر يسراً ، والبؤس رغداً ، والشقاء هناء .

ولنضرب لذلك مثلاً جماعة روتشديل التي تأسست في إنجلترا وكان عدد أعضائها ثمانية وعشرين عضواً ورأس مالها ثمانية وعشرون جنيهاً وفتحت لها حانوتاً تبيع فيه بقاتها وكان ذلك في سنة ١٨٤٤ على أسس وطيدة الدعائم قوية البنيان . هذه الأسس هي :-

١ - شراء البضائع الجيدة من المأكول والمشرب والملبس ، وبذلك تنجو الجماعة من الغش ورداءة النوع الذي يبيعه لهم بعض التجار الصغار الذين كل ما يهمهم المكسب من غير مراعاة لمصلحة المستهلك .

٢ - دفع الثمن فوراً . وذلك فيه مزايا كثيرة : منها أن يكون العضو دائماً حراً من الحاح الدائن وهو التاجر ومضايقته له وأن يتعود أن يكون مقتصداً وأن يرتب مصروفه على قدر دخله .

٣ - أن تباع الأشياء بسعر السوق وأن لا تنقص عنه وأن لا تراحم أصحاب الدكاكين الأخرى .

٤ - تقسيم الأرباح بين رأس المال ومشتريات الأعضاء عملاً بالمثل من يتسببون في الربح لهم الحق في نصيب منه .

٥ - اعطاء حق التصويت الديمقراطي لكل عضو يتساوى في ذلك حامل السهم الواحد مع حامل الأسهم الكثيرة .

٦ - عدم تحديد رأس المال

مبدأ الجماعات التعاونية كنظم وكنواة للحياة الجديدة أن توجيه الاعتماد على النفس في العمل الصالح جدير بتحقيق الغاية المادية والأدبية في سعادة الجماعة .

على هذه الأسس قامت جمعية روتشديل ، وما زالت تدرج في الحياة بمجهود أعضائها ومشاربهم وأمانتهم حتى أصبحت المثل العالمي الذي يحتذى في المعمورة ، وقد بلغ عدد الجمعيات في سنة ١٩٣٨ (١٠٨٥) وعدد أعضائها ٨٤٠٤٦٨٨ عضواً ورأس مالها ١٥٩ ٦٠٢ ١٥٤ ج والمعاملات السنوية ٣٠٦ ٢٦٥ ٢٦٣ ج

وإذا اعتبرنا أن الأسرة الانكليزية في المتوسط تحتوي على خمسة أفراد ضيفت تكون إنجلترا كلها متعاونة تقريباً .

وقد اتفقت هذه الجماعات أن تؤسس فيما بينهم جماعة تسمى جماعة التعاون للآبجار بالجملة غايتها الحصول على البضائع من موردها الأصلي حتى توفر على كل جماعة من الجماعات المنضمة اليها نفقات الحصول وأن تعمل على إنتاج ما تحتاج اليه فتقيم العامل والمصانع لصنع ما يلزمها وبذلك تنقى الغش والتزييف في البضاعة . وقد أنشئت هذه الجماعة في سنة ١٨٦٣ بمانشستر وكذلك أنشئ مثلها في جلاسجو باسكتلاندة والآن أصبح عددهن ثلاثاً تضم لإلين ١٦٢٤ جمعية رأس مالها ٩٢٧ و٥٢٤ و١٣٧ ج ومعاملاتها بلغت ٧٦٧ و٧٧٩ و١٦١ ج حسب إحصاء سنة ١٩٣٨

هذا هو أثر التعاون المحسوس الملموس وما أسبغه على جماعاته من نعمة فيرة ورغد في العيش وسهولة الحياة المعيشية



فلو أننا نظرنا إلى الحياة نظرة جديدة وشمرنا عن سواعدنا وبذلنا من المال والوقت ما يلزم لأي ناحية من نواحي الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي لحل كثير من مشاكلنا وانفرج كثير من أزماتنا

ما الذي يقعد المتعلمين العاطلين على أن يؤلفوا فيما بينهم جماعات تعاونية صغيرة تبدأ برأس مال قليل لمزاولة تربية النحل والدجاج وجمع البيض وتربية الماشية وما إلى ذلك، فيربحون أكثر من ماهية الوظائف التي ينشدونها ولا يجدونها.

ما الذي يحول دون السيطرة على الأسواق المالية والاقتصادية التي يتلاعب بها جماعة من أصحاب المطاعم إلا تقاعس المتعلمين وشح المالين من المصريين الذين كل ما يهمهم حيازة الطين!

إن ما ينقص الكثير من المتعلمين ليس الذكاء ولا المال وإنما هي العزيمة لقوية والایمان الصحيح والتضحية في سبيل الغاية التي ننشدها.

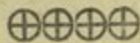
العلة التي تقوم دون نشر التعاون وجماعاته هي رغبة المتعلمين في الوظائف وهذا معناه كسب العيش بأقل مجهود وأيسر طريق، ولا عجب بعد ذلك إذا كنا نرى سوق الأدب والعلم ناقصاً، وأن ميدان العمل في الناحية الاقتصادية والاجتماعية خاو من الرجال العاملين والمصلحين البارزين، وأن لكثرة المتعلمة اكتفت من الحياة بأن تأكل من فئات موائد الغرب العلمية الأدبية والاقتصادية، وأن تشايعهم في نقائصهم دون محاسنهم. فكان للغرب همهم وللشرق الغرم، وأن تكون السيادة لاوروبا دون الشرق!!!

إن الطريق السليم الذي يؤدي إلى الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي هو

التعاون الذى لا شك فى فائدته والذى قد وضحت غايته ، وهو كما يقول  
الاستاذ شارل جيد أحد أقطاب نشر الدعوة التعاونية فى فرنسا :

« إن محي التعاون محبة خالصة ، أولئك المتعاونين حقاً الذين قد يهزأ بهم  
بعض ناقدتهم ويعدونهم غريبى الأطوار ، إنما ينظرون إلى التعاون باعتباره  
غاية فى ذاته لا وسيلة للنجاح . وهم يعتقدون أن التعاون كائن حى وأن النتائج  
التي حصل عليها تحوى جراثيم ما يرجى له من المستقبل ، كما تحوى البذرة  
ثمرة كاملة فيها .

وإذا أردنا أن نبتدئ عن المحاز نقول : انهم يعتقدون أن كل جمعية  
تعاونية تسير حسب القواعد التي وضعتها لنفسها ليست إلا عالماً صغيراً يسير  
ورائده العدالة والاصلاح الاجتماعى . ويكفى أن يترك يشب من تلقاء  
نفسه بالنمو والمحاكاة ، فلا يلبث أن يصير عاجلاً أو آجلاً خير ما يرجى  
من العوالم ،



# أثر الدعوة الإسلامية

## في ارتقاء العمران

كان من آثار الدعوة الإسلامية أن ارتقت الاخلاق وأخذ الناس بالاسباب في سبيل التقدم والحضارة . فتقدم العلم وتقدم معه العمران . وزادت ثروة البلاد . فاتسعت معها الرفاهية . ولتذكر على سبيل المثال ما قام به المسلمون عند فتح الاندلس وما كان لتعاليم الإسلام من فضل في ارتقاء المدينة .

## ارتقاء العمران في اسبانيا تحت حكم المسلمين :

يقول المؤرخ الفرنسى الكبير سديو فى كتابه ( خلاصة تاريخ العرب ) :  
« أما من الناحية العمرانية فكان فى الجزء الذى يملكه المسلمون من اسبانيا ست عواصم وثمانون مدينة كبيرة وثلاثمائة مدينة متوسطة وما لا يحصى من القرى والكفور والضياع .

أما المباني فكان فى قرطبة وحدها ٢٠٠٠٠٠ بيت و ٦٠٠ مسجد و ٥٠ مستشفى و ٨٠ كلية و ٩٠٠ حمام ، وكان يسكنها مليون نسمة . وبالمقابلة تعلم أنها اليوم ليست على ما كانت عليه أيام المسلمين . ولا محل للاستغراب فان الخلفاء تنافسوا فى عمرانها وزخرفتها بما كانوا ينفقونه عليها من الأموال

ومع هذا فلا يزال محل الدهش من كثرة ما بذله العرب من الأموال على  
 مبانيهم في اسبانيا ، فان مسجد قرطبة الباقي للآن يضاهي من الفخامة  
 المسجد الأموي بدمشق طوله ٦٠٠ قدم وعرضه ٢٥٠ قدماً وفي عرضه  
 الأيمن ٣٨ صحناً وفي الأيسر ٢٩ صحناً وفيه ١٠٩٣ عموداً من المرمر وفيه  
 من جهة الجنوب ١٩ باباً مبطنة بصفائح من نحاس التوج وهو النحاس الذي  
 تصنع منه المدافع وأوسطها مرصع بصفائح الذهب وبأعلاه ثلاث أكر  
 مذهبة فوقها رمانة من العسجد وله ٤٧٠٠ قنديل أحدها من الذهب الخالص  
 وهو الموضوع في المحراب وكان يصرف على هذا المسجد في كل عام ٢٤٠٠٠  
 رطل من الزيت و ١٢٠ رطلاً من العنبر والعود والقاقلي وكانت هذه المدينة  
 قضاء بالمصاييح إلى الصباح وكانت شوارعها تطيب بروائح الزهور وكانت  
 في متزهاتها وميادينها العامة جوقات موسيقية تطرب الجمهور بأنغامها .

أما مدينة الزهراء التي كانت قائمة على بعد فراسخ قليلة من قرطبة فقد  
 اشتهرت بقصر الخليفة عبد الرحمن الثالث تلى شاطئ نهر الوادي الكبير  
 ( اسبانيا ) فقد كانت قباب هذا القصر مرفوعة على ٣٠٠ عمود من الرخام  
 المحلى بأبدع النقوش وكانت أرضه مبلطة بالرخام المختلف الألوان على شكل  
 يستوقف الأنظار ، وكانت حوائطه مبطنة بالرخام أيضاً على تلك الصورة  
 وسقفه منقوشة باللزورد والذهب الخالص ، وكانت في غرفه فساق مياه  
 عذبة تنصب في أحواض من الرخام الناصع البياض واليشم المتنوع الأشكال  
 وكان يشاهد في قاعة جلوس الخليفة فسقية يخرج من وسطها صورة بجعة من  
 ذهب معلقة فوق رأسها أولوة عظيمة وكانت تلك البجعة من صنع مدينة  
 القسطنطينية . وأما الأولوة فكان قد أهداها إلى الخليفة الملك ليون أحد

ملوك شمال اسبانيا وكانت حول القصر بساتين واسعة في وسطها قصر منفرد  
ليستريح فيه الخليفة بعد رجوعه من القنص ، وكان هذا القصر الأخير مبنياً  
على أعمدة من الرخام ذوات تيجان محلاة بالذهب وكانت تنبع في وسطه عين  
ماء في صفاء البلور وتنصب من فم النافورة على هيئة سنبل القمح في أفاء  
مستدير مصنوع من الفرفيري .

ومع كل هذا فلم يستفد خلفاء اسبانيا جميع أموال الدولة في زخرفة  
المدن والقصور بل انفق بعضها أيضاً في عمارات نافعة . فقد بنى الخليفة  
الحاكم قناطر وفتح طرقاً انشأ فيها محطات للسائحين وبنى في قرطبة مسجداً .  
وبالتأمل فيما أسلفناه يعلم أن عرب اسبانيا كانوا في مقدمة الأمم في القرن  
الحادي عشر بعد الميلاد . بل كانوا يفوقون في مدينتهم جميع أمم أوروبا  
على الإطلاق .



## العلوم الصناعية

### النبي الصانع والخليفة العابد المجاهد

لما كانت سيادة الإنسان للأرض تستلزم العلم بما يقتضيه الزمان والمكان والبيئة ليسلك الطريق الصحيح الذي يقود إلى خير نبي البشر وسعادته ضرب القرآن الكريم أمثلة كثيرة في كل ناحية من نواحي الحياة ، وأنه يجب على الإنسان أن يتوسل بالعلم لقضاء مصالحه ولبقاء سيادته . ولم تكن العلوم الصناعية بأقل من العلوم الفقهية والرياضية والاقتصادية والمالية لحماية الأمة وسعادتها . وقد تكون العلوم الصناعية من أكبر الوسائل في غنى الأمة إذا ما توفرت عندها المعادن والكهرباء ..

ذكر القرآن داود عليه السلام وخلافته في الأرض فقال تعالى ﴿ يا داود  
إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ  
فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا  
فَسَّوْا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (سورة ص)

كان من أكبر مميزات داود عليه السلام الصناعة قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ  
صَنْعَةَ لَبُوسٍ لِّتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ أى علمناه عمل

الدروع ثم بين لنا الغاية منها في قوله : « لتحصنكم من بأسكم ، أى لتحفظكم اللبوس ( وهى من اللباس ) من بأسكم إذا وقعتم فى حرب . وقد بين ذلك فى آية سبأ إذ يقول : ﴿ وَالسَّالِفَةُ الْحَدِيدُ أَنْ أَعْمَلُ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرْتُ فِي السَّرْدِ

وَأَعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وسابغات : دروع واسعة ضافية والسرد نسيج الدرع . وقد ر فيه : اجعله بقدر يتناسب مع المهمة التى عمل لها وإلانة الحديد لداود كناية عن تعليم الله له صنعة الدروع ولبوس الحرب

هذه الآيات الكريمة تربيانا أنه يجب الاهتمام بالصناعات الحربية وغيرها لحفظ كيان الأمة ، وأن تعلمها واتقانها من أكبر الأسباب فى حفظ كيانها ، واتقاء أعدائها ، وإنها من مستلزمات الأمة ، وأنه ينبغى أن نهتم بها لأنه لا حياة للعالم إذا لم يكن له قوة حربية تحميه وتدافع عنه ، ولذلك يدعو القرآن الكريم إلى أن نأخذ الحذر من العدو وأن نعد له ما نستطيع من قوة كما قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

أى أن نعد له ما نستطيع من قوة مادية ومعنوية . ونكر القوة لاختلافها باختلاف العصور والأزمنة . فى عهد داود عليه السلام كان القتال بالحرب والسهم والحرب .

أما اليوم فتطورت العلوم والمعارف ودخل العالم فى شأن جديد ،

وأصبحت القوة الحربية للأمم تقاس بأساطيلها البرية والبحرية وطياراتها  
وغواصاتها ودباباتها وما إلى ذلك من الاختراعات والابتكارات الصناعية  
بل تقاس بصناعاتها وفنونها وتجارتها . فكما تحارب الأمم بعضها بعضاً  
بالمقذوفات النارية في الأرض وفي الجو وفي البحر وبالغازات السامة الخائفة  
يحارب بعضها البعض بالمصنوعات والمنسوجات . وقد كان للصناعة أكبر  
شأن في التاريخ الحالى فكل أمة لا تأخذ منها القسط الوفير لحمايتها وتقدمها  
بامت بالفشل والخذلان . وقد قيل : « من لا يتدأب أكنه الذئب » ، و « من  
لا يظلم الناس يظلم »

وقد شاد القرآن الكريم بفضل الصناعة ، وجعلها من عيزات الخلافة في  
الأرض لعمارتها وحمايتها ، وقد قام داود عليه السلام في أيام ملكه بحروب  
كثيرة كان موقفاً فيها منصوراً على أعدائه واتسع ملكه حتى صار من أيلة  
( خليج العقبة ) وهى المدينة التى على الخليج إلى الفرات فدانت له تلك البلاد  
كلها بعد حروب كان الظفر حليفه فيها كلها فافتتح بلاد فلسطين وأخذ دمشق  
عاصمة ملك الآراميين بعد حروب شديدة . وحارب الأقباط الذين على  
الفرات ونصر عليهم قبل أن يملك دمشق وما معها وملك داود شرق الأردن  
بعد أن حاربه بنو عمون (١)

كان داود عليه السلام مثلاً عالياً للشجاعة والعبادة والزهد والتضحية  
والجهاد والصبر واحتمال الأذى والمشاق فى سبيل الحق ونصرة الحق فقال  
تعالى : « اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب »

---

(١) قصص الانبياء للاستاذ الشيخ عبيد الوهاب النجار طبع سنة



وانذكر بعض مناقبه في سبيل المثال :

أولاً - ذكر داود عليه السلام ليكون في مكان القدوة للصبر على طاعة الله ، وذلك تشریف عظيم وإكرام تام لداود عليه السلام .

ثانياً - أنه قال في حقه عبدنا داود فوصفه بكونه عبداً له وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك غاية التشریف ، ألا ترى أن سبحانه وتعالى لما أراد أن يشرف محمداً عليه السلام ليلته الاسراء والمعراج قال سبحان الذي أسرى بعبده ، فهنا يدل على علو درجته أيضاً فان وصف الانبياء بعبوديته مشعر بأنهم قد حققوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد والطاعة ثالثاً - قوله ذا الاید ای ذا القوة على أداء الطاعة والاحتراز عن

المعاصي ، وذلك لانه تعالى لما مدحه بالقوة وجب أن تكون تلك القوة موجبة للهدى . والقوة التي توجب المدح العظيم ليست إلا القوة على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه . والاید المذكور ههنا كالقوة المذكورة في قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة . وقوله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة أي باجتهاد في أداء الامانة وتشده في القيام بالدعوة . وترك إظهار الوهن والضعف . وعن قتادة أعطى قوة في العبادة وفقهاً في الدين ، كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر .

رابعاً - قوله انه أو اب أي أن داود كان رجاعاً في أموره كلها إلى طاعتي ، والأواب فعال من آب إذا رجع كما قال تعالى إن إيلينا إياهم ، وفعال بناء المبالغة كما يقال قتال وضراب فانه أبلغ من قاتل وضراب (١)

(١) الجزء السابع من مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير للامام الرازي فخر الدين ص ١٢٢

وقد ذكر القرآن الكريم قصة طالوت مع جالوت وأن النصر كان لجيش  
طالوت عنى يد داود عليه السلام فقال تعالى : ﴿ وَمَا بَرَزُوا لْجَالُوتَ  
وَجُنُودَهُ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ  
الْكَافِرِينَ ﴾ . أى لما ظهر طالوت وجنوده لجالوت وجنوده وهم أعداؤهم  
الوثنيون الفلسطينيون ، واشتبك الجيشان فى القتال ، قالوا ربنا أفرغ علينا  
صبراً ، على مشاق القتال ، وثبت أقدامنا ، بثبات القلوب واطمئنانها  
بالإيمان والثقة به ، وانصرنا على القوم الكافرين ، عبدة الأوثان .  
﴿ فهزمهم بإذن الله وقتل داود جالوت ﴾ وكان جالوت عملاقاً جباراً فقتله  
داود وهى منقبة لداود لا تنسى .

﴿ وَأَتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ فسروا الحكمة هنا  
بالنبوة ، ويرى صاحب المنار أنها الزبور الذى أوحاه الله إليه كما قال فى آية  
أخرى « وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا » ( سورة النساء ) ، وبه كان نبياً . وأما تعليمه  
عما يشاء فقد فسرها بصنعة الدروع كما فى سورة الأنبياء ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ  
لَبِؤُسٍ لِّكُمْ لِنُعَصِّنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾

﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ . وَلَكِنَّ اللهَ  
ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ( سورة البقرة ) . أى لو لا أن الله يدفع أهل الباطل  
بأهل الحق ، وأهل الفساد فى الأرض بأهل الإصلاح لغلب أهل الباطل

والإفساد في الأرض ، وبغوا على الصالحين ، وأوقعوا بهم حتى يكون لهم السلطان وحدهم فتفسد الأرض بفسادهم .

فكان من فضل الله على العالمين أن أذن لأهل دينه الحق ، المصلحين في الأرض بقتال المفسدين فيها من الكافرين ، والبغاة المعتدين . فأهل الحق حرب لأهل الباطل في كل زمان والله ناصرهم ما نصرهوا الحق وأرادوا الإصلاح في الأرض .

والآية ترينا سنة عامة من سنن الاجتماع وهي ما يعبر عنه علماء العصر بتنازع البقاء ويقولون إن الحرب طبيعة في البشر لأنها من فروع سنة تنازع البقاء العامة وهو عام لكل نوع من أنواع التنازع بين الناس الذي يقتضي المدافعة والمغالبة . وقوله لتفسد الأرض يؤيد السنة التي يعبر عنها علماء الاجتماع بالانتخاب الطبيعي أو بقاء الأمثل ، ووجه ذلك جعل هذا من لوازم ما قبله فكأنه تعالى يقول : إن ما فطرت عليه الناس من مدافعة بعضهم بعضاً عن الحق والمصلحة هو المانع من فساد الأرض ، أي هو سبب بقاء الحق وبقاء الصلاح . ويكزز ذلك قوله تعالى في بيان حكمة الأذن للمسلمين بالقتال في سورة الحج ﴿ الَّذِينَ يُبْقَاتُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ... الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَدَمْتَ سَوَامِعَ وَبِيَعٍ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدٍ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ

لَقَوَى عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ  
 وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي  
 سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْبُجُ جُدْفَاءَ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي  
 الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١﴾

كان داود عليه السلام من المثُل العليا التي ذكرها القرآن ليقصدى الناس  
 ، وعلى الرغم من انتصاراته العديدة وفتوحاته وما آتاه الله من الملك  
 بسطة النفوذ فإنه كان زاهداً متقشفاً يأكل من عمل يده : عن المقداد رضى  
 عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من  
 يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » . رواه  
 إمام أحمد والبخارى .

ليس الزهد في الدنيا أن تتركها ضعفاً منك أو رغبة في الآخرة إنما الزهد  
 ملك الدنيا وأن تسخرها في طاعة الله لا في سبيل شهواتك وأغراضك  
 بحولة الحقبة والبطولة الصادقة هي أن تكون لك الدنيا عبدة لأن تكون  
 بدياً . وليس هذا بالامر الهين ولا اليسير ، فهذا يحتاج إلى رياضة النفس  
 بيه الهوى والاذعان للحق ، والتضحية في سبيله بكل ما تملك من  
 ومال .

(١) دعوة الرسل إلى الله تعالى ، تأليف محمد أحمد العدوى من العلماء

فهم المسلمون الاولون الزهد وعملوا بمقتضاه ، فأنفقوا كل ما لهم في سبيل الله . وآثروا رضا الله على رضائهم . وحب الله على حبهم لانفسهم وطاعة الله على هواهم فكانوا العلماء الصادقين . والمجاهدين المخلصين ورسل الهداية العارفين . ولذلك قال تعالى في حقهم : ﴿ كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

ولن يستعيد المسلمون سالف مجدهم وغابر عزمهم إلا بالاعتداء بسلفهم الصالح وأن يبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله وأن يتضامنوا في كل ما يرقى شأنهم . ولن يكون هذا إلا بالعلم . العلم في معناه العام . العلم بالادارة والسياسة . العلم بالاخلاق والتربية . العلم بالزراعة والصناعة والتجارة . العلم بكل سبيل فيه حصانتهم من الفساد والانحلال . والعلم بكل ما من شأنه أن يكون فيه قوتهم واستقلالهم وحریتهم وسعادتهم

وإن الحضارة الغربية الحالية التي سادت العالم زمناً طويلاً كان من أكبر دعائمها وميزاتها العلوم الصناعية وكان ذلك في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حين اخترع أحد المهندسين الصناع الآلة البخارية وكان لهذا الاختراع من الاثر في التطور والانقلاب ما لم يفعله السيف والقلم مجتمعين وما لم يكن لأكبر قواد الجيوش والعلماء متحدين ، إذ قلب المدينة الغربية من زراعية إلى صناعية ، وصارت الصناعة هي التي تحرك ساسة العالم وعلماءه في سيره وتشريعہ . وطبعتهم بطابعها حتى صار علماء الغرب أنفسهم يقولون عن حضارتهم ومدنيتهم الحضارة الصناعية أو المدينة الصناعية .

قال الفيلسوف العلامة الانجليزي برتراند رسل تحت عنوان الحضارة

الصناعية ، يصفها : — « أبرز الصفات في الحضارة الصناعية هي تكوين المجتمع بحيث يكون مجموعة عضوية شديدة الارتباط ، فهو أشبه الأشياء بالجسم الانساني . وهو مجموعة خلايا — من حيث أنه أكبر من مجموعة خلايا مستقلة فكل خلية تتمتع بالقدرة على الحياة مستقلة فهي لا تستمد وجودها من وجود خلايا أخرى ولا تموت بموتها ولكن مجموع خلايا الجسم الانساني يعوزها هذا الاستقلال فلكل خلية عملها ولكنها خاضعة للمجموع وإذا فقد عضو رئيسي قدرته على الحياة أصيب الجسم كله بالشلل أو الموت . فهنا عملية معقدة فيها مكسب وخسارة : أما المكسب فلأن تخصيص كل عضو بعمل معين واخضاع الكل لنظام واحد يجعل الجسم أقدر على العمل من طائفة من الخلايا المتفرقة وأكثر منها استعداداً للتكيف بالوسط والاستفادة منه . وأما الخسارة فلأن فقدان الاستقلال في سبيل التعاون يجعل الجسم تحت رحمة طارئ . يفقده الحياة جملة . وهذه المشابهة هي المشابهة نفسها بين الجماعة الصناعية وغير الصناعية :

في الجماعات الزراعية تعمل كل عائلة على أن تكفي نفسها مؤوتتها ، أما في الحياة الصناعية فلا يوجد فرد يستطيع أن يتمتع بهذا الاستقلال ، فالفرد هنا يشترك في جزء من عمل ومن هنا لا بد أن تروج المبادلة والتجارة . فالفرد أصبح خاضعاً في حياته وحرية للمجموع ، والجماعة الصناعية تصبغ بهذا التخصص وتوزيع العمل أشبه الأشياء بالجسم الانساني ، فإذا أصيب عضو منها تمشى الشلل في أجزائها وقد تصاب بالموت ، فإذا تعطلت محطة من محطات توليد النور الكهربية راحت لندن تتخبط في الظلام وشلت حركة النقل فيها ووقفت مصانعها عن العمل . وفي هذا المثل برهان كاف على

صدق القانون الطبيعي ، وهو أن أكثر الأشياء دقة ونظاماً أشدها إحساساً  
ومن هنا كانت حياة الحضارة الصناعية أكثر تعرضاً للخطر والتخريب  
من الحياة التي احتفظت بالوسائل الفطرية البسيطة في الإنتاج (١)

وليتنبه المسلمون إلى ما غفلوا عنه مدة طويلة من اهمال الصناعة التي يجب  
أن تحل المكان اللائق بها . وإن في الصناعات لغنى كثيراً ما يربو عما تدره  
الزراعة والتجارة ، وقد يوجد من الصناع أو أصحاب المصانع من تعد ثروتهم  
بعشرات الملايين من الجنيهات نذكر منهم فورد

وإن ما يدفعه فورد اعلاناً عن مصانعه التي تصنع السيارات التي تحمل  
١٤٤٠٠٠ يريد عن ٣٥٠ الف جنيه في السنة ، وإن اديسن مخترع المصباح الكهربائي  
وحاكي الصوت والراديو وغيره قد بلغ عدد اختراعاته الصناعية ما يقرب  
من الف اختراع وبلغ مجموع رؤوس الأموال التي تشتغل في هذه الاختراعات  
ما يقرب من خمسمائة مليون جنيه .

...

كفى بالصناعة شرفاً ونبلاً أن جعلها الله تعالى من أكبر ميزات نبيه داود  
عليه السلام وهي كانت عذته في الحرب وسبباً من أهم الأسباب في توطيد  
خلاقته .

وقد أمر الصانع والعامل أن يتفن صناعته لأن ذلك من أسباب رواجها  
وانتشارها كما تكون من دواعي الاقبال عليها وحسن سمعة القائم بها . روى  
ابن أبي خيثمة والبعثي وابن قانع وغيرهم عن عاصم بن كليب عبد الله عن

---

(١) مقتطف يناير سنة ١٩٣٠

النبي صلى الله عليه وسلم ، يحب الله العامل إذا عمل عملاً أن يتقن ، وروى أبو يعلى والعسكري وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم العمل أن يتقنه » ،

ولذا ذكر نشاط المسلمين الأول في إبان مجدهم في الناحية الصناعية والفنون مما كان له الأثر الكبير في الحضارة الأوروبية يوم كان المسلمون حكاماً لاسبانيا

### ارتقاء الفنون والصنائع في اسبانيا تحت حكم المسلمين

وأثر ذلك في أوروبا :

يقول المؤرخ الفرنسي الكبير سديو في كتابه ( خلاصة تاريخ العرب )

ما تعريبه :

وأما من ناحية الصنائع والفنون فإن عرب اسبانيا أخذوا ما عثروا عليه مما كان عند الرومانيين والفينيقيين فامكنهم بواسطتها استخراج المعادن القابلة للطرق ومعدن الزئبق ولم يغفلوا عن استخراج الياقوت من معادنه بقرب مدينتي ملانا وبجاديكا ميريس وغاصوا في البحر فاستخرجوا منه المرجان واللؤلؤ وأتقنوا صناعة الدباغة ونسج القطن والكتان والتيل وبلغوا أقصى الغاية في صناعة الأقمشة الحريرية . وكانت صناعتهم في عمل السيف ونصال بقية الأسلحة مضرب الأمثال في كل مكان فاشتهرت مدن باتقان هذه الصناعات فكان لا يعلى على سلاح طليطلة ولا ينافس حرير غرناطة ولا تزامم السروج والجلود الواردة من قرطبة ولا تجارى الأقمشة الصوفية التي كانت تصنع في قونسية كما اشتهرت والنسة في صادراتها من الافاويه والسكر واشتغل العرب غير ذلك باستخراج الزيوت ودودة الصباغة والعنبر الحام



والبلور المعدني وهو البلور المستخرج من الصخور والكبريت ويظن أنهم استعملوا التحاويل في تجارتهم وهي التي تسمى الآن بالكيميالات .

و بما يؤثر عن عرب اسبانيا أنهم عنوا أشد العناية بالفلاحة فبلغت إلى درجة رفيعة جداً وأبدعوا في الري أيما ابداع ويدل عليه ما فعلوه في سهل ( هوسطاه ) الذي يقسمه نهر ( طونة ) إلى قسمين فأنهم وقفوا تيار هذا النهر على بعد نحو فرسخين من مصبه بواسطة سد ثم اشتقوا منه سبعة جداول ثلاثة في ناحية وأربعة في الناحية الأخرى وجعلوا يفتحون كل فرع مدناً في يوم من أيام الاسبوع بحيث يرتفع الماء فيه إلى المستوى المطلوب ليرووا ما يريدون ريه من الأراضي العالية ثم عمدوا إلى كل جدول من هذه الجداول السبعة ، فاشتقوا منه جداول ثانوية يفتح كل منها في ساعة معينة بعد حصول الارتفاع في الجدول الرئيسي قاصدين بذلك أن يصل الماء إلى أصغر مربع من الأرض فكان كل جدول بفروعه الثانوية يشبه مروحة تتجه جداولها إلى كل اتجاه ولعدم انحدار ذلك السهل انحداراً هندسياً تدريجياً جعلوا له مساق صغيرة وقناطر متصلاً بها مجار للمياه توزع على المزارع ثم صنعوا لما لا يمكن سقيه هذه الوسائل كلها سواقي حفظوا المياه الضرورية لها في حياض تستمد منها عند الحاجة وجملة القول أنهم أبدعوا في هندسة الري بهذا السهل ابداعاً استحق معه أن يلقب بديستان اسبانيا .

وقد توصل العرب بفنونهم الزراعية المتقدمة إلى استغلال الارض ثلاث مرات في السنة وأدخلوا إلى اسبانيا زراعة الارز والقطن والتوت وقصب السكر والنخل والفسق والموز ودوحة الكاميليا الحمراء والبيضاء وأزهاراً وبقولاً لا تحصى نقلت كلها فيما بعد إلى جميع البلاد الأوروبية ،

## آيات العلم

في ملك سليمان عليه السلام

الصلاح والتقوى أساس الملك - تسخير الريح -

تسخير الجن - علم منطق الحيوان - تسخير

قال تعالى :

(١) ﴿... وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾

(سورة الانعام) ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾

(سورة ص)

(٢) ﴿قَالَ (سليمان) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ

مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (سورة ص)

(٣) ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابُ﴾

(سورة ص)

(٤) ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾

(سورة ص)

(٥) ﴿ وَوَرِثَ سَلِيمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ

وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ (سورة النمل)

(٦) ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ

يُوزَعُونَ ﴾ (سورة النمل)

•••

١ — ذكر القرآن الكريم سليمان بن داود عليهما السلام ووصف الولد بصفة أبيه فقال نعم العبد ثم قال بعده إنه أواب وهذه كلمة للتعليل فهذا يدل أنه كان نعم العبد لأنه كان أواباً فيلزم أن كل من كان كثير الرجوع إلى الله في أكثر الأوقات ، وفي أكثر المهمات كان موصوفاً بأنه نعم العبد ، وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه لأن كمال الانسان في أن يعرف الحق لذاته ، والخير لأجل العمل به ، ورأس المعارف ورئيسها معرفة الله تعالى ، ورأس الطاعات ورئيسها الاعتراف بأنه لا يتم شيء من الخيرات إلا باعانة الله تعالى . ومن كان كذلك كان كثير الرجوع إلى الله تعالى فكان أواباً فثبت أن كل من كان أواباً وجب أن يكون نعم العبد .

٢ — طلب سليمان عليه السلام من الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من

بعده وتدل هذه الآية على أن طلب المغفرة من الله تعالى سبب لافتتاح أبواب الخيرات في الدنيا لأن سليمان طلب المغفرة أولاً ثم توسل به إلى طلب المملكة

ونوح هكذا فعل أيضاً لأنه تعالى حكى عنه قال : ﴿ فَمَلَأْتُ سَفِينًا وَارْتَفَعُوا رَبِّكُمْ

انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ﴿

والملك هو القدرة فكان المراد : أقدرني على أشياء لا يقدر عليها غيري  
البتة ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة نبوتي ورسالتي . والدليل  
على صحة هذا الكلام أنه تعالى قال عقبه « فسخرنا له الريح تجري بأمره  
رخاء حيث أصاب » فكون الريح جارية بأمره قدرة عجيبة وملك عجيب ،  
ولا شك أنه معجزة دالة على نبوته فكان قوله « هب لي ملكا لا ينبغي لأحد  
من بعدي » هذا هو المعنى لأن شروط المعجزة أن لا يقدر غيره على معارضتها  
فقوله « لا ينبغي لأحد من بعدي » يعني لا يقدر أحد على معارضته .

٣ — كان تسخير الريح لسليمان معجزة في عصره استرشد بها الآن علماء  
الغرب في تسخير الريح واستطاعوا أن يستخدموه في الأسفار بالطائرات  
التجارية والحربية كما سخر لهم الاثير في الوقت الحاضر فاتفقوا بواسطة  
التوجات الهوائية في نقل الأخبار والأصوات والأشكال من طريق العلم .  
وأصبحنا ونحن بالشرق نسمع كل ما يدور في الغرب من خطب ومحاضرات  
وغيرها على بعد الشقة وطول المسافة ، وكذلك هم يسمعون خطبنا ومحاضراتنا  
وما يدور في بلادنا . وهو تسخير من الله طريقه العلم والتفكير . ولعل الله  
يقرب لنا أمر هذه المعجزات بهذه الخوارق العلية ، ويرينا أنها لم تكن من  
قسم المحال كما فهم بعض الناس وإنما هي أمر ممكن ، والدليل على إمكانها ما  
يقاربها من طريق العلم ، ولو كانت من قسم المحال ما وقعت ، وقد يؤيد ذلك  
قوله تعالى في سورة النمل « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها » أي يريكم  
إياها من طريق العلم فتعرفونها بالتعلم كما أراها للرسل من طريق المعجزة لأنها

خارقة لعادة القوم ، وجمامت على غير المؤلف لهم (١)

٤ — ﴿ والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد ﴾ .  
 قال صاحب الكشاف الشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين  
 وآخرين عطف على قوله كل بناء وهو بدل الكل من الكل . كانوا يبنون  
 لسليمان ما شاء من الأبنية ويفوضون له فيستخرجون التؤلؤ وقوله مقرنين  
 يقال قرنهم في الحبال والتشديد للكثرة والاصفاد الاغلال واحدها صغد  
 وهذه الآيات دالة على أن الشياطين لها قوة عظيمة وبسبب تلك القوة قدروا  
 على بناء الأبنية القوية التي لا يقدر عليها البشر وقدروا على الغوص في البحار  
 واحتاج سليمان عليه السلام إلى قيدهم ، وقال تعالى في موضع آخر ﴿ وأسألنا  
 له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن  
 أمرنا نذقه من عذاب السعير ﴾ ( سورة سبأ ) . القطر ( النحاس ) أي جملة  
 سائلا من معدنه يبيع منه كما يسيل الماء من ينبوعه ولذلك سماه عيشاً وذلك  
 ليسهل عليه أن يحوله إلى ما يريد وينتفع به في وجوه شتى كما سخر له من  
 الجن من يعمل بين يديه ما يشاء ولو لا أن الله سخرها له ما استطاع أن  
 ينتفع بها كما قال في معجزة عيسى عليه السلام ﴿ وأبرئ الأكمه والابصر

---

(١) الجزء السابع من مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير للإمام  
 محمد الرازي فخر الدين ص ١٣٥ وما بعدها ودعوة الرسل إلى الله تعالى :  
 تأليف محمد أحمد العدوي من العلماء

وأخي الموتي بأذن الله ﴿ (سورة آل عمران) وكان عقوبة المتمردين والعاصي من الجن عذاب السعير ، وهذا تشریف لسليمان عليه السلام إذ جعل طاعته من طاعته والعاصي لأمره كالعاصي له يعذب بالنار .

كان الجن يعملون له ما يشاء من محاريب وتماميل وجفان كالجواب وقبور رأسيات ، والمحاريب القصور الحصينة . وكذلك يعملون تماثيل وهي مظهر من مظاهر العظمة وهو دليل على مشروعية التماثيل كما يقول الاستاذ العدوي وإن الاسلام إذا حرمها فانما يحرمها إذا كانت ذريعة للشرك والوثنية كالتماثيل التي تعمل للصالحين . أما ما يعمل للعظماء الذين ليس من شأنهم أن يعبدوا بهذه التماثيل فليس هناك وجه لتحريمها وما ورد في الأحاديث في النهي عن اتخاذ صورة أو تمثال فمحمول على ذلك . ولو كانت التماثيل محرمة لذاتها ما أباحها الله لسليمان لأن الرسل جميعهم متفقون على محاربة الشرك وذرائع الشرك لأن التوحيد من الأصول التي لا تختلف فيها الشرائع السماوية ، ولكن الجن كانت تعملها لسليمان ، وأقرها على ذلك العمل . وادعاء أن ذلك النوع من التماثيل كان في غير الحيوان كالاشجار مثلا خلاف الظاهر وكذلك القول بأن ذلك كان شرعاً لسليمان وأنه مما تختلف فيه الشرائع ، (كتاب دعوة الرسل إلى الله تعالى للاستاذ الشيخ محمد أحمد العدوي من العلماء ص ٣١٧)

ان تحريم عمل التماثيل في الاسلام لا يرجع إلى أنها ذريعة للشرك والوثنية فحسب بل ان الاسلام نهى عن الاسراف في المال وبذله فيما لا ينفع فهل من المصلحة أن تصنع الأمة تماثيل لرجائها العظماء تكلفها عشرات

بل مئات الالوف من الجنهات وهى نصب صامته ، ورأس مال غير رابح ،  
أم تقيم لمن خدموها مؤسسات عليية أو خيرية أو اقتصادية كمدارس ،  
وملاجىء ، ومستشفيات وخلاف ذلك ينتفع بها أبناء الأمة ، ويبقى الذكر  
الجيل والخير الجزيل لعظمتها فيكرون قد خدموا أمتهم أحياء وأمواتاً ؟ !

والنهي الذي جاء به الشرع في إقامة التائيل يجب احترامه ، والأمر  
الإلهي يجب طاعته ، سواء عرفنا فيه وجه النفع أو لم نعرف ، لأن علم الله  
الذي هو بكل شيء محيط تحفي علينا دقائقه ويجب اجلاله اعترافاً بحق الالوهية  
له وبواجب العبودية لنا . وإذا كان المرموس لا يستطيع أن يناقش رئيسه  
في كل أمر يصدره له سواء عرف وجه المنفعة أو لم يعرفها فكيف بالعبد  
مع الخالق جل وعلا ؟ ! وإذا كان المريض يريد أن يناقش طبيبه العالم الخاذق  
في كل دواء يعطى له فقد بعد شفاؤه وقرب هلاكه

« وقدور راسيات » ، أى قدور يطبخ فيها ثابتة لا تنقل من مكان إلى  
مكان لعظمتها وكبر حجمها ، وذلك شأن الممالك الكبيرة والدول الواسعة  
يحتاج رجالها من أدوات الطبخ قدوراً واسعة ثابتة لا تنقل لعظمتها

« اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور » ، وذلك اشارة إلى  
أن هذه الأشياء حالة لا ينبغي أن يجعل الانسان نفسه مستغرقة فيها وإنما  
الواجب الذي ينبغي أن يكثرت منه هو العمل الصالح الذى يكون شكراً ،  
وفيه اشارة إلى عدم الالتفات إلى هذه الأشياء وقلة الاشتغال بها كما في قوله  
تعالى : « وقدر فى السرء » أى اجعله بقدر الحاجة ، والشكر أن تعرف نعمة  
الله عليك وتضعها فيما أمر الله أن توضع فيه وأن لا تستعين بها على معصيته ،  
وأن تؤدى لله واجب الحمد مع دوام الطاعة قدر ما تسعه قدرتك وتحتمله

نفسك ، وقليل من العباد من يستطيع ذلك .

٥ — تعليم منطلق الطير : كان من عزة الملك وقوة السلطان أن تكون الطير من حاشية وجند سليمان عليه السلام . وليس هذا فحسب وإنما زاد فوق هذا علم منطلق الطير فصارت معرفته بحاجياتها وتدبير شئونها أتم ، وقد قيل من عرف لغة قوم أمن من مكرهم . ويقول سليمان : « يا أيها الناس علنا منطلق الطير وأوتينا من كل شيء . » أي ان الله الذي علنا . وهو الذي آتانا كل شيء . ويقول المرحوم الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهرى فى كتابه الجواهر : إن تعليم الله لثييه سليمان كان معجزة . ولذلك قال علنا ، ولم يقل تعلمنا أما نحن فنعرفه من طريق التعلم .

وقد عرف العلماء كثيراً من لغات الطيور وكتبوا كتباً فى ذلك يبيئون نظم هذه الحيوانات ويرجع من أراد إلى ما كتبه ( اسبينا ) فى كتابه « جمعيات الحيوان Espinas : Sociétés animales » وفرد فى كتابه جمعيات النمل . ولويس فيجيه وما كتبه عن الحشرات : فكل هذه الحيوانات صغيرة وكبيرها ، طائراً أو غير طائر تعيش فى جماعات ، ولها نظام ولغة ، وقد أعلننا الحبير العليم قبل أن يفظن العلماء إلى ذلك فقال تعالى : ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ ( سورة الانعام ) . وقال تعالى : ﴿ وقل الحمد لله الذى سبرىكم آياته فتعرفونها ﴾ . وكان الله يقول إنكم لا تعرفون لغات الطيور . وقد علنتها لسليمان . وقد يأتى يوم يكتشف فيه



بعض ما غمض بما في علم الخالق فيطلع الناس على عجائبه فيعرفونها بالتعليم  
لأبالقوة القدسية كالأنبياء . يريكم الله إياها . ويرشدكم إلى مواطنها فيعرفونها  
لأنكم مأمورون أن تعرفوا آيات الله على قدر طاقتكم .

وقد ذكر القرآن الكريم مثلا على معرفة سليمان للغصة النملة التي حذرت  
قومها من جيوش سليمان .

٦ — قال تعالى : ﴿ وَحِشْرَ سُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ

فهم يُوزَعُونَ ﴾ أي جمع سليمان جنوده المسخرة له من الجن وهو العالم  
الحنفي الذي يقابل الانس ومن الانس والطيور ، فهم يوزعون ، أي يساسون  
ويقمعون . إن جيش سليمان كان على كثرته سهل القيادة ويتصل بعضه ببعض  
عند الاستعراض ﴿ حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل  
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنسكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم

صاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى

والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾

إن كل جماعة لها نظام يجب أن تكون لها لغة تفاهمها وتحدد وتذكر وتنذر  
وتبشر . وكتب علماء الاجتماع الذين اشتغلوا بحياة الجماعة للحيوان ما كشف  
عن قدرة الله تعالى وآياته التي لا عداد لها ، والتي يجب أن تكون موضع  
الدرس والبحث . وضرب الله مثلا هذا ليعلمنا بالدليل على فهم سليمان عليه  
السلام منطلق الطير .

٧ — لقد آتَى اللهُ داودَ وسليمانَ علماً وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمًا . وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .  
ويفهم من الآية ما يأتي :

أولاً : إنها دليل على علو مرتبة العلم لأنهما أوتيا من الملك ما لم يوت غيرهما فلم يكن شكرهما على الملك كشكرهما على العلم .

ثانياً : إنهم لم يفضلوا أنفسهم على الكل ، وذلك يدل على حسن التواضع  
ثالثاً : إن الظاهر يقتضى أن تلك الفضيلة ليست إلا ذلك العلم ثم العلم بالله وبصفاته أشرف من غيره فوجب أن يكون هذا الشكر ليس إلا على هذا العلم كما يقول بعض المفسرين . إذا دخل الإنسان متحف فنان من المصورين وأعجب بعمل المصور أليس من العقل والحكمة أن يتصل بالفنان ويتعرف به ليزيده بياناً وإيضاحاً لمعرفة فنه ، فكذلك العلماء والحكماء أمام الكشف عن نواميس هذا الكون هي أن يعملوا على معرفة الله عز وجل ليستعينوا بهدايته وإرشاده على معرفة ما أبدعه وما أوجده ، ولذلك كان العلم بالله هو أساس المعرفة والعلوم .

# آيات العلم

في ملك سليمان عليه السلام

— ٢ —

كيف كشف عرش بلقيس؟ وكيف أحضر

كان من ضمن جيوش سليمان عليه السلام الطير، وكان يعرف لغتها ومن  
بينها الهدهد، وقد ذكر القرآن قصته وأنه اكتشف سبأ، وعرف من عرش  
بلقيس ملكتها ما لم يعرفه. قال تعالى في سورة النمل:

( وَتَقَدَّرَ (سليمان) الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين .  
لأعدَّبه عذاباً شديداً أو لأذنبه أو ليأتيني بسلطان مبين . فكش غير

بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين ) ( أى فكش  
الهدهد مكشاً غير طويل فلما رجع سأله عما لقي في غيبته . ) فقال أحطت  
بما لم تحط به . علمت ما لم تعلم ، وما كان الذي يعلم الشيء من جميع نواحيه  
يحيط بذلك الشيء . عبر عنه بذلك ، وفي الآية إشارة إلى أن الأنبياء تخفى عليهم  
أمور يعرفها غيرهم وذلك ليعرف الناس أقدارهم وليتعلم الانسان من كل  
أحد لأن سليمان لم ير باساً في أن يتعلم من طريق الهدهد وهو ذلكم الظائر

المعروف ، ألهمه الله فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمّة ، والأحاطة بالمعلومات الكثيرة ، لينبئه الله تعالى على أن في أدنى خلقه وأضعفهم من أحاط علماً بما لم يحيط به ليتصاغر إليه عليه وتحافز إليه نفسه ويكرن ذلك لطفاً به ، وليكون في ذلك عبرة لأهل العلم في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء ، وبإلهام من فتنة ، وفي الحكم المشهورة والقول المأثور : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها ، وذلك أكابر لشأن العلم وإعلاء منزلته . وأى أكابر أعظم من أن نبى الله سليمان يأخذه من طير من الطيور ويتلقاه من نوع غير نوعه ، ولا يرى غصاصة على نفسه في ذلك . ولعل الناس يفطنون لهذا فيكبرون من شأن العلم كما أكبره سليمان ، ويهتمون به كما اهتم به سليمان . ولا سيما العلم المتعلق بأحوال الممالك والأمم .

« وجئتك من سبأ نبأً يقين ، أى بخبر محقق ، وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان كما يقول المؤرخون نسبت إليه القبيلة ، وكانت تسكن بلاد اليمن .

« وإني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء . ولها عرش عظيم » والمرأة هي بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس . والضمير في تملكهم لسبأ « وأوتيت من كل شيء » يحتاجه الملوك ، ولها عرش عظيم ، سرير كبير ، ووجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، فكانوا يعبدونها وعبر عن العبادة بالسجود لأنه أظهر أشكالها « وزين لهم الشيطان أعمالهم ، من عبادة الشمس وغيرها من الأفعال والاعتقادات » فصدّهم عن السبيل ، أى سبيل الحق والصواب « فهم لا يهتدون ، إليه » وأن لا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات

والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ،

والمعنى : أى يا قوم اسجدوا لله الذى يخرج المحبوه والغائب فى السموات والأرض من نبات وأمطار وغيرها وأن الله هو الذى يخرج للناس ما كان خفياً عليهم . فالنبات قبل أن يولد كان خبياً فى الأرض فأظهره الله وأخرجه . والأجنة فى بطون أمهاتها كانت كذلك فأخرجها الله وأظهرها وأتم خلقها وصورها . والكواكب تختبئ فى النهار ثم يخرجها الله تعالى فى الليل ويظهر ضوءها للعالم . والشمس تغيب عن طائفة بالليل وتظهر لها بالنهار . والأمطار يخرجها للعالم وينزلها من جهة العلو فتنتفع بها الناس ، ويعلم ما تخفون وما تعلنون ، أى مع إخراجه الخبئ يعلم ما تخفيه فى أنفسنا وما نعلن . والاله الذى له هذه الآثار وله العلم المحيط هو الذى يستحق أن يعبد .

قال تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا

للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾  
( سورة فصلت ) .

الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم . أى هو المعبود الذى يستحق السجود له ولا إله غيره رب السموات والأرض ورب الخلق جميعاً . وعرش الله تعالى فوق العروش وسلطانه فوق كل سلطان هو عرش من بيده ملكوت كل شئ . له الأولى والآخرة . ﴿ قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم قول عنهم فانظروا ماذا يرجعون . قالت يا أيها المسلمانى أتلقى إلى كتاب كريم . إنه من سليمان وإنه بسم الله

الرحمن الرحيم . أَلَا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ . قالت يا أيها الملا أفأتوني  
في أمرى ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون . قالوا نحن أولوا قوةً وأولوا  
بأسٍ شديد والأمرُ إليك فانظري ماذا تأمرين . قالت إن الملوك إذا دخلوا  
قريةً أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلةً وكذلك يفعلون . وإني مرسلَةٌ إليهم  
بهدية فضاظرةٍ بهم يرجعُ المرسلون . فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما  
آتانا الله خيرهُ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع إليهم فلنأتينهم  
بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون . قال يا أيها الملا  
أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال غفريت من الجن أنا آتيتك  
به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين . قال الذي عنده علم من  
الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال  
هذا من فضل ربي لييتوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه  
ومن كفر فإن ربي غني كريم . قال نكسروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم  
تكون من الذين لا يهتدون . فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو  
وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصدّها ما كانت تعبد من دون الله

إنها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبه لجة  
وكشفت عن ساقها . قال إنه صرح مررد من قوارير قالت ربى ظلمت  
نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴿

أراد سليمان أن يختبر الهدد أصادق في خبره أم كاذب ؟ فأعطاه كتاباً  
ليوصله إلى الملكة فذهب الهدد بالكتاب وألقاه على سريرها فأخذته فاذا  
به من سليمان لأن اسمه كان عليه . أما نص الكتاب فهو الجمل الثلاث :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم (٢) ألا تنصروا على ( ومعناه لا  
تسكروا ولا تتعاضدوا على الإجابة ) (٣) وأتوني مسلمين ، بيان الغرض  
من الكتاب ، ومعناه منقادين لله طائعين .

لم ترد الملكة أن تسبذ بالاجابة فجمعت رجال دولتها وأهل مشورتها  
من الأقيال وغيرهم وأعلمتهم بكتاب سليمان . ومن هذا نعلم أن مبدأ الشورى  
في الحكم مبدأ قديم قد اهتدى اليه العرب في عصرهم الأول وعملوا به في  
القرون القديمة لأن فائدته واضحه وثمرته جلية . ولذلك جلت الشريعة  
الاسلامية باعتباره أصلا من أصولها في سياسة الدولة ، وقاعدة من قواعدها  
في المصالح العامة ، فأمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يستشير أصحابه  
في الأمر الذي يعرض له ولهم كالحرب والسلام وعقد المعاهدات وما إلى ذلك  
قال تعالى : « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » ثم قال بعد  
ذلك : « فاذا عزمتم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » ( سورة  
آل عمران ) أي بعد أن تعد العدة للأمر وتبحثه من جميع نواحيه وضمنت

بعد ذلك على الامضاء فلا يحولن بينك وبينه تثبيط أو تشكيك لأن التردد لا يليق بأصحاب العزائم الصادقة والارادة القوية ، وكذلك التسرع والشروع في عمل قبل استيفاء بحثه واستكمال ما يلزمه من معدات وقد كان ذلك شأن النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فيما يعرض له من حوادث وما يقع له من مشاكل .

وقد جعل الله تعالى الأمر بالشورى صفة من صفات المؤمنين وخلقا من أخلاقهم كصلاتهم وصومهم إذ يقول ﴿ فَمَا أَوْقِنْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ بَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ . وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ سورة الشورى .

لما علم الملائكة بكتاب سليمان أخذتهم العزة وثار فيهم الحامسة وقالوا لها : ﴿ نحن أولو قوة وأولو بأس شديد . والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين ﴾ كانت الملكة عاقلة فنظرت في الأمر بعين الفطنة ولم تقتر بما أبداه رجالها من الحامسة وقالت لهم إن دخول الملوك إلى المدن ليس من الهبات الهينات وأثره ليس بالسهل على أهلها ، فانهم إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . وعرضت عليهم رأيا آخر وذلك أن ترسل إلى سليمان هدية تصانعه وتستنزل مودته بسببها ثم تنظر ماذا يرجع به رسلها . فان كان سليمان



ملكاً مؤيداً من الله تعالى رد الهدية ، وإن كان من ملوك الدنيا ولا هم له  
إلا المال قبلها . وهناك تعيين قوته المعنوية ، ومقدار ما عنده من عزم وحزم  
ثم يكون لها شأن آخر بعد ما تقف على حقيقة أمره ، وما عنده  
من رجال وعتاد .

فلما جاءت رسلاها الى سليمان بالهدية لم يقبلها وأظهر أنه ليس في حاجة  
الى أموالهم وأنه في حالة حسنة وأنفساح ثروة أحسن مما فيه الملكة وقومها  
وتوعدهم وملكتهم بأن يرسل الى بلادهم بجنود لا قبل لهم بها وأن عاقبة ذلك  
إخراجهم أذلة صاغرين .

لما رجعت الرسل الى الملكة وعلت عظمة سليمان وقوة سلطانه أشفقت  
على قومها ، وأجمعت الذهاب إليه في رجال دولتها ، وجاءت الى أورشليم  
بهدية عظيمة .

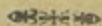
لما علم سليمان باعتراف ملكة سبأ على زيارته في عاصمة ملكه شيد لها  
صرحاً عظيماً ، ومرد أرضه بالزجاج . وهذا شيء لا عهد لأهل اليمن بمثله .

ولما قربت من ديار سليمان أراد أن يظهر لها من دلائل عظمته ونعم الله  
تعالى عليه ما يبهرها ، وأن ترى بعينها ما لم ترها الأحلام بفعل عجيبة ظاهرة  
وهي أن يأتيها بعرشها الجميل ليكون جلوسها عليه في ذلك الصرح ، فسأل  
جنوده عن قوى أمين يأتيه بذلك العرش ، فانتدب له عفريت من الجن وقال  
له أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك هذا وإني عليه لقوى أمين على ما فيه  
من الجواهر والحلى . وقال شخص من الانس أو الجن عنده علم من الكتاب  
أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، وكان الأمر كما قال فجاء به ووضع

في الصرح الذي هيء لاستقبالها . فلما جاءت ورأت العرش قيل : أهكذا  
عرشك ؟ قالت كأنه هو ، ولما أزدت دخول الصرح والوصول الى العرش  
ظنت الزجاج ماء فكشفت عن ساقها لثلاثين ثيابها بالماء ، وأخبرت بأن  
ماظنته ماء إنما هو زجاج فقالت : ﴿ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ  
سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

### كيف أحضر عرش بلقيس ؟

سخر الله تعالى لسليمان الريح والجن كل أولئك لهم من قوة الاحتمال  
والسرعة الشيء الكثير ، إلا أن العلم وما يدخره من قوة كان له قصب السبق  
واليد الطولى في انتقال العرش في لحظة يسيرة ربما ينكشف لنا في القريب  
عن طريق الكهرباء أو غيره ما يستطيع به الانسان أن يعرف كنه هذه  
السرعة ، ويتعرف حقيقة هذه الظاهرة مادامت خاصة بالعلم والذي أعلننا  
بسمته تسخير الريح لسليمان وسخرها لعلماء هذا العصر فأصبحت في متناول  
أهل الفن والعلم ، فكذلك ليس ببعيد أن نعرف هذه الظاهرة أيضا .



حدثني سعادة فؤاد باشا سليم - وكان في الحرب الماضية سفيرا لتركيا  
في برن عاصمة سويسرا - وكان مرشحا لأن يكون وزيرا مفوضا في النمسا  
لمصر قال : انه سمع من الأستاذ المرحوم الشيخ حسن الطويل وكان عالما  
ورعا ومدرسا في دارالعلوم يحدث والده لطيف باشا سليم أنه كان ذات يوم

واقفا في ميدان باب الخلق قبيل المغرب وإذا بأحد أصحابه من طلاب الأزهر  
الفقراء يعرض عليه إذا كان يرغب في صلاة المغرب في مسجد السيد البدوي  
بطنطا، فاستغرب من ذلك وما هي إلا لحظة حتى رأى نفسه في المسجد، وبعد  
ذلك عرض عليه الرجوع وأن يصلي العشاء في المسجد الحسيني بمصر فرفض  
وأصر على أن يبقى في طنطا وهو لا يصدق ما رأى، وظن أنه ربما يكون  
ما صنع صاحبه سحر ساحر، إلا أنه بعد صلاة العشاء ذهب الى بعض أهله  
في طنطا وبات عندهم ورجع في الصباح الى مصر عن طريق السكة الحديد.  
وبذلك تحقق من صدق عمل صاحبه.

إن هذا الكون مملوء بالثواميس والأسرار العجيبة وما علمناه منها قليل  
بالنسبة لما لا فعله. ومفتاح ذلك العلم والبحث عن سر حقايقه، ويجب أن  
يكون ذلك موضع الدرس والتفكير.

والله الهادي الى طريق السداد.

# آيات العلم

في ملك سليمان عليه السلام

\*\*\*

- ٣ -

« السحر » :

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَاهُمْ ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ . وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ . وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة .

هذا إخبار من الله تعالى عن الطائفة الذين نبدوا الكتاب بأنهم اتبعوا  
السحر أيضا وهم اليهود . وقال السدي : عارضت اليهود محمدا صلى الله عليه  
وسلم بالتوراة ، فاتفقت التوراه والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب  
آصف وسحر هاروت وماروت . وقال محمد بن اسحاق : لما ذكر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم سليمان في المرسلين قال بعض أحبارهم : يزعم محمد أن  
ابن داود كان نبيا والله ما كان إلا ساحرا فأنزل الله عز وجل : « وما كفر  
سليمان ولكن الشياطين كفروا ، أى ألفت الى بى آدم أن ما فعله سليمان من  
ركوب البحر واستسخر الطير والشياطين كان سحرا . ( الجامع لأحكام  
القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي الجزء الثاني ص ٤١ ) .

جاء ذكر السحر في مواضع متعددة في القرآن ، وأكثره في قصة موسى  
و فرعون . وذكر هنا في الكلام عن اليهود . وإذا أردنا فهمه من عرف اللغة  
وجدنا أن السحر عند العرب كل ما لطف مأخذه ودق وخفي ، وقالوا : عين  
ساحرة وعيون سواحر . وفي الحديث الصحيح : « إن من البيان لسحرا ،  
والسحر بالفتح وبالتحريك الرثة وهى أصل هذه المسادة والرثة فى الباطن ، فما  
لطف مأخذه ودق صنعه حتى لا يهتدى إليه غير أهله فهو باطن خفي ، ومنه  
الخداع وهو أن يظهر لك شيئا غير الواقع فى نفس الأمر . فالواقع باطن  
خفي . وتأثير العيون فى عشاق الحسان ، والكلام البليغ فى عشاق البيان مما  
يخفى مسلكه ويدق سببه حتى يعسر على أكثر الناس الوقوف على العلة  
فى تأثيره .

وقد وصف الله تعالى السحر فى القرآن بأنه تخيل يندع الأعين فبيريها  
ما ليس بكائن كائنا فقال « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » والكلام

في حبال السحرة وعصيمهم . وفي آية أخرى : « فسحروا أعين الناس واسترهبوهم » وفي عنده الآية التي نفسرها أن السحر كان يؤخذ بالتعليم ، والتاريخ يشهد بهذا . وقد كان المصريون يطلقون لقب الساحر على العالم كما يؤخذ من قوله تعالى ﴿ وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك ﴾ .

ومجموع هذه النصوص يدل على أن السحر إما حيلة وشعوذة وإما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ويجهلها الأكثرين فيسمون العمل بها سحراً لحفاء سببه ، ولطف مأخذه . ويمكن أن يعد منه تأثير النفس الانسانية في نفس أخرى لمثل هذه العلة ، وقد قال المؤرخون إن سحرة فرعون قد استعانوا بالزئبق على إظهار الحبال والعصى بصور الحيات والثعابين ، وتخيل أنها تسعى . ( تفسير المنار للأستاذ الشيخ رشيد الجزء الأول ص ٣٩٩ ) .

وقال ابن خلدون في مقدمته : السحر هو علم بكيفية الاستعدادات تقتدر النفوس البشرية به على التأثيرات في عالم العناصر إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية . والأول هو السر . والثاني هو الطلسمات . . .  
والنفوس الساحرة على مراتب ثلاث يأتي شرحها :

فأولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين ، وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر .

الثاني : بمعين من مزاج الأفلاك والعناصر أو خواص الأعداد ويسمونه الطلسمات وهو أضعف رتبة من الأول .

الثالث : تأثير القوى المتخيلة صاحب هذا التأثير الى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقى فيها أنواعاً من الخيالات والمحاكاة .

وصورا مما يقصده من ذلك ثم ينزلها الى الحس من الرايين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراون كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك . كما يحكى عن بعضهم أنه يرى البساتين والأنهار والقصور . وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هذا عند الفلاسفة بالشعوذة أو الشعبة .

هذا تفصيل مراتبه ثم هذه الخاصة تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وإنما تخرج الى الفعل بالرياضة .

ورياضة السحر كلها تكون بالتوجه الى الأفلاك والكواكب . والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة سجود لغير الله . والوجهة الى غير الله كفر فلهذا كان الكفر من مواده وأسبابه كما رأيت .

ولهذا اختلف الفقهاء في قتل الساحر هل هو لكفره السابق على فعله أو لتصرفه بالافساد وما ينشأ عنه من الفساد في الأكوان والكل حاصل منه . ولما كانت المرتبتان الأوليان من السحر لهما حقيقة في الخارج والمرتبة الثالثة لا حقيقة لها . اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة أو إنما هو تخيل . فالقائلون بأن له حقيقة نظروا الى المرتبتين الأوليين . والقائلون بأن لا حقيقة له نظروا الى المرتبة الثالثة الأخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الأمر بل إنما جاء من قبل اشتباه هذه المراتب والله أعلم .

اعلم أن وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن الكريم أن هاروت وماروت كانا رجلين تظاهرا بالصلاح والاستقامة في بابل العراق أو بابل أخرى على خلاف في ذلك فلما استرعيا أبصار أهل ذلك الجليل وتمسك حبهما والثقة بهما من قلوبهم

جعلنا يعلمانهم السحر والكهانة . ولاستبقاه ما أحرزاه بينهم من المنزلة كانا  
كلنا علمهم شيئا من ذلك شفعاها بقولهم ﴿ إنما نحن فتنةٌ فلا تكفروا فيتعلمون  
منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ يقصدان بذلك ألا يخالجان أحدا من  
مستمعي وساوسهما وتخريصاتهما شيء من الريب فيهما واستدراارا لما كانا  
يقننسان بأحاييل تلك التوهيات والأكاذيب من أموالهم ، فكان الناس  
يعتقدون أنهما ينزل عليهما السحر بوحى من الله وإلهام . وأمثال هاروت  
وماروت موجودون مشاهدون في كل مكان وزمان . أما تسمية الصالحين  
أو المتظاهرين بالاستقامة ملائكة فان ذلك من عادة أهل الكتاب منذ القدم  
فعبير القرآن بذلك محاكاة لهم ولطالما سمعنا المسيحيين كلما أرادوا الاغراق  
في مدح أحد بالاستقامة والصلاح قالوا إنه « ملك » بفتح الميم أى ملك فقول  
القرآن ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل ﴾ معناه أن اليهود كانوا يتبعون  
ما يقولون أنه أنزل على الرجلين الصالحين اللذين كانا ببابل يعلمان الناس السحر  
ويقولان للناس لا تكفروا بما تعلمون من ضروب السحر فانما نحن فتنة  
فقط ، فكانوا يتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه من الرقى  
وصنوف السحر .

وإنما كفر القرآن الكريم شياطين الانس الذين يعلمون الناس السحر لأن  
ذلك السحر يقتضى رياضات مخصوصة ، ومناجاة لصنوف الجن أو نفوس  
الأفلاك والكواكب وابتهالات لبعض الأرواح الخيرة أو الشريرة . ولاجرم  
أن جميع ذلك من عبادة غير الله تعالى والشرك به ، ولذلك كفر هؤلاء بما



يأتون من ضروب الكفر والشرك . (تفسير أسرار القرآن لواعظه المرحوم  
عبد العزيز جاويز الجزء الأول ص ٣٠٠) .

السحر هو علم له قواعده وأصوله . وقد كشف عن بعض أسبابه التنويم  
المغناطيسي حينما يتأثر المنوم بتشديد الواو المفتوحة بواسطة المنوم بتشديد  
الواو المكسورة ويصبح في قبضة يده يأتمر بأوامره ويتأثر بما يقول .

ولقد أصبح التنويم المغناطيسي فرعاً من علم النفس يدرس في بعض  
الجامعات ، وقد حضرته على الاستاذ كلاريد في جامعة جنيف بسويسرا  
في خلال الحرب الماضية ، وقد عمل عدة تجارب على أشخاص كان ينومهم  
ويأتمرون بأمره فإذا أطعمهم الموز وقال لهم هو حنظل يلفظونه ويطعمهم  
الطاطم باسم التفاح فيستلذون طعامها ويسمى أحدهم باسم غير اسمه فيصدق  
ويتسمى به .

ودرجات المنوم ثلاث :

أولاً — أن يفقد الإحساس ويلبث شاخص العين ويتلقى أوامر المنوم  
وتلوح عليه الأمارات الدالة على قبوله لكل ما يريد المنوم بالكسر . وفي هذه  
الحالة لو أدخل رجل المنوم بالفتح في ماء تغلى أو قرص جسمه لم يحس .

ثانياً — أن يفقد الإحساس تماماً ، ويغلق عينيه كالحالة الأولى . ولكن  
تمتاز هذه بأنه يسمع ويبصر ويتكلم ويجيب بمعزل عن الحواس . ويكتب  
ويقراً كما يأمره المنوم .

ثالثاً — أن يحصل انحطاط روحي بأقصى درجاته وإذن يعرف النائم  
نفسه معرفة تامة ، ويصف علل جسمه والعلاجات الملائمة ويشاهد أفعال

الناس ، ويسمع كلامهم من بعد سحيق . وينبئ عن حوادث مستقبله ويتكلم بلغات شتى .

ولانزال النفس البشرية في عالم المجهول أكثر منها في عالم الظهور ، ويجب أن تكون موضع الدرس والبحث ، وعالم الروح له من القوانين والأحكام ما يشبه عالم المادة . وإذا كان القوى يتسلط أحيانا على الضعيف فيسلبه حقه ويسخره لغرضه ، فكذلك النفس أو الروح القوية تسيطر على النفس أو الروح الضعيفة فتؤذيها بوسائل شتى .

وقد نبه القرآن الكريم على أن أمثال هؤلاء الناس ممن يشتغلون بالسحر لا يصل ضررهم إلى الغير إلا باذن الله ، أى أنهم ليس لهم قوة غيبية وراء الأسباب التي ربط الله بها المسببات ، فهم يفعلون بها ما يوهمون الناس أنه فوق استعداد البشر وفوق ما منحوا من القوى والقدرة ، فإذا اتفق أن أصيب أحد بضرر من أعمالهم فائما ذلك باذن الله ، أى بسبب من الأسباب التي جرت العادة بأن تحصل المسببات من ضرر ونفع عند حصولها باذن الله تعالى .

وصف القرآن الذين يشتغلون بالسحر بقوله : ﴿ وَيَتَعَلَّلُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ يضرهم لأنه سبب في الاضرار بالناس وهو محرم يعاقب الله تعالى عليه في الآخرة ومن عرف بايذاء الناس يمتقته الناس ويكونون عليه . وقد صدق الله تعالى ، فاننا نرى متحلي السحر وما في معناه أفقر الناس وأحقهم . ولو عقل السفهاء الذين يتخلفون إليهم يلتمسون المنافع لأنفسهم والايقاع بأعدائهم لعلوا أن الشقي في نفسه لا يمكن أن يهب السعادة لغيره

لأن فاقد الشيء لا يعطيه . هذه حالهم في الدنيا فكيف يكونون في الآخرة  
يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون<sup>(١)</sup>

إن كل أمة فشا فيها السحر ، سواء كان ذلك لجلب نفع أو دفع أذى  
أو الاضرار بالغير فذلك دليل على انحطاطها وفساد خلقها فالغنى لا يأتي على  
طريق تسخير الجان وتلاوة العزائم لفتح الكسوز وفك الطلاسم فثل هؤلاء  
كأمثال من يريد أن يتعيش من وراء استخدام بعض السفهاء من الأشرار  
ليأخذوا أموال بعض الناس من الضعفاء والمساكين بالباطل وهم المعروفون  
والباطنية ، وهم أخط الطبقات وأحقر الخلق . والثراء والغنى وقد عرفت  
أسبابه فهو لا يأتي إلا عن طريق العمل المنتج في التجارة والصناعة أو الزراعة  
وغيرها والعلوم الاقتصادية والمالية أوضحت الطريق لمن يريد أن يسلكه .  
كذلك أخذ الحق أو تحقيق الرغبة عن طريق السحر والاضرار بالغير عدة  
الجان الحقير الذي يريد أن يمشى في الظلام ليصل الى ما يريد . وأن النفس  
العالية صاحبة الكرامة تأتي أن تحقق رغباتها في مثل هذا الطريق وإنما لا يبد  
أن تسير في وضوح النهار وسيلتها الأسباب المشروعة ، وتقوى الله تعالى ،  
(أى اتباع أوامره والبعد عن نواهيها) هي اس السعادة في الدارين .  
( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ . وَمَنْ يَتَوَكَّلْ  
عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ )

(١) تفسير القرآن الحكيم الجزء الأول ص ٤٠٥ للسيد رشيد رضا  
- أسرار القرآن الجزء الأول ص ٣٠٠ للاستاذ عبد العزيز جاويز - الجواهر  
في تفسير القرآن الكريم الاستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى الجزء الأول ص ١٠٤

# آيات العلم

في ملك سليمان عليه السلام

—

- ٤ -

« القضاء » :

قال تعالى : ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شامدين . ففهمناهما سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ .  
سورة الأنبياء .

قال أكثر المفسرين دخل رجلان على داود عليه السلام ، أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم . فقال صاحب الحرث : إن غنم هذا دخلت حرثي وما أبقنت منه شيئا . فقال داود عليه السلام : اذهب فان الغنم لك ، فخرجا فمرا على سليمان . فقال كيف قضى بينكما ؟ فأخبراه فقال : لو كنت أنا القاضي لقضيت بغير هذا . فأخبر بذلك داود عليه السلام فدعاه وقال : كيف كنت تقضى بينهما ؟ فقال : أدفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له منافعتها من الدر والنسل والوبر حتى إذا كان الحرث من العمام المستقبل كهيئته يوم أكل دفعت الغنم الى أهلها وقبض صاحب الحرث حرثه .

قال ابن مسعود وشريح ومقاتل رحمهم الله : إن راعيا نزل ذات

ليسلة بجنب كرم فدخلت الأغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم . فذهب صاحب الكرم من الغد الى داود عليه السلام فقضى له بالغنم لأنه لم يكن بين ثمن الكرم و ثمن الغنم تفاوت . فخرجوا ومروا بسليمان فقال لهما : كيف قضى بينكما ؟ فأخبراه فقال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر داود عليه السلام بذلك فدعا سليمان وقال : بحق الأبوة والبنوة إلا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين فقال : تسلم الغنم الى صاحب الكرم حتى يرتفق بمنافعها ، ويعمل الراعى في إصلاح الكرم حتى يصير كما كان ، ثم ترد الغنم الى صاحبها . فقال داود : إنما القضاء ما قضيت . وحكم بذلك .

والمسألة اجتهادية ، ووجه الاجتهاد ما ذكره ابن عباس رضى الله عنه من أن داود عليه السلام قوم الضرر بالكرم فكان مساويا لقيمة الغنم فكان عنده أن الواجب في ذلك الضرر أن يزال بمثله من النفع فلا جرم سلم الغنم الى المجنى عليه كما قال أبو حنيفة رحمه الله في العبد إذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه . وأما سليمان عليه السلام فإن اجتهاده أدى الى أنه يجب مقابلة الأصول بالأصول والزوائد بالزوائد فأما مقابلة الأصول بالزوائد فغير جائزة لأنه يقتضى الخيف والجور ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمنافع الكرم فحكم به كما قال الشافعى رضى الله عنه فيمن غضب عبداً فأبى من يده أنه يضمن القيمة لينتفع بها المغصوب منه بإزاء ما فوته الناصب من منافع العبد ، فإذا ظهر ترادفاً (١)

إن الله أعطى كلا من داود وسليمان عليهما السلام مقدرة على الحكم بين

الناس وعلما يرشده الى طريق الحكم غير أن الذى أوتى قوة الحكم قد يخطئ .  
وجه الصواب لأنه ليس هناك وحى والمسألة اجتهادية . وقد يكون الحادث  
له وجوه مختلفة من جهة قياسه بأشباهه ونظائره فيختلط الأمر على المجتهد  
فيخطئ . الصواب ، وهو مأجور على كلا الحالين . إن أخطأ فهو مأجور على  
اجتهاده ، وإن أصاب فهو مأجور على اجتهاده وتوفيقه .

وعن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :  
« إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران . فإذا حكم واجتهد ثم أخطأ  
فله أجر » رواه البخارى ومسلم .

وقوله تعالى : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ لم يكن لتقص فى داود وعدم  
استعداد للحكم والقضاء غير أنه قد تفاوت القضاء والحكام مع استعداد  
الحكم للقضاء كما كانت تفاوت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد  
عن بعض الصحابة أنه قال : « أفضانا على وأقر أنا أبى » مع أنه كان فى الصحابة  
قضاة كثيرون وقراء . ولكن استعداد على للقضاء كان فوق كل استعداد  
غيره . وأتقان أبى للقراءة فوق اتقان كثير من الصحابة رضوان الله  
عليهم أجمعين .

فلما كان قوله تعالى ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ قد بسى . السامع فهمه ، ويخطئ  
فيه وجه الصواب عقبه بقوله ﴿ وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ .

والآية ترينا فقه نبي الله سليمان فى القضاء ، وكال استعداده للحكم . وقد  
أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول : « كانت امرأتان معهما ابناهما ، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما .

فقال صاحبها : إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك .  
فمحا كتماننا إلى داود فقضى به للكبرى . فخرجنا على سليمان بن داود عليهما السلام  
فأخبرناه . فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما . فقالت الصغرى : لا تفعل  
يرحمك الله . هو ابنها . فقضى به للصغرى .

وذلك من فقه سليمان عليه السلام وكال استعداده للقضاء ، حكم أبوه  
داود للكبرى بناء على قرينة من القرائن أو لأن الولد كان تحت يد الكبرى  
والصغرى لم تستطع أن تقيم بيته على أنه ابنها ، أما سليمان فعمد إلى أسلوب  
عجيب اكتشف به وجه الصواب في ذلك الحادث فأرى المرأتين أنه مستعد  
لأن يشقه نصفين ويعطى كل واحدة نصفاً ، وهنا تجلت العاطفة وظهرت  
شفقة الأم جليلة واضحة . لأن الأم لا ترضى أن يقتل ابنها على مرأى منها  
وتؤثر أن يعيش بعيداً عنها وتحت سلطان غيرها في سبيل حفظ حياته .

فلما أفتى بذلك وأراه أنه منفذ ذلك لا محالة لفض النزاع بين المرأتين ،  
قالت الصغرى ( لا تفعل يرحمك الله ، ولا نزاع بيننا ، هو ابنها ) فعرف  
سليمان أن هذه أمه فقضى به للصغرى . وذلك من إعمال سليمان للقرائن  
وتحكيمة للشواهد . وهي مما يتبين به وجه الصواب في المسائل ، فهي بيته لأن  
البيته ما يتبين به وجه الصواب ويظهر به الحق . وقد أطال الحافظ ابن القيم  
في ذلك الباب في كتاب ( الطرق الحكمية ) وفي كتاب ( اعلام الموقعين )  
ويرى ابن القيم أن العمل بالقرائن هو شأن الناس في كل زمان .

وقد استدل بفتوى داود في مسألة الولد التي رواها الشيخان . وقال : إن  
ذلك لم يكن قضاء بشهود ، وإنما هو قضاء بنى على قرينة هي شفقة الأم  
التي جبلت عليها ، كما استدل بقول الشاهد في قضية امرأة العزيز مع يوسف

﴿ إِنْ كَانَ قَيْصُهُ قُدًّا مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَيْصُهُ قُدًّا

مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى قَيْصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ

كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ وهو تحكيم للقرائن ، وعمل بمقتضى المنطق والعقل . كما استدلل بحوادث أخر ، وأفاض فى المسألة واستوفى الكلام على معنى البينة واشتقاقها ، واستعمال القرآن الكريم لها .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا

عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة النمل . يخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه

أعطى داود وولده سليمان علما وهو علم القضاء بين الناس كما قال فى آية الأنبياء

﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ ففهم من قرنه العلم بالحكم أنه علم متعلق به ، فالحكم

الذى آتاه الله إياهما حكم أساسه العلم . فالله تعالى يمتن عليهما بأن آتاهما

مقدرة على الحكم بين الناس ، وأن هذه المقدرة أساسها العلم بوجوه الحكم

وطرق القضاء وان تفاوتا فيه . وكذلك آتاهما علما بسياسة الدولة ، وتدبير

شئونها كما علم سليمان منطق الطير .

وفى الآية تنويه بشأن العلم وعلو منزلته ، لاسيما علم القضاء والسياسة ،

إذ لا تستوى أمة عالة وأمة جاهلة وكذلك لا تستوى دولة فيها رجال قضاء

وسياسة ودولة أفقرت من العلم ، والرجال العلماء المجرىين ، وقد أصبح القضاء

بين الناس ، وكذلك السياسة فنونا تدرس وتعلم ، وتطور العالم هو الذى

قضى بذلك .



ولعل المسلمين يهتمون بالعلم ، ويعنون به عنايتهم بأهم أمورهم ومصالحهم حتى لا يسبقهم الأجني في هذه العلوم ، وحتى لا يقفوا والقافلة تسير ، ولا يجمدوا الفلك يتحرك ويدور .

ولعل المسلمين يفهمون أن نبي الله داود وولده سليمان لم يكونا ملكا إلا على أساس العلم وقاعدة المعرفة فإذا أرادوا أن يكونوا في عداد الأمم الناهضة والشعوب الحية فليتموا بالعلم من جميع نواحيه ، فإن الأجني قد سلط عليهم لأنه علم وجهلوا ، وتقدم وتأخروا ، ونشط وناموا .

وعلم القضاء من أجل العلوم خطرا ، وأعظمها شأنا ، به يقوم ميزان العدل وعليه توطد الطمأنينة بين النفوس وينشر لواء السلام بين الناس . والإنصاف ميزة للنفوس الطيبة ، تعرف ما عليها فتؤديه طائفة مختارة ، وتعرف ما لها فتطلبه بالحسنى . وقد قيل لو انصف الناس استراح القاضي ، وبات كل عن أخيه راضى .

علم القضاء ليس من العلوم الهينة ، فيكفي فيها أن يعرف الانسان القواعد الفقهية والقوانين المدنية والتجارية والدولية وغيرها مما تحتاجه الأمة لتسير دفة معاملاتها في داخل حدودها وخارجها ، بل يجب أن يروض القائمون بتنفيذ القانون من قضاة ومحامين ونواب ( أعضاء النيابة ) ، ورجال الشرطة من ضباط ومأمورين أنفسهم أن يتعرفوا البيئات الاجتماعية المختلفة من أخلاق وعوائد ومؤثرات اقتصادية ومالية كفقير البيئات وغناها ، وجدبها وخصبها ، وجهلها وعلمها وصلاح نفوس الأفراد وفسادها ، وقلة وجود المرأة وكثرتها . وما الى ذلك من العوامل الكثيرة التي تنشأ عنها الخصومة ، والتي يجب أن يصدر الحكم فيها متفقا مع العدل ومع المصلحة العامة . فيكون القانون

كالدواء الناجع ، والقاضى وتوابعه كالطبيب الحاذق الذى يعطى الدواء ليجبره به على العلة ، وبذلك تتوطد دعائم السلام ويصبح كل فرد من أفراد الأمة يشعر أن فى البلاد قانوناً رادعاً ، وقضاء عادلاً ، فيعمل مطمئناً هادئاً .

علم القضاء إذا سلمت قواعده وعوفيت نفوس رجاله من مرض الهوى ، وقويت عزائمهم بأن يكون الحق هدفهم وقصدهم لا يبالون فى ذلك لومة لائم . كانوا أئمه عدل ، ورسول صدق ، وهداة حق ، وفى الذروة من رفعة الشأن وتلو المنزلة ، لأنهم مهدوا الطريق لمواطنيهم وأبناء جنسهم ، على أن يعمل كل فرد لسعادة نفسه وبلاده وهو مطمئن على حياته وماله . وبهذا ينمو نشاط الأفراد فى جميع نواحي الحياة الاقتصادية والمالية ، والزراعية والتجارية ، والعلمية والفنية . فعلم القضاء هو العمود الفقرى الذى إذا صلح وقوى صلح وقوى به جسم الأمة . وإذا ضعف وفسد ، ضعفت وفسدت به الأمة . قال تعالى : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ سورة ص ويجب على كل أمة رشيدة أن تختار قضاتها من العلماء الاخيار ، والمجربين الابرار ، وتمنحهم من الحصانة ، اكفّل لهم القيام بواجبهم نحو احقاق الحق بدون خوف حاكم أو سلطان ، فان تقلل القضاء هو شرط أساسى لاقامة العدل بين الناس قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ سورة النساء .

وان في قصة نبي الله سليمان عليه السلام دعوة صادقة لبناء الملك وعظمته القائم على العلم والعدل والقوة والرحمة . وأنه لا سلطان إلا بهذا . وقد كان لدعوة القرآن الأثر الطيب في نفوس المسلمين فأشرب الاسلام نفوسهم بهذه الحصال الحميدة . وبشدة تمسكهم بالأخلاق الكريمة دانت لهم الأرض وفتحوا من البلاد في ثمانين سنة ما لم يفتحه اليونان والرومان في ثمانمائة سنة . وأوجدوا من الإصلاحات ومبادئ العلوم ونشرها ما كان له الأثر الطيب الذي يحفظه لهم التاريخ بالاجلال والاكبار .

والاسلام يمتاز بأخلاق أربع :

( ١ ) العلم .

( ٢ ) العدل .

( ٣ ) القسوة .

( ٤ ) الرحمة .

وبهذا دانت له البلاد وخضعت له العباد .

ذكر الكاتب الانكليزي ستانلي بول في كتابه قصة العرب في إسبانيا عن أعمال الخليفة عبد الرحمن الناصر ما يأتي :

« نعم إن عبد الرحمن أنقذ الأندلس من نفسها ومن أعدائها . ولم يكتف بانقاذها من الدمار بل خلق منها دولة عزيزة الجاذب ولم تكن قرطبة في عهد من عهودها أغنى ولا أكثر ازدهاراً مما كانت عليه في عهد الناصر ولم تكن الأندلس قبل أيامه في تلك الحال من الخصب والامراع والانتاج وتوالي الخيرات التي نماها ووصل بها الى السكال كد أهلها ومهارتهم الصناعية ولم تكن الحكم الأندلسي في يوم من أيامه أهدر انتصاراً على الفوضى ولم تكن

قوة القانون أكثر نفوذا الى القلوب وأعظم هيبه مثلما كانت في أيام  
عبد الرحمن . فقد تسابق الى أبوابه الرسل من فرنسا وألمانيا وإيطاليا  
ليقدموا إليه تحية الاجلال والتمجيد ، وكانت قوته وحكمته وثروته مملكته  
مضرب المثل في أوروبا وإفريقية ، وبلغت شهرته أقصى حدود المملكة  
الاسلامية بآسيا ، وكان مصدر كل هذا الانقلاب العجيب رجلا واحدا عانده  
كل شيء فقهره ووقف في طريقه كل شيء مخطمه بعث الأندلس من حضيض  
البؤس الى قمة القوة والازدهار ولم تصل البلاد الى كل هذا إلا بذكاء الخليفة  
عبد الرحمن الناصر وصدق عزمته .

ويلون مؤرخو العرب صورة هذا الرجل الهمام (عبد الرحمن الناصر)  
بالوان لا تكاد تتفق مع ما كان له من سياسة عنيفة مسيطرة . على أنهم كانوا  
أمناء في وصفه ، بأنه كان أرحم من حكم مملكة في الأرض وأكثر الملوك  
علما وبأن أحاديث حله وكرمه وعدله سارت في الناس مثلا شروداً وبأنه لم  
يفقه أحد ممن سبقوه في الشجاعة والغيرة على الدين وبأنه كان محبا للعلم مكرما  
لأهله معاشرهم (١) .

« ولم يعرف الأسبان عند ما تفوا العرب ماذا كانوا يفعلون حقا . لقد  
خربوا بيوتهم بأيديهم فانهم ابتهجوا أول الأمر بتفهمهم وشمثوا فيهم وشفث  
غليلهم المناظر المؤثرة لهؤلاء العرب وهم يطردون من فردوسهم .  
ولكن الأسبان لم يدركوا أنهم قتلوا الأوزة التي تبيض بيضة من ذهب

(١) ستانلى بول : قصة العرب في اسبانيا ترجمة الأستاذ على بك الجارم .

في كل يوم فقد بقيت اسبانيا قرونا في حكم العرب وهي مركز المدنية ومنبع  
الفنون والعلوم ومثابة العلماء والطلاب ومصباح الهداية والنور  
ولم تصل أية مملكة في أوروبا الى ما يقرب منها في ثقافتها وحضارتها ولم  
يبلغ عصر فرديناند وايزابلا القصير المتلالي ولا امبراطورية شارل الخامس  
الأوج الذي بلغه المسلمون في الأندلس . وقد بقيت حضارة العرب الى حين  
بعد خروجهم من إسبانيا وضياء لامعة ولكن ضوءها كان يشبه ضوء القمر الذي  
يستعين نوره من الشمس ثم عقب ذلك كسوف بقيت بعده إسبانيا تتعثر  
في الظلام .

وإنا لنحس فضل العرب وعظم آثار مجدهم حين نرى بأسبانيا الأراضي  
المهجورة القاحلة التي كانت في أيام المسلمين جنات تجري من تحتها الأنهار  
تزدهر بما فيها من الكروم والزيتون وسنابل القمح الذهبية وحينما نذكر تلك  
البلاد التي كانت في عصور العرب تموج بالعلم والعلماء ، وحينما نشعر بالركود  
العام بعد الرفعة والازدهار<sup>(١)</sup> .

ولو نظرنا لما فعله المسلمون في الشرق ، لو وجدنا لهم الآثار العظيمة من  
الفتوحات العلمية وغيرها ، وأخذهم بأسباب الحضارة ، فبنوا الأساطيل ،  
وفتحوا البلاد ، ونشروا العلم والثقافة ، كما فعل المسلمون في الغرب .

(١) ص ٢٢٢ من الكتاب المذكور .

## أساطيل المسلمين وفتوحاتهم

اتخذ المسلمون الأساطيل ولم يمض على وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنون قليلة فتحوا بها مدنا هندية وجزائر كثيرة في البحر الأبيض المتوسط .  
أول ما شرع المسلمون في الغزو بحراً كان سنة ست عشرة هجرية . فقد أرسل والي عمان أسطولا لفتح الهند فاستولى على جزيرة طنناح القريبة من مدينة بمباي . وخرج من ناحية البحرين بجزيرة العرب أسطول آخر استولى في جزيرة كامي على مدينة بارودا . وخرج أسطول ثالث إلى مصاب نهر السند واستولى عليها .

وكان في الوقت نفسه يغزو عبد الله بن عامر سنة ثلاث وعشرين في خلافة عثمان بن عفان بلاد كرمان وسجستان في شمال الهند . ثم حدثت بين جيوش كرمان والسند وقائع انتهت بفوز قائده عبد الرحمن بن سمرة عليها فاستولى على إقليم داور ومدينة بست . وتغلب بعد ذلك المهلب بن أبي صفرة على ملك أفغانستان وألزمه دفع الجزية وكان ذلك سنة أربع وستين على عهد معاوية بن أبي سفيان . وأرسل الحجاج بن يوسف الثقفي سنة تسع وستين محمد بن القاسم بجيوش إلى شاطيء نهر السند واستولى على مدائن ديل وبيرون وبهمن آباد وألور واقرب من جبال حملايا القائمة في شمال البلاد الهندية ولم يمض بعد ذلك غير قليل حتى كان قتيبة بن مسلم الذي ولاه الحجاج ابن يوسف الثقفي فتح آسيا الوسطى قد دحر التركان واستولى على خوازم وما وراء نهر جيحون ومعظم المملكة التارية . وأحرق أصنام مدينة شرغانة ونخشب ويكند وبخارى وسمرقند ومدينة كاشغر وأقصو وخطوطان .

ولما انتهى إلى حدود الإمبراطورية الصينية أرسل إلى عاهلها وفدا مؤلفا من اثني عشر رجلا، وصالحهم على دفع الجزية وبعد ذلك توجه قتيبة بأسطوله على نهر السند إلى داخل البلاد الهندية، فلحق به جيش برى في أرض مكران وانتشر في سهول مدينة كشمير، فثارت عليه مدن على شواطئ نهر السند فتغلب عليها. وما زالت الجيوش الاسلامية تجوس خلال الديار الهندية حتى وصلت إلى نهر الكنج الذي يقده الهندوس ويحجون إليه في كل عام.

وإنما استطرنا من ذكر الأساطيل الاسلامية التي بدأت تمخر عباب البحر من سنة ست عشرة هجرية للفتح ونشر كلمة الله في العالم الى ذكر الفتح التي تمت في شمال الهند وفي داخلها ليرى القارىء صورة مصغرة لحركة التضافر بين جيوش المسلمين البرية وأساطيلهم البحرية لإدخال تلك الممالك الواسعة الأرجاء في حظيرة الامبراطورية الاسلامية التي لم يشهد تاريخ الممالك ما يقرب منها في الاتساع والعظمة الدولية.

وأغرب ما في هذا الأمر أن تتمكن دولة فتية كالدولة الاسلامية لا عهد لها بملك ولا حكومة من التبسط في فتوحاتها الى هذا الحد، وتستطيع أن تحتفظ بهذا الملك أجيالا، لا بوسائل الاكراه والاعتناء، ولكن بروح العدل والانصاف والمثل الأعلى في الاحسان والرحمة. فكان من أثر هذه السيرة الفضلى أن انتشرت في كل تلك البقاع اللغة العربية وآداب الاسلام، فلم يمض عليها سنون معدودة حتى أصبحت أمانع معاقل الاسلام، ومعشش حماته وأعلامه.

والله إن هذا من أعجب ما يتفق للانسان أن يقرأه في تاريخ البشر، وهو باجماله وتفصيله معجزة خالدة لمحمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.

وأول من أمر بالغزو في البحر الأبيض المتوسط معاوية بن أبي سفيان أيام كان واليا عليها ، فأمر باعداد اسطول في سنة سبع وعشرين هجرية ، ووجهه للفتح في البحر الأبيض المتوسط . فكان أول ما صادفه من جزره جزيرة قبرص ، فقاتل حاميتها ، وما زال بها حتى هزمها واستولى عليها فحرب عليها الجزية . وفي سنة تسع وعشرين استولى على جزيرة قريطش (أى كريد) وجزيرة كوس وجزيرة رودس . كل هذا وهو وال على الشام . فلما آلت إليه الخلافة بعد وفاة أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، أرسل أساطيله تترى سنة ست وثلاثين ، غارب الرومانيين الشرقيين الذين كانت قاعدة ملكهم القسطنطينية ، فأباد جزءا من أسطول امبراطورهم قسطنطين الثاني بعد حصره في خليج إيسالوق بسواحل إقليم ليسيا ( Lycia ) على سواحل الأناضول في سفح جبل فينكس ، ثم توجهت رغبته الى فتح القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية ، وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين ، فجهز لذلك أسطولا قويا ، فافتحم الدردنيل حتى وصل الى ساحل بحر مرمره ، فنزل جنوده غرب القسطنطينية ومكشوا يحاصرونها ست سنين . فاهتدى امبراطورها الى وسيلة أحرقت بها أساطيل المسلمين ، فاضطرت جنودها أن تعود الى الشام فسار يفتنى أثرهم جيش روماني حتى أمن منهم على العاصمة والأناضول . فأغرقت هذه الموقعة الامبراطور يوستينان الثاني على أن يستولى على الشام ، وكان ذلك سنة سبع وستين ، وكان ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان واتفق أنه كان مشتغلا بأمر الخلافات التي كان يثيرها مزاحموه ، فرأى أن يرد الرومانيين بالحسن ، فعاهدهم على ترك العداة . فلما استتب له الأمر رأى أن يسترد ما كان قد استولى عليه الرومانيون من الشام ، فقاتلهم واتص



عليهم ، ورد الى حظيرة الاسلام ما كان قد انفصل عنها من المدن والأقاليم .  
ولما كانت سنة ثلاث وسبعين أرسل عبد الملك بن مروان بأساطيله لفتح  
جزيرة صقلية ( سيديليا ) فاتصرت عدة مرات على المدافعين عنها .

ولما تولى سليمان بن عبد الملك أخذ يرسل الأساطيل لفتح القسطنطينية ،  
واقضى أثره عمر بن عبد العزيز ، فكان الرومانيون يمتثلون على إحراق تلك  
الأساطيل فتضطر الجيوش التي بها أن تعود برأ ، ولكنها في أثناء عودتها  
كانت تفتح مدنا وقلاعا ، فاستولوا على مدائن بسواحل بحر مرمرية ، وأثرت  
مسألة إحراق الأساطيل في نفوس المسلمين ، ورأوا أن يعاملوا خصومهم  
بالمثل . فسار مسلمة بن عبد الملك على رأس جيش مغيرا به على آسيا الصغرى ،  
فاستولى على مدن كثيرة منها ، وما زال يتابع سيره حتى وصلت جنوده الى  
أسكدار وهي قرية حيال القسطنطينية فأحرقوا سفن الرومانيين التي كانت  
بها وعادوا الى معسكرهم .

وكانت ثمرة اتخاذ المسلمين للأساطيل أن فتحوا بها جميع جزر البحر  
الايض ، ومدنا كثيرة من البلاد اليونانية وسواحل إيطاليا .

ثمرة هذه الفتوحات على المسلمين وعلى العالم كله : —

إن الامر المحسوس الذي استدل منه المؤرخون على أن تبسط المسلمين  
في الفتوحات لم يكن القصد منه اجتياح الامم وسلب مذخوراتها ، أنهم قد  
عنفوا عما في أيدي المقهورين ولم يتناولوا منهم سوى الجزية ، وأنهم اقتبسوا  
كل ما صادفوه من علم نافع ، وصناعة ذات فائدة عملية . فلو كان انسياحهم  
في الارض ملحوظا فيه استلاب ما بأيدي المقهورين من مال وعتاد ،

لسلكوا طريقة الفاتحين قبلهم ، فأحرقوا المدن بعد تجريدها من خيراتها  
وقتلوا أهلها أو شردوهم في البلاد ليهلكوهم على أسوأ حال .

قال العلامة ( دربير ) في كتابه ( المنازعة بين العلم والدين ) : « إن  
المسلمين ما كانوا يتقاضون من مقهورهم إلا شيئا ضئيلا من المال لا يقارن  
بما كانت تتقاضاه منهم حكوماتهم الوطنية . »

وقال العلامة ( سديو ) Sideillot المؤرخ الفرنسي الكبير في كتابه  
( خلاصة تاريخ العرب ) فيما يتعلق باقتباس المسلمين للعلوم ما مؤداه :

« من تأمل في تاريخ غارة العرب على الشام ومصر تحقق أنهم كانوا  
يأين إلى كسب العلوم وترقيتها . وقد تبين ذلك باقتباسهم لها واشتغالهم بها ،  
وايلافهم بمن سكن سواحل جزيرتهم من جاليات الامم التي لجأت هربا  
بدينها من الاضطهادات المذهبية وأشهرها جماعات النسطوريين النصرانية التي  
كانت على درجة عالية من العلم والمدنية . وهؤلاء كانوا قد أفادوا أهل الشام  
بعلمهم ومعارفهم ، ثم اضطروا تحت ضغط الاضطهاد إلى الهرب منها إلى  
السواحل العربية . »

« وقد تبين ولوع العرب بالعلوم أيضا من اقتباسهم أصول المعارف  
عند فتحهم لبلاد الفرس على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . »

« فلما تولى الخلافة أبو جعفر المنصور سنة ( ١٣٥ هـ ) أظهر ميلا عظيما  
للعلم الكونية فكان يستدعي العلماء من البلاد التي انضمت إلى الامبراطورية  
الاسلامية ، ويطلب إليهم ترجمة الكتب اليونانية ، ويغدق عليهم  
الاموال الطائلة . »

« وقد سار خلفاؤه مسيرته في نشر العلوم وترجمة كتبها عن اليونانية وغيرها ، وخاصة حفيديه المهدي وهرون الرشيد ، فقد أقبلوا على علماء النصرانية المنتشرين ببلاد من آسيا ، فاستقدموهم وأوعزوا إليهم بترجمة الكتب اليونانية والفارسية والسريانية الى العربية ، فاشتهر في عصرهما العالم الفلكي المسمى « ماشاء الله » فوضع الاسطرلاب ودائرته النحاسية ، وأحمد بن محمد النهاوندى الفارسى ، فكان أقدم علماء الارصاد في الدول الاسلامية ، وترجم حجازى بن يوسف كتاب إقليدس الى العربية فتقدمت في هذا العصر العلوم الفلكية والاميكانيكية ، وكفى بالساعة الدقاقة التي أهداه الرشيد الى ملك أوروبا شلمان شاهدا على تقدم الفنون في ذلك العصر .

« فلما جاء المأمون وهو يشبه باغسطوس لدى الرومانيين ، فأحاط نفسه بأعظم علماء الارض ، وجعل بينه وبين ملوك القسطنطينية روابط حسنة بقصد تمكينه من عيون الكتب اليونانية ، فأنفق أموالا طائلة على ترجمة مؤلفات علماء الاسكندرية في عهد البطالسة ، وترجمة غيرها مما كان مدخرا في المكتبات الأجنبية حتى ما كان منها في مدينة أئينا نفسها<sup>(١)</sup> .

---

(١) الاستاذ محمد فريد وجدى — مجلة الأزهر . المجلد السادس

# آيات العلم

لعيسى عليه السلام



قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ . قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ . إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ . وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْكَلِمَةَ وَالْإِبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَمُصَدِّقًا

لما بين يدي من التوراة والأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجسكم  
بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربي وربكم فاعبدوه  
هذا صراط مستقيم . سورة آل عمران .

( كلمة ) قال بعض المفسرين : لما كان عيسى عليه السلام سبياً لظهور  
كلام الله عز وجل بسبب كثرة بياناته وإزالة الشبهات والتحريفات عنه فلا  
يبعد أن يسمى بكلمة الله تعالى على هذا التأويل . والمسيح ، قال ابن عباس  
إنما سمي عليه السلام مسيحاً لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلا برىء من  
مرضه . ( وجيها ) قال الحسن كان وجيها في الدنيا بسبب النبوة وفي الآخرة  
بسبب علو المنزلة عند الله تعالى . ( المهد ) مضجع الصبي . ( الكهل ) من اجتمع  
قوته وكمل شبابه ، والمراد منه أنه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لآظهار طهارة  
أمه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحى . قالت رب أنى يكون لى ولد فقال لها الله  
كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فأنما يقول له كن فيكون . ثم قال  
( ونعله الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ) والمراد من الكتاب تعليمه  
الخط والكتابة ثم المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق لأن كال  
الانسان أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به وبمجموعهما هو المسمى  
بالحكمة . ثم بعد أن صار عالماً بالخط والكتابة محيطاً بالعلوم العقلية والشرعية  
يعلمه ( التوراة ) ، ولعل الحكمة في تأخير التوراة عن تعليم الخط والحكمة لأن  
التوراة كتاب إلهى وفيه أسرار عظيمة . والانسان ما لم يتعلم العلوم الكثيرة  
لا يمكنه أن يخوض في البحث عن أسرار الكتب الإلهية . ثم قال في المرتبة  
الرابعة ( والانجيل ) وإنما أخر ذكر الانجيل عن ذكر التوراة لأن من تعلم

الخط ثم تعلم علوم الحق ثم أحاط بأسرار الكتاب الذى أنزله الله تعالى على من قبله من الأنبياء فقد عظمت درجته فى العلم فاذا أنزل الله تعالى عليه بعد ذلك كتابا آخر وأوقفه على أسراره فذلك هو الغاية القصوى والمرتبة العليا فى العلم والفهم والإحاطة بالأسرار العقلية والشرعية والاطلاع على الحكم العلوية والسفلية . ثم قال تعالى ( ورسولا إلى بنى إسرائيل أتى قد جئتكم بآية من ربكم ) وتقدير الآية ونعوله الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ونبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل فيقول لهم إني قد جئتكم بآية من ربكم ، والمراد بالآية الجنس لا الفرد ، لأنه تعالى عدد أنواعا من الآيات وهى إحياء الموتى وإبراء الآكاه والأبرص والاختبار عن المغيبات . ثم قال : ( إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بأذن الله ) . ذهب أكثر أهل اللغة الى أن ( الآكاه ) هو الذى ولد أعمى وقال الخليل وغيره هو الذى عمى بعد أن كان بصيرا ، وعن مجاهد هو الذى لا يبصر بالليل ( وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون فى بيوتكم ) روى السدى : أنه كان يلعب مع الصبيان ثم يخبرهم بأفعال آبائهم وأمهاتهم وكان يخبر الصبي بأن أمك قد خبأت لك كذا فيرجع الصبي الى أهله ويحكى الى أن يأخذ ذلك الشيء ثم قالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع هذا الساحر ( إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ) والمعنى إن فى هذه الخسة لمعجزة قاهرة قوية دالة على صدق المدعى لكل من آمن بدلائل المعجزة ( ومصدقا لما بين يدي من التوراة ، ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربى وربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ) أى أنه لم يأت ناسخا للتوراة بل مصدقا لها عاملا بها ، ولكنه نسخ بعض أحكامها فقد كان حرم على بنى إسرائيل بعض الطيبات بظلمهم ، وكثرة سؤالهم فأحلها عيسى . ثم أعاد ذكر الآية للفرقة بين ما قبلها

وما بعدها . ثم أمرهم بتقوى الله وطاعته فيما جاء به عنه وختم ذلك بالتوحيد والاعتراف بالعبودية وأن هذا هو أقرب موصل إلى الله تعالى .

ومقتضى مذهب الصوفية أن روحانية عيسى كانت غالبية على جسمانيته أكثر من سائر الروحانيين لأن أمه حملت به بنفخ الروح الذي تمثل به لها بشراً سوياً فكان تجرده من المادة الكثيفة للتصرف بسلطان الروح من قبيل الملكة الراسخة فيه وبذلك كان إذا نفخ من روحه في صورة رطبة من الطين تحلها الحياة حتى تهتز وتمتلك وإذ اتوجه بروحانيته إلى روح فارقت جسدها أمكنه أن يستحضرها ويعيد اتصالها بيدها زمناً ما . ولكن روحانية البشر لاتصل إلى درجة إحياء من مات فصار رمياً . ويؤيد ذلك ما ينقله النصارى من إحياء المسيح للموتى قالوا إنه أحيانا بنتا قبل أن تدفن ، وأحيانا يعالزر قبل أن يبلى . ولم ينقل أنه أحيانا ميتاً كان رمياً . وأما إبراهيم الأكمه والأبرص بالقوة الروحانية فهذا أقرب إلى ما يعهد الناس لا سيما مع اعتقاد المريض (١) .

قال الأستاذ العلامة الشيخ طنطاوى جوهرى : إن الانسان له حالان : حال جسمية وحال روحية . ففي الحالة الأولى يزرع ويحصد ، ويتجر ويتعلم ويأكل ويلبس ويلد بأعمال إرادية ، وتكاليف ومشاق جسمية إرادية . فأما في الحال الروحية فإنه يعمل تلك الأعمال بلا كلفة ولا مشقة بل بالارادة والفكر والعزيمة كما نرى أنفسنا في حال النوم لابسين آكلين شاربين والذين مالكين جالسين على الأسرة صورته أرواحنا من المادة الأثيرية المائلة لهذا الكون بلا كلفة ولا مشقة ونحن نراه في النوم ولا نعجب لأنه مما تألفه النفوس

(١) تفسير الفخر الرازى الجزء الثانى ص ٤٥٧ وما بعدها وتفسير

في تلك الحال ولا تتعجب منه . هكذا حال الروح بعد الموت فاننا نفعل هذا كله بالغريزة والطبيعة والفطرة والقوة الروحية بلا تكلف ولا أمر ولا نهى ولا إنذار ولا وعيد .

فالروح تصوغ المادة الشافية والسامة والأغذية والفواكه وليس لها أدوات ولا آلات إلا إرادتها وإذن الله تعالى . وكذلك تصوغ الألبسة المختلفة . تصوغها بغيريتها وهي تجهل كيف تصوغها إذا كانت أرواحنا منحطة من فئة قليلة الترقى في العوالم العلوية . فالمادة الاثيرية ، أى اللطيفة ، هي أصل العوالم كلها تتصرف فيها الروح على قدر ارتقامها . هذه قدرة الارواح التي أودعها الله عز وجل فيها كما أودعها في أرواحنا عند النوم ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ والروح في الحالة الروحية تفعل بالغريزة ما كانت تفعله تكلفاً ، ولا تفعل ما تفعله إلا إذا كانت روحاً نقية فاضلة شريفة كاملة .

أما في الحالة الدنيوية فان هذه الأعمال مخالفة للناموس لا توافق حالنا فلو أن امرأ أنزل الله عليه الخبز واللحم والفاكهة وهو جالس في بيته ، ثم أفرغ عليه العلوم والمعارف من غير كد ولا نصب لكان ذلك مخالفا للناموس والقانون الذي عليه أهل الأرض ، وليس يكون ذلك سبباً في رقيهم بل الرقى في هذه الحياة بالعمل والسعى . وهذا العمل والسعى يكونان سبباً في الرقى بعد الموت .



إلى أن قال : إن الإيمان الذي يقوم على المعجزات وخوارق العادات ليس في الدين الاسلامى غاية العلم ولا منتهى الادراك . بل دين الاسلام يدعو إلى النظر العقلى والتفكر الحكيم<sup>(١)</sup>

﴿ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ . سورة العنكبوت . إن عالم الروح وإن خفى على الكثير منا إلا أن آثاره واضحة في عالم المادة التى تحجبه عن الأبصار ، فنرى من النفوس أو الأرواح القوية والضعيفة ، والعالمة والجاهلة والزكية والغيبة ، والراضية والصاخبة . وكما تؤثر المادة على بعضها لبعض فكذلك النفوس أو الأرواح للقوى منها سلطانها على من هو دونها ، فهناك من الأرواح القوية الكاشفة التى تتصل بالملأ الأعلى من الملائكة أمثال أرواح الأنبياء والأولياء والزهاد الذين خلصوا من المادة وانقطعوا للروحانيات ، وليس كل إنسان قادرا على أن يصل الى الملأ الأعلى أو الى عالم الروح إلا بمقدار ما أوتى من استعداد ومواهب تجعله أهلا لما يريد . ولو عنى الانسان بمخمة روحه من السهر عليها وحفظها من سيء الأخلاق ، كالكذب والخيانة والنفاق والجبن والبخل وما الى ذلك ، وترويضها على الانصاف بحمیل الصفات كالأمانة والصدق والشجاعة والايثار وما الى ذلك ، وابعادها عن الأوساط الفاسدة ، وسوء التغذية من قراءة الكتب والروايات

(١) الجزء الثانى من الجواهر فى تفسير القرآن الكريم للاستاذ الشيخ

الخليلة ، وحرص على صحتها وكالها بالعلم والأدب وأداء ما عليها من فروض نحو الله تعالى والوطن والانسانية كما يحرص على جسمه ، فلا يأكل إلا طيبا ولا يعيش إلا في الأوساط الصالحة لكان له شأن آخر غير ما هو عليه الآن ولاستطاع أن يسمو في درجات السكال والسعادة مما يغير وجه هذه الحياة إن المسيح عليه السلام وأمه لم يذكر في القرآن لمجرد الايمان ولا للتاريخ لحسب ، وإنما هو عظة ومثل لنا وقدوة صالحة في العفة والزهد وهما مبرآن من المسادة التي غمرت العالم وطغت عليه فأفسدته وجرته الى الهلاك والدمار . وكان عروجهما الى الملا الأعلى والى الله ليكون ذلك داعيا الى أن تفكر في أنفسنا أن العالم الانساني من أصل روحى ، وجهاده فى الدنيا ليخرج يوما من سجنها الى فسيح الجنان ، ثم الى عالم الملائكة والأرواح المجردة ، وهذه دعوة صريحة واضحة الى أن نغنى بأرواحنا وطهرها والمحافظة عليها من الدنس ومن قبيح الصفات وسبى الأعمال مما يجعلها أهلا للنفحات الربانية والاتصال بالعلم القدسى . والطريق واضح جلى لمن أراد . فالقرآن الكريم وسنة رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم هما خير معوان للوصول الى الغرض الأسمى . وقد ورد فى الأثر ان الناس تموت على ما عاشت عليه . ويبعثون على ما ماتوا عليه ، والدنيا مزرعة الآخرة . فانظر ما أنت زارع لتعلم ما أنت حاصد قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ . سورة الزلزال .

وإن سيرة المسيح عليه السلام كان لها الأثر الطيب في نفوس المسلمين  
الأخيار وقد كان مثلاً عالياً يحتذى ونرى أثره في سيرة أبي ذر الغفاري ودعوته  
إلى الزهد في الدنيا وإعطاء المال كله للفقراء والمحتاجين . ومحمد بن المبارك المشهور ،  
وإبراهيم بن أدهم الذي ترك ملكه زاهداً وأوقف حياته على الجهاد في سبيل  
الله ونشر العلم ، وطلب الآخرة بانفاق كل ما ملك في سبيل الله والبر  
بالإنسانية ، وأمثال هؤلاء كثيرون . غير أن الإسلام جاء لخير الدنيا وطلب  
الآخرة من أحسن الوجوه — ومن درس الإسلام بامعان يرى أن الزهد فيه  
هو أن نملك الدنيا لنصرفها فيها إلى خير الإنسانية ، لا أن نملك الدنيا  
فنشقي بها .



# مكانة العلم في القرآن

(١)

۞۞۞

لو أردنا أن نعرف فضل العلم ومكانته في الوجود في كتب الأولين والآخرين لما استطعنا أن نجد في غير القرآن الكريم ، وذلك لأن الله عز وجل جعل الخلافة في الأرض لا تكون إلا للعالم الذي يستطيع أن يستخدم ما في الأرض والسماء والهواء والماء ، وإن الله تعالى أخبرنا وهو مبدع العالم أنه خلق الإنسان وكونه على استعداد للتعليم وأن يعرف ما يحتاج إليه في معاشه ومعاده وأن يسخر له ما في الكون جميعا . وليقرأ الإنسان ما قصه الله تعالى في خلق آدم أبي البشر ليعرف ما قدمناه . قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً . قَالُوا أَتَجْعَلُ

فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ . قَالَ

إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (١) ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

(١) اختلف أهل التأويل في معنى الأسماء التي علمها لآدم عليه السلام فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير : علمه أسماء جميع الأشياء كلها جليلها وحقيرها . وروى شيبان عن قتادة قال : علم آدم من الأسماء أسماء

الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك  
لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم  
باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات  
والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . وإذا قلنا للملائكة  
اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴿  
سورة البقرة .

يعلنا هذا القصة التاريخي ما يأتي : —

أولاً — أن الخلافة في الأرض لم يستحقها آدم إلا بالعلم .

ثانياً — لم يفضل آدم الملائكة حتى أمرت بالسجود له إلا  
عن طريق العلم .

ثالثاً — أن آدم وذريته فيهم استعداد لأن يسخرها ما في الكون جميعاً :  
الأرض وما عليها والسماء وما فيها والهواء وما حوى والماء وما وعى ،  
وذلك عن طريق العلم .

رابعاً — أن سلطان العلم ليس فوقه سلطان إلا سلطان الخالق العليم .

---

خلقه ما لم يعلم الملائكة وسمى كل شيء باسمه ، وألحق منفعة كل شيء الى  
جنسه . والمعنى عليه أسماء الأجناس وعرفه منافعها — الجامع لأحكام القرآن  
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي جزء أول ص ٢٨

خامسا — أن أعرف الناس بالله تعالى هم العلماء الذين يعرفون سنن الله  
وآياته في الكون كما قال الله تعالى في سورة فاطر ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ  
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ  
وَرُوحٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ  
وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ غَفُورٌ .

وواضح أن المراد بالعلماء هنا هم العالمون بالآيات وأسرار الخلق التي  
أودعها الله سبحانه فيما أشارت إليه هذه الآية الكريمة .

وقال الله تعالى في شرف العلم والعلماء في الاستدلال على وحدانيته :  
﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ سورة آل عمران

فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلك بأهل العلم  
وناهيك بهذا شرفا وفضلا ونبلا .

وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعائة

درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتجج إليه نفع ، وإن استغنى عنه أغنى نفسه ، ( رواه البيهقي في شعب الإيمان ) . وقال أيضا : الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وممسرته العلم . ( رواه الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث أبي الدرداء ) .

وقال علي رضي الله عنه : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، وإذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه . .

إذا تتبعنا القصص القرآني لم نجد نبيا أرسل ولا ملكا ولى الملك إلا وجعل الله تعالى العلم أكبر ميزاته وأعلى صفاته . وأن العلم هو أعلى مراتب الفضل . إذ لا يقوم الملك ولا تصلح الولاية عليه إلا بالعلم الذي يهدى على بيئة طريق الرشاد ، ويبعد عن مسالك الفساد . فالعلم نور يبدد ظلمات الجهل ، ويوضح سنن الكون التي يجب أن تتبع ، فيسير الانسان منسجما مع الوجود لا خصام ولا خلاف ، وبهذا يسعد ولا يضل ولا يشقى قال تعالى ﴿ وَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ وهذا الهدى هو العلم بما وضعه الله لنظام الكون وسنته التي يسير عليها سواء أكان ذلك في النظام الطبيعي الأرض وما علاها ، أو النظام الاجتماعي الخاص بالانسان ومعاملته مع بني جنسه ، والذي من أجله ابتعث الله الرسل ، ولأجله قام المصلحون والمفكرون ينادون بالاصلاح . قال تعالى في ولاية طالوت :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْعَلَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ  
أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا؟

قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا .

فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين .

وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا .

قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة

من المال .

قال : إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي

ملكه من يشاء والله واسع عليم ( سورة البقرة ) .

من هذا الحوار يتبين لنا ما كان عليه الناس لا سيما بنو إسرائيل من حب المال ، والتهاك على جمعه وأن الله تعالى أبان لهم حقيقة الأمر ، وأن العلم هو أسمى ما يمتاز به الانسان ، وقد فهم المسلمون الأولون ذلك . وقد قال علي بن أبي طالب لكميل : يا كميل ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق .

بالعلم يعرف الحق من الباطل ويميز الطيب من الخبيث . ويستبين النافع



من الضار . وبالعلم تعرف عوامل القوة والضعف وبه يقوم سلطان الملك  
وبه تكون الغلبة . قال تعالى في قصة طالوت مع جالوت ﴿ ولما برزوا لجالوتَ  
وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصُرنا على القوم  
الكافرين . فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت . وآتاه الله الملك  
والحكمة وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ  
الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ سورة البقرة .

إن قتل الطاغية جالوت كان على يد داود وقد آتاه الله الملك والحكم  
والعلم . وبهذا يتقرر كما تقدم أن بقاء الملك ودوامه لا يكون إلا بالعلم  
والحكمة . والقرآن الكريم يقرر ذلك في جميع آياته وقصصه مما لا يعتره شك  
ولا لبس . وقد ورد في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
• تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطالبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث  
عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس  
في الوحدة والصاحب في الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على السراء  
والضراء والوزير عند الاخلاء ، والقريب عند الغرباء و منار سبيل الجنة يرفع  
الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص  
آثارهم وترمق أفعالهم . إلى أن قال : العلم حياة القلوب من العمى ونور  
الابصار من الظلم وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأبرار  
والدرجات العلى ، والتفكر فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام . به يطاع

الله عز وجل ، وبه يعبد ، وبه يوعد ، وبه يمجّد ، وبه يتورّع ، وبه توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء ، رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب .

فأين المسلمون من العلم ! . هل بعد هذا يمكن أن يقال إن الدين شيء والعلم شيء آخر ؟ فقد كان لانتشار الدين والعلم الأثر البالغ أيما وجد وأيما حل .

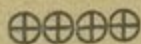
قال العلامة استانلي بول في أثر المسلمين وما أدخلوه من النظم الإسلامية في بلاد الأندلس « إسبانيا » :

إن العرب وإن قدموا الأندلس في جفوة طبائع القبائل وخشوتها رقت أخلاقهم للاختلاط بالأندلسيين وبميلهم الطبيعي إلى المرح والترف فوصلوا إلى القمة المدنية وأغرموا بالشعر والأدب وتجردوا لطلب العلم وأحبوا فوق ذلك أن يتمتعوا بكل لذائذ الحياة وكان ذوقهم العقلي والأدبي مرهقا دقيقا وكان لهم ذلك الاحساس الذي لا يشعر به إلا من نشأ نشأة سامية في العلم والأدب وقد كانوا واسعي التصور خياليين شعريين مفكرين بمنحون من المال على مقطوعة شعرية رائعة ما يكفي للانفاق على فرقة من الجنود وكانوا ينظرون باحتقار إلى أقوى ملوكهم وأشدهم بطشا إذ لم يكن شاعرا ولم يوهب له ذوق فهم الفكاهة الشعرية والبلاغة العربية . ومنح هؤلاء القوم البارعون استعداداً طبيعياً في الموسيقى والحطابة ودقائق العلوم والنقد وادراك التوريات البعيدة التي نعدها اليوم من ميزات الامة الفرنسية .

الى أن قال : —

بقيت اسبانيا قرونا في حكم العرب وهي مركز المدنية ومنبع العلوم والفنون ومثابة العلماء والطلاب ومصباح الهداية والنور ولم تصل أية مملكة في أوروبا الى ما يقرب منها في ثقافتها وحضارتها ولم يبلغ عصر فرديناند وايزابلا القصير المتألى ولا امبراطورية شارل الخامس الأوج الذي بلغه المسلمون في الأندلس . وقد بقيت حضارة العرب الى حين بعد خروجهم من اسبانيا وضاعة لامعة . ولكن ضوءها كان يشبه ضوء القمر يستعير نوره من الشمس ثم عقب ذلك كسوف بقيت بعده اسبانيا تتعثر في الظلام .

وانا لنحس فضل العرب وعظيم آثار مجدهم حينما نرى باسبانيا الاراضى المهجورة القاحلة التي كانت في أيام المسلمين جنات تجري من تحتها الأنهار تزدهر بما فيها من الكروم والزيتون وسنابل القمح الذهبية وحينما نذكر تلك البلاد التي كانت في عصور العرب تموج بالعلم والعلماء وحينما نشعر بالركود العام بعد الرفة والازدهار<sup>(١)</sup> .



(١) كتاب العرب في اسبانيا لمؤلفه استافلى بول وترجمة على الجارم بك

( ٢ )

أثر الاسلام ودعوته للعلم والعمل في الحضارة الحديثة

لو أرننا أن نستقصى آثار الإسلام وما فعله المسلمون في النهضة العلمية وما كان لهم من جهد مشكور في تقدم الانسانية لاطال بنا المقام ولمكنا نقتصر على ترجمة ما كتبه الأستاذ الفرنسي السيد دينيه وزميله وقد أجملا أثر الاسلام في نهضة أوروبا قال :

لما لحق مؤسس الدين الاسلامي العبتري بالرفيق الاعلى كان قد فرغ من تنظيمه تنظيماً دقيقاً محكماً شمل أقل الأعمال فيه .

وكان جنود الله قد دوخت بلاد العرب كلها وأنشأت تغير على الشام وعلى مملكة القياصرة العظيمة وقد عرضت فترة اضطراب كان تجنبها غير مقدور عليه بعد وفاة ذلك المرشد الموحى إليه فسيبت بعض الفتن ولكن الاسلام كان من قوة بنائه وشدة تحمس الناس له بحيث أنه كان لا بد له أن يدهش العالم بنهضته الساحقة التي قد تكون معدومة النظر في سجلات التاريخ .

اندفع العرب الاعزاء لأول مرة خارج بلادهم المحرومة من مواهب النعم تثيرهم معجزة الايمان فاستولوا في أقل من مائة سنة على ما كان بهم من قلة مفرطة في عددهم على معظم بلاد الدنيا القديمة المتمدنة من الهند إلى الأندلس . ولما سحا الاسلام من نفوسهم نخوة الاعزاز بالقبيلة والنسب والجنس وجعل جميع المؤمنين إخوة وفتح فيهم روح المساواة والدين وسمو الفكر صاروا ذوى نفوس تتقدحمية وقلوب لا تخضع للضيم أنفة جديرين بحمل أعباء جميع الغزوات والحروب ، ولم تكن ذخائر هذه القوة التي تراكت في نفوسهم خلال قرون قضاها في الحروب الأهلية هي وحدها الوسائل التي

قلبوا بها كيان كثير من الشعوب المغايرة لهم مغايرة عظيمة والمتفوقة عليهم  
تفوقاً كبيراً في ذلك العصر بمعلوماتها العامة .

ونحن ننصح لمن قد يستريون في ذكاه العرب ونبوغهم أن يتصفحوا  
مجموعة من الرسوم المنقوشة التي تمثل الأبنية المنتشرة في البلاد  
الخاضعة لسلطانهم فلا شيء يدهش فيها كاتحادها في النمط الذي يميز هذه  
الآثار عن غيرها من جميع آثار الدنيا ، ومع تشابه هذه المباني فيما بينها تراها  
قائمة في الهند وتركستان وفارس والشام وبلاد الترك ومصر والبربر وإسبانيا  
وغیرها ، أعني في بلاد متغايرة تغايراً مطلقاً ومتميزة تمايزاً كثيراً في مواضعها  
الخاصة حتى أن مواهب اليونان والرومان لم تستطع في وقت ما أن تغير منها  
شيئاً يعتد به .

اقتبس العرب أشياء كثيرة من الأمم المغلوبة لهم كما انتفعوا في كثير من  
الاحيان بمواهبهم وبسواعدهم أيضاً في تشييد قصورهم ومساجدهم .

ولكن هذه الأعمال كانت دائماً خواطراً في أحلام العرب وأخيلتهم برزت  
إلى الوجود ومحل الغرابة الشاذة في النمط العربي هو أن المرشد المتحكم فيه هو  
فن ولد مع الاسلام في وقت واحد ولم يسبق له نظائره ، وهذا الفن يهdy  
إلينا إن صح لنا التعبير بذلك صورة مجسمة في تمجيد كلمات الله أعني  
آيات القرآن فن الخط العربي هذا حتى لو اقتصر على طرقة وحدها يصح أن  
يقال فيه بلا مبالغة إن فيه روحاً لأنه كلفظ الانسان يعبر عما في النفس من  
الفكر وهو بعدم اقتباسه شيئاً من العالم الخارجي حتى ولا من أشده عناية  
بتنميقه يمت إلى الموسيقى بسبب ، فكانه رموز مقتضية لاخفي حركات القلب

ثم تعود عما قليل سيرتها الاولى إلى مجراها المطلق وتبسط ما اشتبك منه  
ويتغير تناسقها على ما يشاء الهوى المحبوب .

وليس من الضروري أن يكون المرء عالماً بالعربية منقطعاً لها متضلعاً فيها  
أو ماهراً دقيقاً في الخط ليتبع آثار الكلام الذي خط بهذه الحروف ويتمتع  
بمحض تمييز أشكالها أو بالانفعال الشديد الذي يجده في منحنياته فكل متفنن  
ستنفذ روحه في أسرار نفس هذه الحروف بلا عناء .

وبعد أن عبر الخط العربي تعبيراً تاماً عن المثل الاعلى لامته أذل لسلطانه  
الذي يكاد يكون دينياً كل ما كان معداً لأن يحمله ويكون إطاراً له . أعنى  
بذلك فن البناء وطرق الزخرف الاخرى بالجامها إلى مزوجة نمط أشكاله -  
وقد دانت لهذا السلطان قبة بنظية الثميلة التي على صورة نصف كرة بأن  
اختير لها شكل خوذة للجندي المسلم : وقد تحولت منحنيات بواكها المبتدلة  
إلى منحنيات العقد الستين الجميل ، أو إلى قوس شامخ متجاوز الحد في علوه  
وتغيرت أراجها العادية إلى مآذن شبيهة تذهب صعوداً إلى ذرى ما يأخذ بالعقل  
فيذهب باللب .

ثم طريقة الزخرفة الوحيدة التي هي كالخط لم تقتبس شيئاً من الفطرة  
وأعنى بها الزينة الهندسية التي لم يستمد منها اليونانيون واللاتينيون إلا آثاراً  
غاية في الحفارة والسماجة .

لقد كانت أوربة حتى في وقت أشد عدائها للإسلام مبهورة من كل هذه  
البدائع فقد اقتبست أشياء لا عد لها من آثار نبوغ العرب في الزخرف والبناء  
وقد يدل الاستقصاء في البحث على انها مدينة لهذا النبوغ بأكثر مما تدن  
به للنابعين من قدماء اليونانيين واللاتينيين .

ومثل هذا البحث قد يبعد بنا كثيرا عن موضوع الكتاب ، وحسبنا أن نذكر هنا على سبيل الاستغراب أننا إذا أخذنا بقول المؤرخ ( دولور ) يكون بعض مهندسي البناء من العرب قد استخدموا في بناء كنيسة نتردام دوبارى .

نلخص لك الرأى الذى أبداه الدكتور جوستاف لوبون فى كتابه المشهور : حضارة العرب ، إذ قال : « علينا أولا أن نعترف بأن العرب هم الذين يرجع إليهم الفضل كله فى الاستعاضة عن ولاية الاستاذ بالتجربة والملاحظة اللتين هما أساس الطرق العلمية الحديثة ، لا الى « باكون » الذى ينسب إليه ذلك فى الجملة . »

ان أعلى درجة فى العلم تنحصر فى استدعاء المرء نفسه وباختياره للظواهر الكونية وحثها على الظهور قال : إن العرب قد بلغوا هذه الدرجة التى تكاد تكون مجهولة للقداماء .

ويمكن تلخيص ما استكشفهوه فى هذا العلم فيما يلى : —

إدخال خطوط التماس فى الحسابات الفلكية ووضع جداول لحركة الكواكب وتحديد سمت الشمس تحديداً دقيقاً وتدرجه فى النقص وتقدير تقدم الاعتدالين تقديرا مضبوطا وأول تحديد مضبوط لمدة السنة .

ثم إننا مدينون لهم أيضا باثبات ما فى أكبر خط عرض للقمر من ضروب عدم الانتظار واستكشاف عدم التساوى القمري الثالث المبرر عنه اليوم بالتغير .

وقد أدلى هؤلاء الجوالون الجريئون فى علم تقويم البلدان بالقندح المعلى .

وكانت لهم من الوجهة العلمية هذه التحديدات الفلكية المضبوطة التي هي أول أساس للخرائط ، وقد صححوا الأغلط الجسيمة التي ارتكبها اليونانيون في أوضاع البلدان . ومن جهة جوب الأقطار قد نشروا أخبار رحلات لهم عرفت الناس أجزاء مختلفة للعالم قل من توهموا وجودها قبلهم ، ولم يسبق للاوربيين أن طرقتها . فقد بينت على خريطة رسمها الأديسي يرجع تاريخها إلى سنة ألف ومائة وستين بياناً كاملاً منابع نهر النيل مخترة البحيرات الاستوائية الكبرى التي لم يكتشفها الأوربيون إلا في النصف الثاني للقرن التاسع عشر .

وفي العلوم الطبيعية يزيد عدد اكتشافاتهم عن ذلك أيضاً ، بذلك على علو شأنها تعددها فيما يلي : فمنها معلومات عالية في نظريات علم الطبيعة خصوصاً في نظرية البصر ومنها اختراع أجهزة آلية من أبداع ما يكون واكتشاف أعلق الأجسام بأصل علم الكيمياء ، مثل الكحول والحامض الآزوق والحامض الكبريتي ، وأهم الأعمال الأساسية في هذا العلم مثل التقطير وتطبيق علم الكيمياء على فن الصيدله وعلى الصناعة خصوصاً صناعة استخراج المعادن وصنع الفولاذ والصبغة وغيرها وصنع الورق من الخرق والاستعاضة به عن رق الغزال والبردى وورق الحرير الصيني ، ومن المحتمل أنهم طبقوا يدت الابرة (البصلة) على الملاحة ، ومن المحقق أنهم أدخلوا هذا الاختراع الأساسي في أوربة .

وفي سنة ١٣٤٢ كان الكوتتان الانجليزيان دربي وسالبري يشهدان حصار الجزيرة والعرب يدافعون عنها بالمدافع ، ولما عاينا استعمال البارود



تقلا هذا الاكتشاف الى بلادهما ولهذا السبب استعمله الانجليز بعد ذلك بأربع سنين في حصار مدينة « كريسى » .

وفي العلوم الطبية استمد العرب أولا معلوماتهم من كتب اليونان ثم حصلوا فيها زيادات أعلى ما يكون شأننا ، فعظم علوم أوربة الطبية في عصر تجدها أخذت عنهم ، وأشهر الزيادات التي أضافوها الى العلوم الطبية هي في التشريح ووصف الأمراض والمادة الطبية والصيدلة ، وقد اخترعوا عدة طرق علاجية بعضها — كاستعمال الماء البارد في انجي التيفودية — قد استؤنف استعماله في العهد الأخير بعد أن نسي قروناً طويلة .

والمادة الطبية مدينة لهم بكثير من الأدوية ، مثل خيار شنبز والسنا المسكى والراوند والتمر الهندي والكافور والكحول والقلوى وغيرها .

كانوا يعرفون علاج الماء الذى ينصب في العين ، الكتاركتا ، بالتحويل أو استخراج البلورية ، وتفتيت الحصاة وعلاج النزيف بصب الماء البارد واستعمال السكاويات والابخزمة واليكي بالنار ، إن التخدير الذى يرى الناس الآن أن اكتشافه الأساسى حديث العهد يظهر أنه لم يكن مجهولا لديهم فانهم كانوا يوصون باستعمال الزوان لتنويم المريض قبل البدء في الأعمال المؤلمة حتى يفقد إدراكه وإحساسه .

وكانت لهم أيضا ثقة عظيمة بعلم تدبير الصحة من جهة علاج الأمراض فكانوا يعتمدون كثيرا على الوسائل الفطرية والطب الانتظارى الذى يظهر أنه هو كلة العلم الحديث الاخيرة لا يجرى في استدلاله على ما يخالف ذلك ( انتهى من كتاب الدكتور جوستاف لوبون — حضارة العرب ) .

وفي مجال المعاني والافكار كان لنفوذ المسلمين نتائج ربما كانت أنفوس من ذلك أيضا . فاذا كان المسيح قد أوصى قومه بالمساواة والاخاء فقد سعد محمد بتحصيلها وتحقيقها للؤمنين به في حياته .

وقد يكون من السخافة أن يزعم زاعم أن الثورة الفرنسية قد استطاعت أن تقتدى بقدوته مباشرة في عملها لأنها كانت تجهل معظم عمله في تأسيس قاعدة المساواة — على أن المحاولات الأولى لتحرير الفكر هذا الذي كان لا بد أن ينظم المجتمع الحديث على أسس جديدة يمكننا أن نثبت أنه كان النتيجة المنطقية لشريعته ، فإن شرف ادخال حرية الفكر ( التي لا ينبغي خلطها بالاحاد ) لأول مرة في أورته يرجع الى الحكيم المسلم ابن رشد الذي كان يعيش في اسبانيا من سنة ١١٢٠ الى سنة ١١٩٨

عارض ابن رشد بعقيدة الايمان بالله وحده في الاسلام مذهب وحدة الوجود الخرافي عند اليونان ومذهب التجسيم عند المسيحيين .

وقد هاج شراح كتابه الذي ألفه في أرسطو رغماً من اصطباغهم شديداً بالصبغة الاسلامية كل العقول المستقلة في القرون الوسطى بأوربة ، ومذهب ابن رشد الذي نشأ من هذا التحمس يصح اعتباره بحق ليس بشيراً للاصلاح بسب بل أبا للحكمة العقلية الحديثة .

---

ثم إن تأثير أخلاق المسلمين في الاخلاق الاوربية لم يكن أقل من ذلك نفعاً فإن العرب مع ما كان فيهم من التسامع الديني المتناهي كانت لهم أخلاق كلها شهامة ومروءة .

وقد صرح الكاتب الاسباني بولي الشهير بلاسكو ايبانيز في قصته المعنونة « في ظل الكنيسة الكبرى » بأن روح الشهامة إنمما ولد بين العرب الاسبانيين وإن كان غزاة الشمال من المسيحيين قد ادعوه لانفسهم زاعمين أنه صفة من صفات الامم المسيحية .

ولنذكر أيضا في هذا الموضوع ملاحظات الدكتور لوبون إذ يقول : « إن للشهامة العربية قانونها كالشهامة المسيحية التي جاءت بعدها ، فإنه لم يكن جديراً بوصف الشهامة إلا من كان حائزاً للخصال العشر التالية وهي : سلامة القلب والبسالة وخفة الروح ومدكة الشعر والبلاغة والقوة وحذق ركوب الخيل وإدارة الرمح والسيف والقوس . »

وقد حقق العالم الشديد الاستمساك بدينه برتلى سان هيلير تحقيقاً التزم فيه الأمانة — ما تدين به الى العرب الأخلاق الاوربية إذ قال في كتابه الذي ألفه في القرآن مانصه « وإن أشرف القرون الوسطى العتاة قد لانت عوائدهم الجافية بمخالطتهم العرب ومتابعتهم لهم ، وأهل الشخوة منهم عرفوا بهذه المخالطة عواطف أرق من عواطفهم وأشرف وأليق بالانسانية بدون أن يضع عليهم شيء من شجاعته . »

انه من الذل والمهانة أن يعترف للسلين باخراج أوربة المسيحية من ظلمات البربرية والتوحش . . من كتاب الدكتور جوستاف لوبون — حضارة العرب — .

ماهى الأسباب التي دعت الى تدهور الاسلام تدهوراً غاية في السرعة وهو في ثمانية قرون تسلط فيها على اسبانية قد رفع هذه البلاد الى ذروة الحضارة الغربية ولم يكن سناه أقل سطوعاً في البلاد الممتدة من دهلي وبخارى الى القسطنطينية والى فارس .

أول سبب ينبغي تلمسه لذلك هو عدم اتباع قواعد المساواة التي جاهده النبي كثيراً في سنه في حياته والتي كانت هي السبب في نجاحه ونجاح الخلفاء الأولين من بعده ، ولنضرب لك مثلاً نبين فيه مبلغ التشدد في تطبيق هذه القواعد أول الأمر : كان ( جبلة بن الايهم ) ملكاً من ملوك العرب ذوى السلطان والأنفة يطوف بالكعبة في أول عهده بالاسلام ، فاصطدم به بدوى حقير بلا قصد منه فظلمه « جبلة » ، على وجه لظمة شديدة ، فلما رفع الأمر إلى الخليفة عمر بن الخطاب لم يأبه بمكانة المذنب ولا أنه يجسر إلى نفسه عداوته بالاعتصام منه وهو في مثل هذه المكانة ، بل رأى أنه لرفعة الاسلام ومستقبله ينبغي أن تسقط المساواة أمام العدالة كل اعتبار ، فحكم على الملك جبلة بأن يحتمل قصاصاً مماثلاً لجرمته من يدى البدوى الحقير الذى ضربه .

بمثل هذه القواعد التي لا هوادة فيها ما كان يستطيع أحد أن يستفيد إلا من أعماله الخاصة ، وقد ولد التنافس في خير الاسلام أموراً مدهشه ولم يختر للرأسة فيه إلا من كانوا يستحقونها . وكان الرؤساء يطاعون أبلغ الطاعة لأنهم محل الإعجاب والتوقير الخالصين من الرعايا (١)

---

(١) كتاب السيرة النبوية الفصل العاشر للسيدنا . دينه ،  
وسليمان بن ابراهيم الجزائرى تعريب عبد العزيز باشا محمد . مجلة الأزهر  
المجلد الأول .

(٣)

## ما يجب عمله نحو العلم والارتفاع به

ذكر الأستاذ كار بنسكي : ان الخدشات التي أداها العرب للعلوم لم تكن مقدره حق قدرها من المؤرخين ، وأن الأبحاث الحديثة قد دلت على عظم ديننا لعلماء المسلمين الذين نشروا نور العلم بينما كانت أوروبا في ظلمات القرون الوسطى . وأن العرب لم يقتصروا على نقل علوم الإغريق والهند . بل زادوا عليها وقاموا بإضافات هامة في ميادين مختلفة .

وقد لخص الأستاذ الدكتور مشرفه بك ما يجب عمله نحو العلم والاستفادة منه قال (١) :

إن الغرض من العلم واضح وهو المعرفة وان العلم يطلب الحقيقة لذاتها ولكن الحياة العلمية في كل أمة تصل إلى أبعد من هذا . فقد نال علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر . والتبحر في العلم والابتكار فيه كما قد قدمت إنما يتاح للأقلية الضئيلة : أما الأغلبية الساحقة فتطلب العلم كوسيلة لا كغاية وليس في هذا خفض من شأن العلم ولا مهاس بمقامه فالعلم منشأ لذة فكرية في ذاته وهو أيضا قوة لحل المشكلات البشرية فإذته وقيمه مضاعفتان . والحياة العلمية بيننا يجب أن تشمل هذه الناحية التطبيقية للعلوم وكما أنه من الخطأ أن

---

(١) مطالعات عليية ص ٦٦ للأستاذ الدكتور علي مصطفى مشرفه بك  
عميد كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول .

ينتصر على الناحية الأكاديمية بل إنى لا أعدو الحقيقة إذا قلت ان مستقبل  
 مصر في الجيل القادم وما بعده سيبني على مقدار نجاحنا في إنشاء الروابط  
 المتينة الحية بين العلوم البحتة والعلوم التطبيقية أو بين العلم والعمل ولهذا  
 يجب إنشاء هيئة أو أكثر من هيئة لإيجاد هذه الروابط وتنميتها . فمن ناحية  
 نجد الصناعات في مصر في حاجة قصوى إلى الفئتين لحل مشكلاتها الخاصة  
 ومن ناحية أخرى نجد الشباب في مرحلة التعليم العالي يطالب المجتمع بعمل  
 مفيد يؤديه . وقد كنا إلى عهد قريب نستقدم خبراء أجانب كلما أردنا حل  
 مشكلة من مشاكلنا الصناعية . فدفع الجلود في حاجة إلى خبير أجنبي وصناعة  
 الزجاج في حاجة إلى خبير أجنبي والصناعات الأخرى كلها كذلك . وهذا  
 الخبير الأجنبي كيف نشأ وكيف أعد ؟ سنجد أنه في جميع الأحوال قد تعلم  
 تعليما عاليا ثم طبق علمه على ناحية من نواحي الصناعة . ونحن تواقون إلى  
 إنشاء صناعات متعددة بين ظهرائنا وفي كل صناعة من هذه الصناعات مشكلة  
 أو عدة مشاكل تتطلب كلها الحل ، والشباب يتعلم العلم فالمنطق يقضى بالجمع  
 بين هذين الطرفين . وقد صدر مرسوم منذ أمد قريب بإنشاء معهد لهذا الغرض  
 يطلق عليه اسم المغفور له الملك فؤاد . منذ صدور هذا المرسوم لم يحدث شيء  
 جدي إلى حد علمي لتحقيق الغرض المنشود منه . والمسألة في ذاتها ليست معضلة  
 من المعضلات فهي لا تعدو إلى جمع بين العلم والصناعة . وفي كل أمة متحضرة  
 نجد إلى جانب البحث العلمي البحت بحثا من نوع آخر يسمى البحث العلمي  
 الصناعي أو التطبيقى فكل مصنع من المصانع الكبرى به قسم خاص لبحث  
 مشكلات الصناعة التي يزاؤها وبه معامل وعلماء متخصصون يفرغون لحل

المسائل التي تنشأ في هذه الصناعة . فكما أن تقدم العلم أساسه البحث أيضا ومن الخطأ كل الخطأ أن يظن أن في استطاعتنا الاعتماد على غيرنا في حل مسائلنا الفنية الصناعية . صحيح إننا نستطيع أن ننقل عن غيرنا الكثير من أصول الفن والصناعة ولكن المسائل الصناعية التي تنشأ لنا والتي تتطلب الحل لا مفر من الاعتماد فيها على عملنا نحن فالظروف تتغير من بلد إلى آخر وتسايج البحث الصناعي ليست كنتاج البحث العلمي ميسورة للجميع بل انها تحاط بسياج من التكم فاذا نجحت وصار لها قيمة اقتصادية أحيطت بسياج من الحقوق القانونية . وكثير من مشاكلنا الصناعية خاص بنا كاستخراج الثروة المعدنية الذي يرتبط بجيولوجية أرضنا وكصناعاتنا الزراعية التي ترتبط بأنواع محاصيلنا وبظروفنا الاقتصادية .

وفي رأي أنه يمكن البدء في تحقيق هذا الغرض بدءاً متواضعا بتخصيص مبلغ غير كبير من المال للبحث الصناعي ، فالشباب بعد ان يتم تعليمه العالي الأكاديمي يوجه نحو البحث الصناعي في معمل خاص أو في معاملنا الحالية يرشده في ذلك أساتذة متخصصون وإذا نجحت هذه التجربة واقنع أرباب الصناعات في مصر بفائدة هذه البحوث أمكن تخصيص مبالغ أكبر لهذا الغرض . وفي أوروبا يخصص أرباب الصناعات مبالغ طائلة للبحوث الصناعية لاقتناعهم بفائدتها ، بل إن بعضهم ليخصص أمواله للبحوث العلمية البحتة لاقتناعهم بأن تقدم العلوم البحتة هو أساس التقدم الصناعي فمثلا نجد السير الفرد يارو ، وهو قطب من أقطاب الصناعات في إنجلترا يمنح المجمع البريطاني في لندن مبلغ مائة ألف جنيه ليصرف ريعه في البحث العلمي البحت وتقدر

الأموال التي يخصصها أرباب الصناعات في إنجلترا وأمريكا للبحث العلمي بمئات الملايين من الجنيهات .

ولا بد من الإشارة إلى ناحية أخرى من نواحي حياتنا العلمية يجب علينا أن نتعهدنا بالعناية في السنين القادمة هي ناحية التأليف العلمي وأقصد بالتأليف العلمي تدوين العلوم باللغة العربية بحيث تصبح لغتنا غنية بمؤلفاتها في مختلف العلوم .

ولاشك في أننا في أشد الحاجة إلى كتب عربية في كل فرع من فروع العلم في حين نجد كل لغة من اللغات الحية غنية بكتبها ومؤلفاتها العلمية تنفرد اللغة العربية بفقرها المدقع في المؤلفات العلمية ولا أظنني أعددو الحقيقة إذا قلت إنه لا يكاد يوجد كتاب واحد في أي فرع من فروع العلم يمكن اعتباره مرجعا أو حجة ، والكتب التي تظهر يكون مستواها عادة منخفضا لا يزيد على مستوى التعليم الثانوي أو المرحلة الأولى من التعليم العالي فإذا لم تنقل العلوم إلى لغتنا ولم ندونها بقيتنا عالة على غيرنا من الأمم وبقيت دائرة العلم في مصر محصورة في النفر القليل الذين يستطيعون قراءة الكتب الأجنبية العلمية وفهمها . وحالنا اليوم تشبه ما كانت عليه حال العرب في القرنين الثامن والتاسع أو ما كان عليه حال أوروبا في القرون الوسطى فالعرب تنهبوا إلى ضرورة نقل علوم الإغريق إلى اللغة العربية فقام الخلفاء والأمراء بتشجيع العلماء على الانقطاع إلى النقل والتأليف . ولعل القارىء يذكر المكتبة الكبرى في أيام الخليفة المأمون التي كانت تعرف بخزانة الحكمة وإن كثيرا من علماء ذلك العصر كانوا متقطعين إليها يشجعهم على ذلك ما تحلى به المأمون



من الرغبة في العلم وتقريب أهله وادنائهم وبسط كنفه لهم ومعونه إياهم وقد كان من نتيجة هذا كله أن صارت اللغة العربية لغة العلم والتأليف وبقيت محتفظة بسيادتها العلمية على لغات الأرض جميعاً عدة قرون ، ونحن إذا شئنا أن نعيد إلى لغتنا مجدها العلمي فعلينا أن نعنى بتشجيع التأليف والتدوين والنقل ، وعلى الدولة ألا تضن بالمال الواجب انفاقه في هذا السبيل ومن الممكن البدء في هذا العمل فوراً بميزانية سنوية لا تتجاوز بضعة ألوف من الجنيهات وهر لعمري مبلغ صغير إذا قيس بالنتائج الهامة التي تنجم عن صرفه . والطريقة المثلى لذلك هي أن تعهد الدولة للقادرين من العلماء في كل فرع من فروع العلم بنقل الكتب العلمية وتأليفها وأن تقوم الدولة بطبع هذه الكتب ونشرها ولا يجوز أن يترك الأمر للجهود الفردية بل لا بد من تضافر العلماء وتعاونهم في هذا السبيل ، فكل كتاب ينقل أو يؤلف يجب أن تقوم عليه لجنة تجمع خبرة من تخصصوا في موضوع الكتاب ولا يخفى ما في هذا العمل من مشقة وماله من ارتباط بتطور اللغة العربية العلمية ومصطلحاتها ، والتأليف العلمي هو الوسيلة الطبيعية لا يجاد هذه المصطلحات في لغتنا فكل لغة حية إنما تنمو عن طريق التأليف والكتابة ، واللغة العلمية وليدة التفكير العلمي ، والمصطلحات العلمية في اللغات الأوروبية إنما نشأت بهذه الطريقة ونتجت عن نمو العلم والتأليف . ومن العيب أن يقوم بجمع بفرض المصطلحات على المؤلفين فرضاً ، وإنما تأتي مهمة الجامع بعد مهمة المؤلفين لا قبلها فالجامع اللغوي يجمع ماورد في الكتب العلمية من مصطلحات ويدونها ويفسرها على أنه لما كان الأمر مرتبطاً كما قدمت بتطور لغتنا ونموها

فان من الواجب أن يكون في كل لجنة من اللجان التي يعهد إليها بالتأليف عضو متضلع في اللغة العربية وأسايلها حتى تخرج اللغة العربية سليمة وحتى ترتبط لغة التأليف العلمي بلغة الأدب ارتباطاً طبيعياً مشمراً ، ولكي يستدل القارئ على مبلغ ما وصلت إليه اللغة العلمية في العصر العربي من جمال في الاسلوب وسلاسة في العبارة أشير عليه بالرجوع الى العبارات التي اقتطفها في مقال سابق من مقدمة محمد بن موسى الخوارزمي لكتابه في الجبر والمقابلة فانه سيجدها قد جمعت بين منطق العلم وروعة الادب .

هذا أرى أن يختار المؤلفون على قدر الامكان ممن يحسنون صناعة اللغة فاذا تعذر ذلك اشترك معهم من يعاونهم في ذلك .

وموضوع التأليف العلمي وارتباطه بحياتنا الفكرية إنما هو جزء من موضوع أوسع وأعم ألا وهو العلاقة بين حياتنا العلمية الماضية والمستقبلية وهو موضوع الأسس التي يجب أن نبني عليها صرح مجهودنا العلمي فالحياة العلمية في كل أمة عنصر هام من عناصر ثقافتها العامة وكما أن الأمة المتحضرة تكون لها ثقافة أدبية ترتبط بتاريخها وتتجسم في لغتها ويكون عنوانها عليها ذلك التراث الخالد من شعر شعرائها ونثر كتابها وكما أن الأمة المتحضرة أيضاً تكون لها ثقافة فنية تتمثل فيما أبدعته أيدي فنانيها في مختلف عصور تطورها من تلك الرموز الملبوسة على المشاعر الخفية تلك الرسائل الملمهة التي تنبعث عن قلب الفرد فتصل الى قلب الأمة وربما تعدته الى قلب الانسانية ذاتها أقول كما أن الأمة المتحضرة تكون لها هذه الثقافة الأدبية وتلك الثقافة الفنية وغيرها من ثقافة خلقية ودينية وسياسية وما إليها كذلك تكون للأمة

المتحضرة ثقافة عليية ترتبط بتاريخ التفكير العلمي فيها وتحتوي ما احتكرته عقول أبنائها من الآراء والنظريات العلية وما وصلت اليه من الكشوف في سائر ميادين البحث العلمي وما نقلته وهذبته واستساغته من آراء غيرها مما دخل في صلب المعرفة البشرية على مر العصور والأجيال وحياتنا العلية في حاجة الى أن تتصل بماضينا فتكسب بذلك قوة وحياء وإلهاما. ونحن في مصر اليوم ننقل المعرفة عن غيرنا، ثم نتركها عاثمة لاتمت بصلة الى ماضينا ولا تتصل بتريتنا فهي بضاعة أجنبية عليها مسحة الغرابة: غرابة في اللفظ وغرابة في المعنى إذا ذكرت النظريات قرنت بأسماء أعجمية لا يكاد المرء منا يتبين معالمها وإذا عبر عن المعاني فبالفاظ مخيفة يفر منها القسرك ورتبك أمامها المتخيلة.

ومن الواجب أن نعمل على تغيير هذا الحال . فأولا يجب أن ننشر الكتب العلمية التي وضعها العرب ونقل عنها الافرنج ككتب الخوارزمي وأبي كامل في الجبر والحساب وكتب ابن الهيثم في الطبيعة وكتب البوزجاني والبيروني والبتاني وغيرهم كثيرون من قادة التفكير العلمي وعظام الباحثين المدققين . هذه الكتب موجودة الآن ولكن أين؟ إنها محفوظة في مكتبات ومتاحف في مشارق الأرض ومغاربها يعرف عنها الافرنج أكثر مما نعرف ويقومون بترجمتها وشرحها والتعليق عليها وينشرون هذا كله بلغات أجنبية في مجلاتهم العلية وما أجددنا بأن نكون نحن القاسمين على ذلك . وثانيا يجب علينا أن نعني بتمجيد السلف من علمائنا وباحتينا فيكون لنا في ذلك حافز للاقتداء بهم وتببع خطاهم وقد بذلت بعض الجهود في هذا السبيل في السنين

الأخيرة فأقيم حفل لتخليد ذكرى ابن الهيثم ونشر كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة وعلينا في السنين الآتية أن نزيد في هذا الحركة وأن ننظمها فالتأليف العلمي وإحياء كتب العرب وتمجيد علمائهم أمور ثلاثة يجب أن تدرج في جدول أعمال حياتنا الفكرية في المستقبل القريب. (١)

بجانب ما تقدم مما ذكره عالمنا الفاضل الأستاذ الدكتور مشرفة بك يجب أن يعنى أيضا بالناحية الخلقية والزرية النفسية بحيث تسير جنبا إلى جنب مع التقدم العلى . لأن العلم إذا لم يكن له حارس وقوام من الخلق قد يضر كثيرا بجانب نفعه . والدليل قائم من الحروب الحالية والمشاكل الكثيرة المتعددة . ونقصد بتقويم الأخلاق وتهذيبها أن يعلم الدين في جميع مراحل التعليم ابتدائي وثانوي وعالي ، كما يجب أن يتدارس في جميع الهيئات والأندية عن طريق المحاضرات - والسينما - والراديو .

وعندى أن تربية الأفراد وإعدادهم للحياة هي الخطوة الأولى ، بل هي الأساس الذي تبنى عليه المدنية الفاضلة التي تنشدها الإنسانية الراححة والطمأنينة .

والغرض من التربية والدراسة وطرق التدريس ، كما يقول هربرت سبنسر الفيلسوف الانجليزي : هو إعداد الفرد لأن يعيش ويحيا حياة كاملة بحيث يكون قوى الجسم ، كامل الخلق ، مرتب الفكر ، يعرف كيف يتعاون مع غيره ، ويقدر الطبيعة وما فيها من جمال ، وكيف يدير شؤنه بنفسه ، وكيف

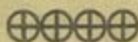
(١) مقالات علمية : تأليف الأستاذ الدكتور على مصطفي مشرفة بك

عميد كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول بمصر الطبعة الأولى سنة ١٩٤٣ .

يقوم بواجبه نحو أمته ووطنه ، وكيف ينتفع بما وهب له من مواهب وكيف يستخدم كل قواه بما ينفع نفسه وغيره . وبعبارة موجزة يعرف كيف يحيا حياة كاملة<sup>(١)</sup> .

لو دققنا النظر في المشاكل الحالية الموجودة في المنازل أو خارجها سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية فكثيرا ما ترجع أسبابها إلى ضعف الخلق وسوء التربية وعدم تجانس الأفكار ولذا يجب على القائمين بالأمر والداعين لخير الانسانية أن يوجهوا عنايتهم إلى الناحية الخلقية والتربية النفسية لأنها أساس كل إصلاح وتقدم ورفق . والدين الاسلامي فيه الكفاية والهداية لسعادة الدنيا والآخرة وقد أجاد القائل « علم ابنك الحكمة تعلمه أدب الدنيا - علمه ما هو حسن وحكيم تعلمه أدب الدنيا والدين » .

وقال فنلون « يجب أن تعود نفسك على محاولة الاختلاء بالله قلبا لقلب ربع ساعة كل صباح وكل مساء ، وقال بستالوتزي « لئن ابنك العلم تجعل حياته مفيدة - علمه الدين يجعل حياته متينة سعيدة » .



---

(١) روح التربية والتعليم تأليف الأستاذ محمد عطيه الأبراشي ص ٣١

## خاتمة

# القرآن وقضية العالم أجمع

حل مشكلات الانسانية — دعوة إلى الاخوة

العالمية والسلام العام



أمام هذه الحروب العالمية والاضطرابات الداخلية في كثير من الممالك والأمة، والقلق النفسى، وتفكك العائلات، وانحلال الأخلاق، وتدهور النشء نتساءل: ألا من نصير؟! ألا من معين؟! ألا من هاد؟! ألا من منقذ؟! فقد عم الهلاك، وحل الدمار، وطغى الفساد، وكادت الإنسانية تصير إلى فنائها وتلقى حتفها وتؤذن بزوالها!!

لقد تعلم الانسان وبرع. ولكن افسدته شرواته!!

لقد اخترع الانسان وبز من قبله، ولكن دمرته آلاته ومخترعاته!!

لقد طار الانسان فى الهراء وملك ناصيته ولكنه صار إلى الهلاك!!

لقد غاص الانسان تحت الماء، ولكنه أفسد الماء والأرض والهواء!!

لقد ازينت الأرض وأخذت زخرفها وظن أهلها أنهم قادرون عليها.

ولكنهم فسقوا فيها حتى عليهم قول ربهم ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَا الْقَوْلُ فدمرناها تدميراً ﴾ (١).

أوروبا التي كان مترفوها في رغد من العيش ، وكان رزقها يأتيها رعداً من كل مكان أصبحت الآن تعاني الفقر والجوع والمرض والخوف . وقد صدق قول الله فيها : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ . فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا فَأَدْنَاهُ اللَّهُ لِلْبَاسِ الْجُوْعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

وقضية المدنية الغربية قضية العالم أجمع يتساوى فيها المتحاربون وغير المتحاربين ، والمحايدون وغير المحايدين ، فشرها للجميع ، وتنتائجها عامة لكل الأمم كبيرها وصغيرها ، قويها وضعيفها .

هذه المدنية الأوروبية التي بهرت الالباب وأخذت بالابصار وبلغت من العلوم والفنون والمعارف شأوا بعيدا . كان فيها دعامتان هدامتان لكيانها :  
( ١ ) عامل الاثرة والانانية .

( ٢ ) عامل سيطرة الشهوات على العقول .

هذان العاملان أفسدا فيها نظام المجتمع وسخر العلم وما والاه في غير طريقه فضل وكانت الكارثة ، وقد كان ذلك متوقعا من زمن .

كُتبت في مجلة الشبان المسلمين في عدد يونية سنة ١٩٣٦ المجلد السابع  
الجزء التاسع مقالا تحت عنوان « الدنيا ، جاه فيه ما يأتي :

لقد بلغت المدنية درجة عالية في التمدن وخطت العقول البشرية في ميدان  
الاختراع الجهنمي شوطا بعيدا حتى أنه أصبح من اليسير تدمير العالم في يوم  
أو بعض يوم . إلا أن البشرية في القرن العشرين لم تحظ غير يسير في الميدان  
الخلقي الصحيح الذي يرفعها عن مستوى الحيوان ، والقرن العشرون جميع  
ما فيه من تقدم علمي وصناعي إنما هو مسخر لخدمة الشهوات ، ولذلك يصح  
أن نسمي هذا القرن قرن الشهوات في أضع مظاهرها وأحط مستورها ،  
ولذلك أصبح التبرم والسخط سيجية كل النفوس . وان الاحتكاك بينهم لا بد  
أن يكون سواء أكانوا أم أفرادا . ولذلك سيأتي يوم قريب ينهار فيه صرح  
هذه المدنية . وهكذا الدنيا مطية ، من ركبها حملته ومن ركبته قتلته .

وكتبت أيضا في مجلة الشبان المسلمين عدد مارس سنة ١٩٣٧ المجلد  
الثامن في الجزء السادس من مقال تحت عنوان « انتحار المدنية الغربية . . .  
العوامل المتضاربة للأجهاز على المدنية الغربية » ما يأتي :

أوروبا اليوم على فوهة بركان يغلي باطنه بحمم قد تكون جهنم الصغرى  
وتندك بها المدنية الحالية ذكا قد يكون فيه فتاؤها .

أوروبا اليوم تخوض غمار أزمة عنيفة تتناسب مع مطامعها الأشعبية ،  
ونهبها البالغ ، وصلفها المتعجرف ، وهي كل يوم تقترف من الآثام ما يزيد  
في كرتها ويشد وثاقها ، ويدنيها من نهايتها . تدفع لأدوات الحرب الملايين  
من الجنينيات بينما يوجد من أبنائها الآلاف من العاطلين ، ومئات الآلاف  
من البائسين والجامعين الخ .



وقد وقع ماتبأنا به ، وقعت الكارثة ، وأصبحت البشرية تعاني الألم الشديد والأزمات العنيفة ! .

وقعت الحرب التي لا تبقي ولا تذر ، أهلك الحث والنسل ، وعم شرها جميع الآفاق ، وضاعت فيها الأرزاق . فهل من بشير أو نذير يهتف للعالم أجمع أن البشرية جماع أبوها واحد وأسمها واحدة وربها واحد ، يحاسب على الصغيرة والكبيرة ، وإن أكرم الناس عنده أبرُّهم باخوانه وأنفعهم لبي جنسه ، وعلى زيادة نفعه يكون مقامه !! .

هل من داع الى الله رب العالم . وخالق الأكوان ينادى في عالمنا الصغير أن الإنسان أخ للإنسان على اختلاف لونه ودينه ولغته وبيئته ، وأن أن يعيش معه في سلام على أن يكون الضعيف في ذمة القوى والجاهل في ذمة العالم ، والفقير في ذمة الغني سواء أكانوا أفرادا أو شعوبا !! .

هل الله جلت قدرته وتعالى عظمته ووسع علمه كل شيء ترك الناس كالسوائم من غير هاد يهديهم إلى الرشاد ، ويسلك بهم طريق السداد !! .

إن الله العليم بكل شيء قد أنزل كتابه على رسوله الكريم فقال :  
( وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى  
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) . سورة النحل .

(١) هذا الكتاب الكريم وهو القرآن الحكيم يدعو بالاخوة العالمية وأن الفضل لأكثر الناس طاعة ومحبة ورحمة .

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا . إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾  
سورة الحجرات .

ويقول رسوله صلى الله عليه وسلم « خير الناس أنفعهم للناس » .

(٢) هذا الكتاب يأمر بالعدل والإحسان لكافة الناس قال تعالى :  
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ وهذا العدل شامل للجميع لا فرق بين مسلم وغير مسلم  
وأبيض وأسود وجاهل ومتعلم غني وفقير بدليل قوله تعالى : ﴿ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ  
شُرَكَاءُ قَوْمٍ أَنْ لَا تَعْدِلُوا . أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ومعناه لا يحملنكم  
بفضلكم لقوم على أن لا تعدلوا فيهم .

وقال أيضا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ  
وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ وليس بعد هذه الدرجة من  
العدالة أوج ترجو أن ترجع إليه أمة .

(٣) هذا الكتاب "يأمر بالإحسان للجميع غير ناظر إلى الجسنيات  
أو الألوان أو الأديان ماداموا مسلمين فقال تعالى :

( لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ )  
سورة الأنفال . والبر أقصى درجات الاحسان .

قال الكاتب الانجليزي الدكتور رنر الاستاذ المشهور في جامعات انجلترا ما يأتي من مقال كتبه عن الاسلام : د ومن وجهة التهمة المنكرة الملقاة على الاسلام وهي أنه حمد على سفنه لا يريد تقدما ولا يماشى الحياة ولا يجارى اجيال الزمن وأحقاب الدهر . فاني أقول ان الحرية التامة في تأويل القرآن وأحكامه والتبسط في شرحها واطلاق قيودها تجعل الاسلام صالحا لكل ناس ملائما لكل مملكة متفقا وطباع كل أمة . ونحن نضرب لك مثلا فنقول : ان القانون المقرر للتأويل والتفسير وهو ان كل جملة شرطية لا بد من أن تحكم بشرطها يبعث على اطمئنان الضمير فاذا جاء في القرآن : (قاتلوا المشركين) فانها جملة مطلقة ولكن إذا قيدت بهذا الشرط وهو ( إذا قاتلوكم ) كانت أكبر حجة على فساد ذلك الزعم الشنيع وهو أن الاسلام قام بالسيف وأسس على الجهاد والحرب الدينية . بل لا نجد القتال مشروعاً في الاسلام إلا دفاعاً عن النفس إزاء الذين يقاتلون المسلمين ويطردونهم من أرضهم لانهم يعبدون من لا شريك له . والتسامح الديني مستمسك به ذائع المنفذ بين المسلمين لأن ( الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) وإنك لترى في سورة الحج في القرآن أن غرض القتال ومقصد الحرب هو لحماية المساجد والمعابد والكنائس لان اسم الله يذكر في كل منها

على النساء: أفليس هذا أقصى ضروب التسامح والحد الأكبر في الرقي؟ ونحن لم نبلغ شيئا منه إلا بعد قرون عديدة وأجيال. وقد عرفت كثيرين من المسلمين يكتبون ويخرجون عن أموالهم تعصيда للكائنات. فنبثوني كم من المسيحيين اكتبوا للمساجد؟ ومع ذلك لا يزال اسم الله يذكر في المساجد والكنائس معا.

وإذا ذكرني المسيحيون باضطهاد المسلمين بجموع منهم فأقول: إن تلك الاضطهادات لا تذكر بجانب المذابح التي قتل فيها المسيحيون الجموع العظيمة من بني الإسلام. وقد أقسم عمر بن الخطاب يوما إلا أن يثأر لدينه من تلك المذبحة التي أقامها المسيحيون في بيت المقدس بأن يذبح أهلها والجارين للدفاع عنها يوم أراد فتحها. على أنه إذا اقتحم أسوارها ودخلها عزيزا منتصرا أرى إلا أن يحث يمينه وقال: لأهون على الحنث يميني من أن أقتل مخلوقا واحدا من مخلوقات الله.

ولا اجد ما أختم به بحثي هذا خيرا من هذه الحقيقة التي أصر على قولها وتردادها وهو أن الإسلام والمسيحية والموسوية أقارب وإخوان من مصدر واحد وأصل واحد. وأتمنى على الله أن يقبل ذلك اليوم الذي أرى فيه المسيحيين يوقرون ويعظمون المسيح أكثر من توقيهم إياه وتعظيمهم له وذلك بتوقيرهم محمدا كذلك وتعظيمه لأن هناك وجوه شبه ونواح مشتركة وعواطف متفقة بين الإسلام والنصرانية. والمسيحي المسيحي من دان بتلك الحقائق التي دعا إليها محمد النبي العربي (١).

٤) هذا الكتاب لا يبيح العقاب إلا على قدر الاعتداء. قال تعالى:

﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥﴾ وقد نوه بفضيلة العفوجبا في نشر السلام والطمانينة فقال  
تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٦﴾

(٥) هذا الكتاب أمر بالعزة والعدل والاستقامة فقال تعالى ﴿وقاتلوا  
في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴿٦﴾

ومن الاعتداء قتل الجرحى والمرضى والنساء والأطفال وحرق الزرع  
وهدم البيوت وغير ذلك .

(٦) هذا الكتاب طالب بالاستعداد للمكروه خشية طغيان الباطل على  
أن يكون الغاية السلام والوئام فقال تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة  
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم  
لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم  
لا تظلمون. وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله أنه هو السميع العليم ﴿٧﴾

(٧) هذا الكتاب جعل العلم وسيلة الرقي والسير في الحياة فقال تعالى  
﴿وقل رب زدني علما ﴿٨﴾ وفضل العلم على غيره من شئون الحياة فقال ﴿هل  
يسئولون الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴿٩﴾ وقال أيضا ﴿يرفع الذين آمنوا

منكم والذين آمنوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير ﴿ سورة المجادلة .  
وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد  
الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم » .

قال الفيلسوف الروسي « تولستوى » : من فضائل الدين الاسلامي أنه  
أوصى خيرا بالمسيحيين واليهود كما أمر بحسن معاملتهم حتى أباح هذا الدين  
لاتباعه الزوج بالمسيحيات مع الترخيص لمن بالبقاء على دينهن . ولا يخفى  
على ذوى البصائر ما فى هذا الدين من التسامح ، وحسبه فخرا أنه هدى  
أمة بأجمعها إلى نور الحق وجعلها تفتح إلى السكينة والسلام بمد  
الخصام وسنك الدماء وفتح لهم طريق الرقى والمدنية وهو عمل عظيم لا يقوم  
به إلا شخص أوتى قوة فوق قوة البشر .

قال آدموند يورك الانكليزى : القانون المحمدى قانون ضابط للجميع  
من الملك إلى أقل رعاياه وهو قانون نسج بأحكم نظام قضائى وأعظم قضاء  
على ، وأجمل تشريع منير ما وجد مثله فى هذا العالم من قبل ، وان المستقبل  
للإسلام ، وانه هو الدين الذى جاء لجميع الناس كلهم على مبدأ واحد فقال :  
( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا )  
﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

وقال الكاتب الانكليزى الذائع الصيت برنارد شو فى رسالة انكليزية

تحت عنوان « نداء العمل » :

و لقد وضعت داثمادين محمد موضع الاعتبار السامى بسبب حيويته  
المدهشة فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية الهضم لاطوار الحياة  
المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل جيل من الناس . . . . . ولقد  
تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوربا غدا ، ولقد بدأ يكون مقبولا  
لديها اليوم ، وقد صور الكيروس القرون الوسطى الاسلام بأحلك الألوان  
إما بسبب الجهل ، أو بسبب التعصب الذميم .

و لقد كانوا فى الواقع يمرنون على كراهية محمد وكراهية دينه وكانوا  
يعتبرونه خصما للمسيح . ولقد درسته باعتباره رجلا مدهشا فرأيته بعيدا عن  
مخاصمة المسيح ، بل يجب أن يدعى متفقا الانسانية . وإنى لأعتقد بأنه لوتولى  
رجل مثله دكتاتورية العالم الحديث لتنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب إلى  
العالم السلام والسعادة وهو فى أشد الحاجة إليهما . . . . .

° ° °

لاعاصم لنا اليوم مما نحن فيه من المهالك والاضطراب المادى والمعنوى  
إلا إذا رجعنا إلى كتاب الله ( القرآن الكريم ) واهتدينا بهديه واتخذنا سيرة  
الرسول عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة لنا وللمسلمين كافة وقد كان خلق  
رسول الله القرآن : ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

° ° °

وإذا أمكننا أن نلخص ما جاء فى هذا الكتاب نقول :

(١) إن القرآن الكريم جعل الدعوة إلى العلم في المحل الأول وإن العلم الطبيعي (المادة — والطاقة) جزء من دعوته — قرأني بموضوعه كما قال تعالى ﴿أَنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ والألبياب هنا معناها أصحاب العقول . وكما جاء في سورة فاطر قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا — وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ — إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ . إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ .

والمراد هنا بالعلماء هم العلماء العارفون بأسرار الطبيعة .

القرآن والعلم أسلوبهما واحد — لا يقولان عن شيء إنه حق إلا إذا قام عليه البرهان اليقيني القاطع .

ولذلك وجب على الانسان أن لا يتبع إلا الحق المعلوم يقيناً ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وإن الوصول إلى هذا الحق هو المشاهدة الصحيحة والتفكير الصحيح . وإن على الانسان أن يستمسك بما يصل إليه



من الحق عن طريق هذه المشاهدة والتفكير الصحيحين<sup>(١)</sup> هذا فيما خص بالعلوم الطبيعية التي أساسها المشاهدة والتجربة والتفكير الصحيح . واجب المسلم القادر الاهتمام بدراسة العلوم الكونية للاستفادة منها ومن خواصها كالارتفاع مثلا بخواص الكهرباء والبخار والحديد والهوام وأن يجعل كل ذلك في سبيل الخير العام والمصلحة الانسانية .

(٢) ان عمارة الأرض وخلافتها لا تكون إلا عن طريق العلم في جميع فروعه وعلى اختلاف درجاته سواء أكان العلم الطبيعي ( المادة والطاقة ) أو علم الدين وعلم الاقتصاد - أو الاجتماع - أو السياسة - وفي القصص القرآني الدليل القاطع على ذلك فمن الأنبياء والرسل - الزارع والصانع والتاجر والاقتصادي - وكانوا المثل العليا الصالحة والقُدوة التي تنشدها الانسانية .

(٣) لا حياة صالحة للمسلمين والشرقيين وغير الشرقيين من بني الانسان إلا عن طريق الجماعات والاتحاد بين جميع الطوائف والأمم على اختلاف مللها وأديانها . والعمل لخير الانسانية والصالح العام كما قال تعالى ﴿ ان أَحْسَنُ مَا أَحْسَنْتُمْ وَأَدْيَانُهَا . وَالْعَمَلُ لِخَيْرِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالصَّالِحِ الْعَامِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ انْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ فيجب أن يتضافر الجميع على نشر العلم

---

(١) كتاب في سنن الله الكونية للاستاذ محمد أحمد الغمراوي ص ٥ وما بعدها .

والتعليم والعناية بالتربية وتهذيب الأخلاق وهذا مما يدخل في قول الله تعالى :  
( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى . وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ )  
سورة المائدة .

(٤) يجب أن يؤخذ بأسباب القوة في الحياة الدنيا دفعا للشر وحفظا  
للحق واعتزازا بالكرامة والفضيلة .

(٥) القرآن الكريم هو الكتاب الجامع للسعادتين الدنيا والآخرة ،  
يجب أن يكون المرجع والأصل لهداية البشر قال تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ  
يَهْتَدَىٰ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ  
أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ سورة الاسراء . صدق الله العظيم .



## مُتْرَسِن

صفحة

٣ كلمة عن الكتاب والمؤلف .

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد صبري عابدين .

١٢ القرآن : أثره في قادة الفكر الغربيين والتطورات العالمية

القرآن عقد اجتماعي ( كوتراتو ) بين الله والناس - هو النظام

العام لهداية البشر - نظام للفرد والجماعة - نظام للروح والجسد -

نظام للأرض والسماء - نظام للغيب والشهادة - نظام الماضي

والحاضر والمستقبل

٢٧ الإسلام والاصلاح

أسباب ضعف المسلمين - دعوة الإسلام إلى الاصلاح والعمل الخير

الجميع - دعوة الإسلام إلى حرية الفكر والعلم - دعوة الإسلام

إلى التسامح وارتباط الانسانية بعضها ببعض .

٣٨ آيات العلم لنبى الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام .

الآيات التي نزلت على النبي - محمد ﷺ النبي الأمى هو أول من

حارب الأمية - فتوحات الإسلام لمغالق العلوم وأثر ذلك في تقدم

الانسانية .

القراءة والكتابة وأثرهما في النهضة العلمية .

	صفحة
مآثر العرب في العلوم المدنية .	٥٥
دعوة الاسلام لاصلاح المجتمع الانساني .	٦٤
الاساس الأول : الايمان بالله - القائم على العلم - أثر ذلك في المجتمع	٦٤ س
الاساس الثاني : حرية التفكير والقول في العمل .	٧٥ س
آثار هذه التعاليم في الحضارة والتقدم .	٨٣
المثل العليا للايمان بالله وحرية التفكير والعمل .	٨٧ س
الاساس الثالث : العمل الصالح وآثار ذلك في النهضة الغربية .	٩٦
وجوب التعلم والاستزادة من العلم .	١٠٦ س
ما يجب أن يتحلى به طالب العلم من صفات - آثار ذلك .	١١٤ س
ما يجب على المعلم نحو المتعلم .	١٢٤
أثر دعوة الاسلام للعلم والتعليم في المسلمين وغير المسلمين .	١٣٣
الحياة المادية والعلوم الاقتصادية .	١٣٨
النبي الاقتصادي - دعامة التدبير والاقتصاد - الخلق القويم .	١٣٨
المال - الجماعات التعاونية - دعوة نبي الاسلام إلى التعاون - التعاون	١٤٤
وما يرجى منه لحل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية .	
الأسس الأخلاقية التي تقوم عليها الجماعات المالية والتعاونية -	١٦٠
آثار ذلك في حالة العمران .	

- ١٦٨ العلوم الصناعية .
- النبي الصانع - والخليفة العابد المجاهد .
- ١٧٨ ارتقاء الفنون والصنائع في إسبانيا تحت حكم المسلمين وأثر ذلك في أوروبا .
- ١٨٠ آيات العلم في ملك سليمان عليه السلام .
- الصلاح والتقوى أساس الملك - تسخير الريح - تسخير الجن - علم منطق الحيوان وتسخيره .
- ١٨٩ كيف اكتشف عرش بلقيس؟ وكيف أحضر؟
- ١٩٨ السحر .
- ٢١٦ القضاء - آثار ذلك في تقدم المسلمين - أساطيل المسلمين وفتوحاتها
- ٢٢٢ آيات العلم لعيسى عليه السلام .
- ٢٣٠ مكانة العلم في القرآن .
- ٢٣٨ أثر الإسلام ودعوته للعلم والعمل والحضارة الحديثة .
- ٢٤٧ ما يجب عمله نحو العلم والانتفاع به .
- ٢٥٦ خاتمة : القرآن وقضية العالم أجمع .
- حل مشكلات الانسانية - دعوة إلى الاخوة العالمية والسلام العام .

## مؤلفات المؤلف



- كيف نعلم القرآن لأبناء المسلمين : الدرس الأول : العبادات .  
الدرس الثاني : حق الله وحق الآباء .  
والأبناء .  
الثالث : مكانة المرأة في القرآن .  
حياة نبي الإسلام ورسول السلام .  
حياته ودعوته .

كتاب التعاون

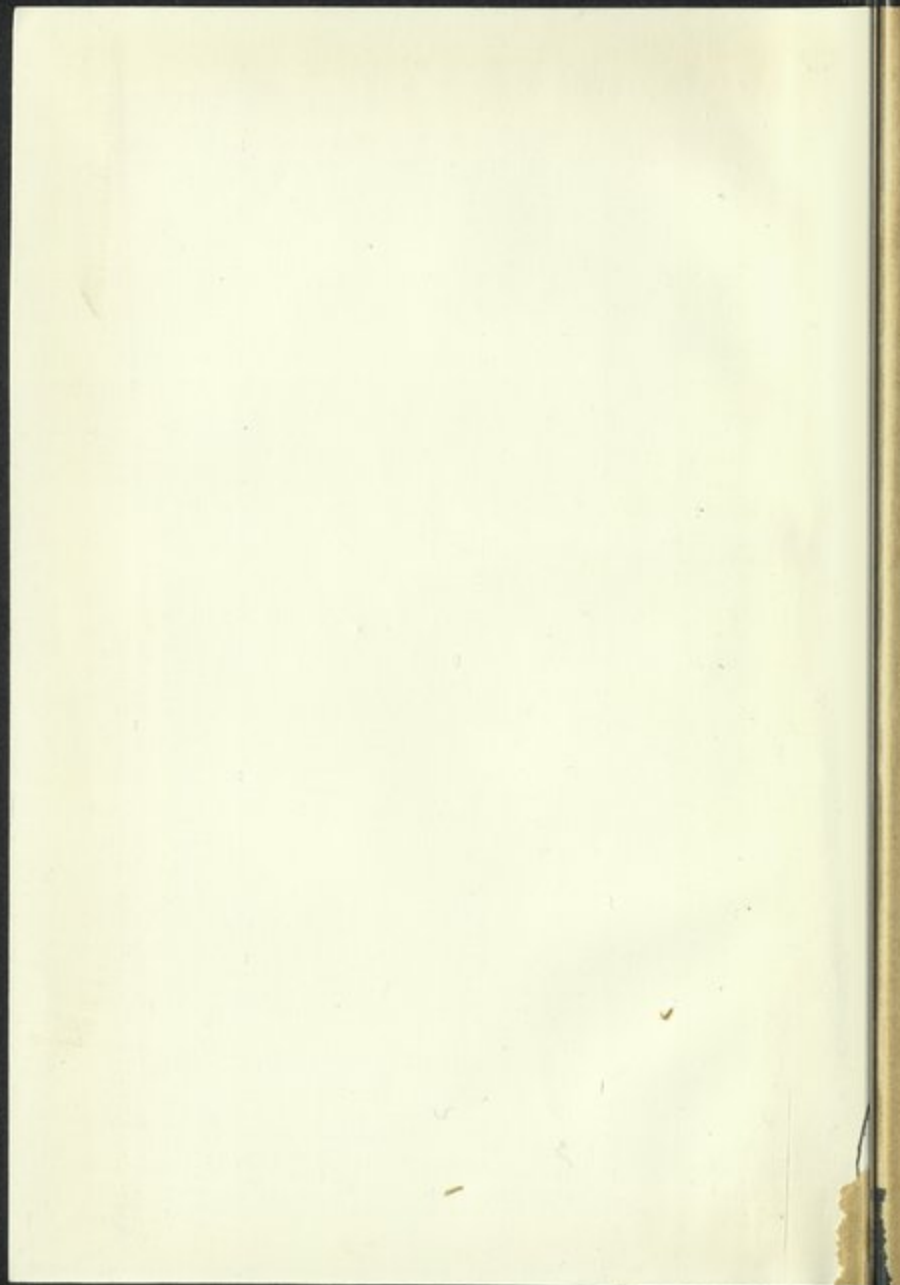
### تحت الطبع

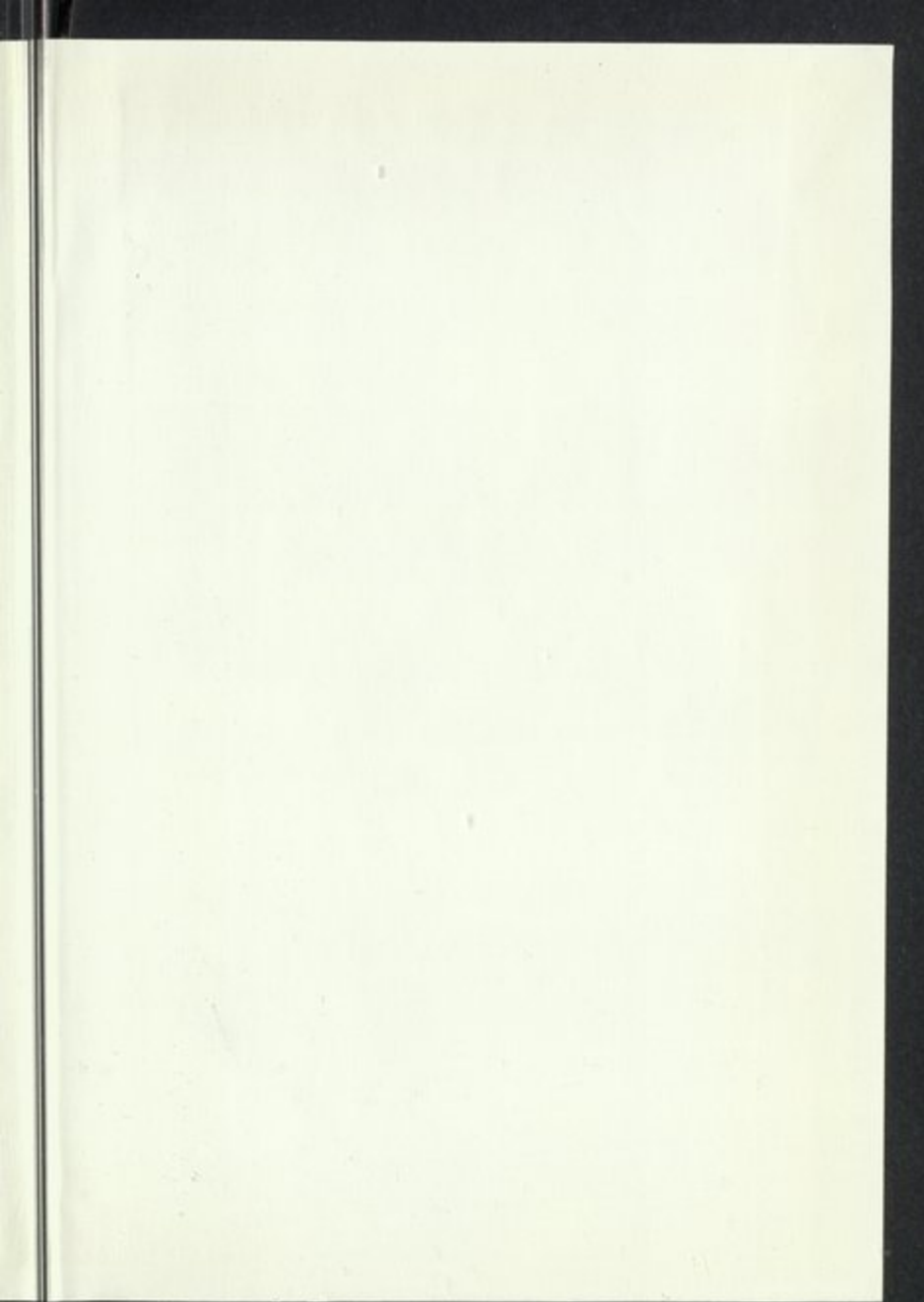
الإسلام والمسلمون :

- قواعد الإسلام الخمس من ناحيتها الدينية والاجتماعية .  
أين المسلمون من الإسلام ( جزآن ) .  
دعوة الإسلام الى أدب النفس وتربيتها .

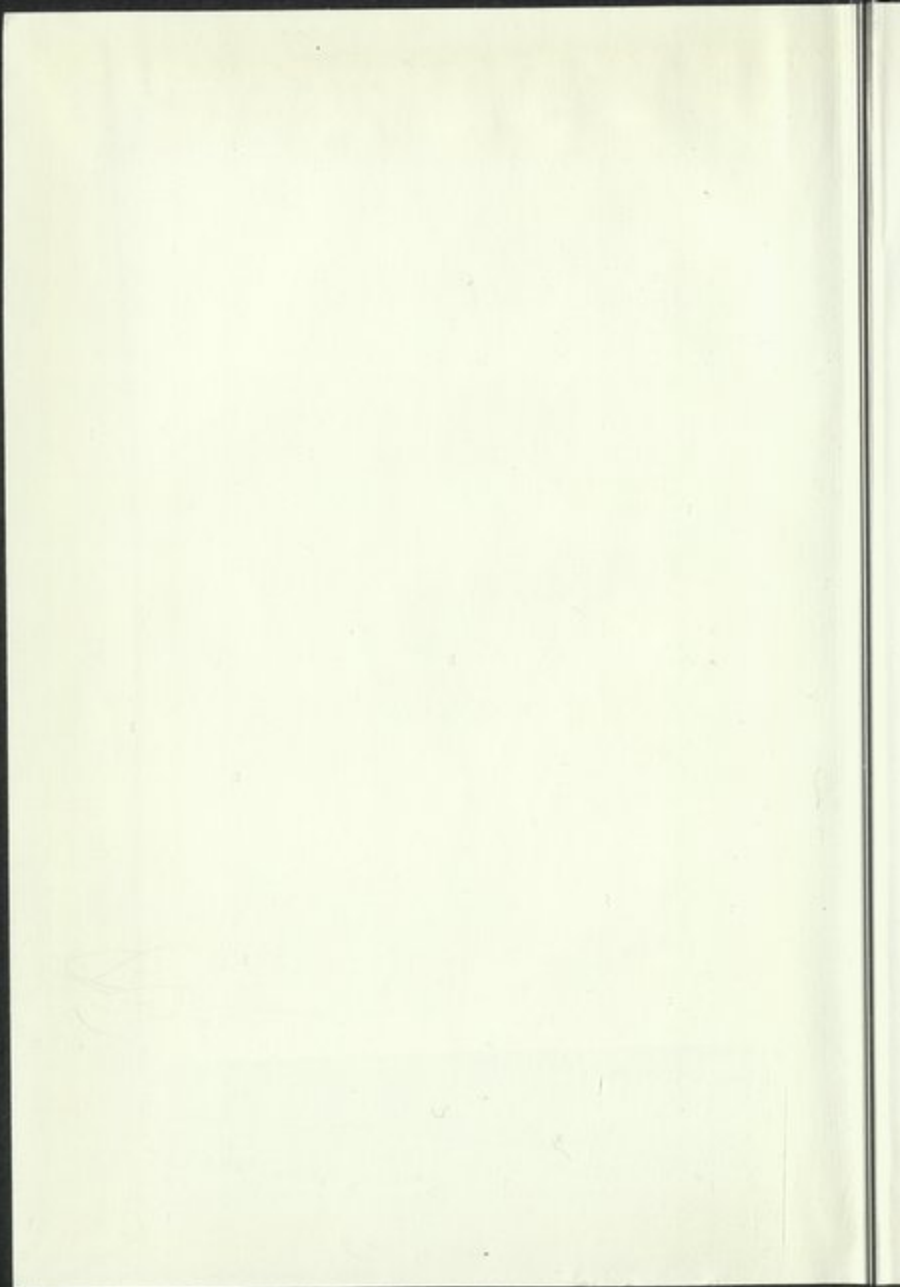
تطلب هذه الكتب من المؤلف . وعنوانه :

١٢ شارع الملكة نازلى . بالقاهرة









DATE DUE

~~JAFET LIB. JAFET LIB.~~  
~~1 APR 1978 20 JUN 1991~~

~~JAFET LIB.~~  
~~25 APR 1978~~

297.15:D21mA:c.1

الدرديري، يحيى احمد

مكانة العلم في القرآن

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01006092

297.15  
D21mA

